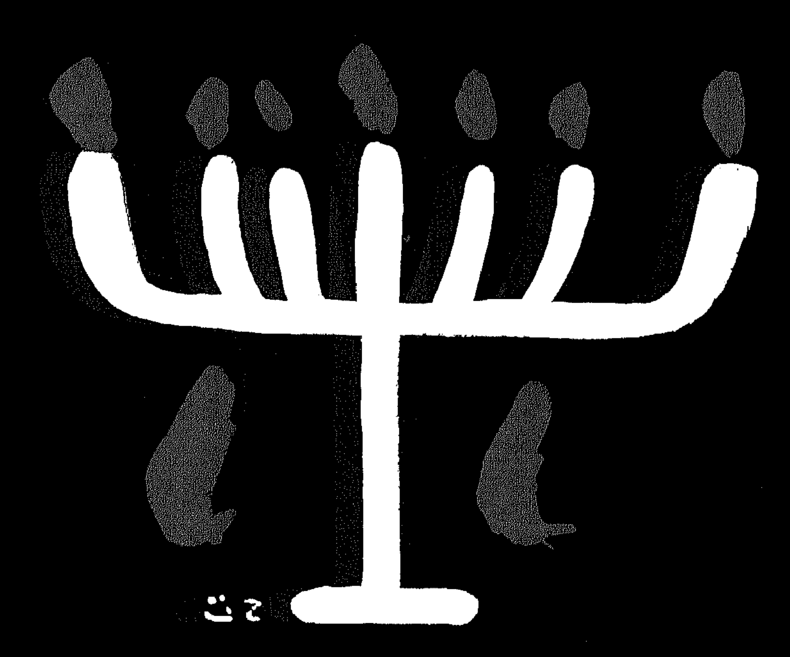
السفير طاهر شاش

التطرّف الإسرائيلىّ

جُذوره وحَصاده



دار الشروق



التطرّف الإسرائيلي

جـذوره وحصـاده

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبعـة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

© دار الشروق

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب ٣٣ البانوراما - تليفون ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس ٨١٧٧٦٥ (٠١)

السفير طاهر شاش

التطرّف الإسرائيليّ

جُذوره وحَصاده

دار الشروق



فهرست الكتاب



مقدمة

تُعدّ الانتخابات الإسرائيلية التى أجريت فى التاسع والعشرين من شهر مايو ١٩٩٦ ، نقطة تحول فى التاريخ المعاصر لإسرائيل ، يتوقع أن تحدد مستقبل السلام فى منطقة الشرق الأوسط .

فقد أسفرت هذه الانتخابات عن فوز بنيامين نيتانياهو برئاسة الحكومة فى أول اقتراع مباشر لرئيس الوزراء ، كما حصل اليمين الإسرائيلى على غالبية مقاعد الكنيست ، وتزايد عدد المقاعد التى تشغلها الأحزاب الدينية عما حصلت عليه فى كافة الانتخابات السابقة .

وقد أجريت انتخابات مايو ١٩٩٦ ، بعد أربع سنوات تولى خلالها حكم إسرائيل ائتلاف حكومى ضمّ إلى جانب حزب العمل برئاسة اسحق رابين ثم شيمون بيريس حزب ميريتس اليسارى النزعة ، وتمكن هذا الائتلاف - بفضل تعاون الحزبين - من تحقيق إنجازات هامة على طريق السلام بين إسرائيل والعالم العربى ، تمثلت فى الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وعقد عدة اتفاقات معها من أجل تسوية القضية الفلسطينية ، ثم عقد معاهدة سلام مع الأردن ، وتطبيع علاقات إسرائيل مع عدد من الدول العربية .

ولم يكن تنفيذ هذه السياسة يجرى دون أن يصطدم بكثير من العقبات ، وأن يواجه بمقاومة عنيفة سواء من جانب العرب أو الإسرائيليين . فقد قوبل إعلان المبادئ الإسرائيلى الفلسطينى بمعارضة شديدة من داخل منظمة التحرير وغيرها من المنظمات الفلسطينية ، ورأت فيه بداية الضياع للقضية ، وأيدتها فى ذلك أطراف عربية اعتبرت مفاوضات أوسلو ، وإبرام الاتفاق خروجا على الصف العربى وإضعافا لمواقف بقية المفاوضين على المسارات الأخرى . وتصاعدت المقاومة لإعلان المبادئ ولما أعقبه من اتفاقات إلى أعمال عنف ومصادمات واشتباكات داخل الأراضى الفلسطينية ، وفى قلب إسرائيل ، وقذف بالصواريخ على مستوطناتها

الشمالية . وبدأت استطلاعات الرأى العام الإسرائيلى تتأرجح صعودا وهبوطا، لتعكس مدى انقسام الشعب الإسرائيلى تجاه عملية السلام ومدى ما يمكن أن توفره الاتفاقات المعقودة، والتى يعتزم عقدها، من أمن لإسرائيل ويهودها. ووصلت الانقسامات الذروة مع رصاصات إيجال عامير التى قضت على حياة رابين ومتفجرات «حماس» فى القدس وعسقلان وتل أبيب.

وجاءت نتائج الانتخابات الأخيرة لتظهر مدى انقسام الإسرائيليين تجاه قضايا السلام والأمن . فلم يتجاوز الفارق بين بنيامين نيتانياهو ومنافسه شيمون بيريس نسبة ١٪ من مجموع الأصوات حيث أحسن نيتانياهو استغلال مخاوف الإسرائيليين بعد أن قامت « حماس » بأربع هجمات انتحارية ،وصلت بإحداها إلى أحد الشوارع الرئيسية فى تل أبيب ، وهددت وسائل النقل العامة فى القدس . ورفع الليكود وأنصاره شعار أمن إسرائيل ،وأن نيتانياهو أفضل لليهود فى إشارة إلى أن بيريس لا يهمه إلا العرب .

وواصل نيتانياهو الإدلاء بتصريحات تنذر بتحول كامل فى اتجاهات الحكم بعد توليه رئاسة الوزراء ، وأكد لاءات ثلاث لإقامة دولة فلسطينية، ولتقديم أية تنازلات فى القدس ، وللإنسحاب من الجولان .

ولرئيس الوزراء الجديد آراؤه اليمينية الشديدة التطرف ،التى سبق أن عبر عنها تفصيلا فى كتاب نشره منذ أعوام ، وأحال إليه من استفسروا منه عن اتجاهاته .

ونيتانياهو من أتباع فلاديمير جابوتنسكى مؤسس الصهيونية التصحيحية ، ويتوقع أن تكون سياسته استمرارا لسياسات ميناحيم بيجين واسحق شامير ، وخاصة فيما يتعلق بالسيادة على ما يعتبرونه أرض إسرائيل التوراتية ، وحق اليهود فى استيطان أى جزء منها .

ويتفق المتدينون اليهود مع أولئك الساسة فى النظرة إلى تلك الأرض ، ويرفضون أية سيادة أخرى - خلاف السيادة اليهودية - عليها ، وقد تحركوا بالفعل منذ ١٩٦٧ لاستيطان « أرض إسرائيل » . ووجدوا التشجيع الكامل والدعم من حكومتى بيجين وشامير ، وأصبحت « جوش إيمونيم » حركة شبه رسمية تعمل بنشاط لزرع المستوطنات حتى فى المدن الفلسطينية الآهلة بالسكان . وقد تواصل تنفيذ الخطط الحكومية الواحدة بعد الأخرى ،لنشر المستوطنات بطريقة تحول عملا دون فصلها عن إسرائيل فى أية تسوية متوقعة .

والواقع أن وصول ميناحيم بيجين، وكتلة الليكود إلى الحكم بعد ثلاثين عاما سيطرت خلالها الصهيونية العمالية على حكم إسرائيل، قد انتقل بإسرائيل إلى مرحلة جديدة من تاريخها المعاصر. ففى حين يتفق جناحا الصهيونية العمالى والتصحيحى على هدف بناء الدولة اليهودية على ما يعتبرانه أرض إسرائيل التاريخية، وضمان بقائها واستقرارها ورفاهيتها، فإن الصهيونية العمالية فضلت انتهاج سياسة المراحل لتنفيذ هذا الهدف، أما الصهيونية التصحيحة، فقد اتسمت اتجاهاتها منذ البداية بالثورية والتطرف.

وعلى الرغم من أن كلا الاتجاهين يرفعان شعار العلمانية الذى وضعه تيودور هيرتزل عندما أسس حركته الصهيونية، فما كان لهذه الحركة أن تنجح إلا نتيجة لاستنادها إلى تراث دينى وتاريخى، غرسه الحاخامات اليهود فى وجدان الجاليات اليهودية فى شتاتها الذى عاشت فيه ما يقرب من ألفى عام بعد فرارها من فلسطين. ومحور هذا التراث هو الوعد الإلهى لبنى إسرائيل بمنحهم أرض كنعان، التى سموها أرض إسرائيل، وإعادتهم إليها على يد المسيح الذى يحارب الشر ويهزم الأمم الأخرى، ويعلى كلمة إسرائيل عليها جميعا. وهكذا تحولت تلك المسيحانية الدينية إلى مسيحانية سياسية تمثلت فى الصهيونية التى ضمت الجناحين المذكورين، وغيرهما من أجنحة وتيارات.

وتنفيذاً لسياسة المراحل العملية، توالى إرسال موجات المهاجرين اليهود إلى فلسطين، وتعاونت الوكالة اليهودية مع سلطة الانتداب البريطانى فى بناء الوطن القومى اليهودى، ثم أقامت دولة إسرائيل وأفرغت فلسطين من غالبية شعبها العربى، ووسعت رقعة الدولة بجيوشها. ولكن احتلالها لمساحات شاسعة من أراضى الدول العربية واستيلاءها على أرض فلسطين كاملة فى حرب ١٩٦٧، كان من شأنهما تفجير الانقسامات بين ساسة إسرائيل وقطاعات الرأى العام فيها. فقد سنحت فرصة فريدة أتاحها ذلك النصر الذى اعتبره الكثيرون معجزة إلهية. وازدادت الانقسامات فى أعقاب حرب ١٩٧٣، التى أطلق عليها الإسرائيليون اسم الزلزال بسبب الهزة العنيفة التى أصابت إسرائيل نتيجة للانتصارات التى حققها الجنود المصريون والسوريون فى المعارك.

وتوجه الناخبون الإسرائيليون نحو الليكود، يلتمسون من حكمه التغيير الذى رأوه ضروريا لإرساء قواعد الدولة العبرية التى هزها زلزال أكتوبر، ونجح بيجين فى عقد

معاهدة سلام مع كبرى الدول العربية وإخراجها من دائرة المواجهة ، ولكنه عقد تحالفا مع الأصولية الدينية اليهودية من أجل بسط سيادة إسرائيل على أرضها التوراتية ، وبدأت مرحلة الاستيطان المكثف لما اعتبراه أرض إسرائيل ، فى حدود تشمل كل «يهودا والسامرة» والقدس وقطاع غزة ومرتفعات الجولان . ومضى اسحق شامير فى تنفيذ سياسة استيطانية طموحة أثقلت ميزانية الدولة وعانى منها الاقتصاد الإسرائيلى ، وأدت إلى التوتر مع الإدارة الأمريكية . وكانت النتيجة سقوط الليكود ، وتولى العمل من جديد السلطة .

واستبشر العالم بما بدا من نوايا اسحق رابين وشيمون بيريس لفتح صفحة جديدة فى تاريخ الشرق الأوسط ، يسودها التعاون بين شعوبه وإقامة السلام مقابل إعادة الأراضى المحتلة إلى أصحابها . وبدأت تباشير السلام المنشود تلوح فى الأفق ، بالرغم من هواجس الأمن التى تحكمت فى الخطوات المترددة للزعيمين الإسرائيليين ، ولكن التطرف الأصولى كان لهما بالمرصاد ، ودفع رابين حياته ثمنا لما اعتبره التحالف الدينى واليمينى خيانة وتفريطا فى أرض إسرائيل . والتقى التطرف من جانب وآخر فى عرقلة مسيرة السلام بالجثث والدماء .

وعاد اليمين الإسرائيلى إلى كراسى الحكم متحالفا مع أحزاب دينية يجمع بينهما هدف أساسى هو بسط سيادة إسرائيل على أرض إسرائيل التاريخية أو الدينية - بحسب نظرة أى منها - وحسب مفاهيم تمتد بحدودها لتشمل كل ما تبقى من الأراضى العربية المحتلة : فلا دولة فلسطينية - ولا تقسيم للقدس - ولا انسحاب من الجولان - ولا حدود لعمليات الاستيطان والتهويد - ولا عودة للاجئين .

وكلها لاءات تتردد صراحة على لسان نيتانياهو ، وهى نتاج تاريخ طويل من التطرف صاحب الحركة الصهيونية منذ نشأتها . تطرف قد تعلو لهجته حينا وقد يغلف بستائر دبلوماسية فى بعض الأحيان ، وقد تخف حدته تحت وطأة الظروف ثم يأخذ طريقه من أجل إقامة الدولة اليهودية وتوسعها على حساب أصحاب الأرض كلما سنحت الظروف المناسبة .

وسوف نستعرض فى هذا الكتاب - وبإيجاز شديد - التاريخ المأساوى لهذا التطرف .

مصر الجديدة فى ٢٠ سبتمبر ١٩٩٦

الفصل الاول

التراث الدينى والتاريخى لليهود

السمة القومية لليهودية :

لعل السمة البارزة للديانة اليهودية هى أنها ديانة قومية ، ترتكز على فكرة أساسية مفادها أنها منزلة على أمة معينة هى أمة بنى إسرائيل التى عقد الآله معها ميثاقا تقوم بمقتضاه بعبادته والالتزام بتعاليمه ، مقابل أن يعطى بنى إسرائيل أرضا محددة يمكنهم من غزوها ، وأن يتولى حمايتهم ويجعل منهم أمة عظيمة .

فبالرغم من أنه يجوز لأى شخص أن يعتنق اليهودية ، فإنه لكى يعتبر الشخص يهوديا فإنه يجب أن يكون مولوداً لأم يهودية . أى أن اعتناق من لا تكون أمه يهودية لها وإن كان يدخله ضمن المعتقدين بهذه الديانة إلا أنه ، لا يجعله واحدا من أمة اليهود التى تقتصر على شعب بنى إسرائيل .

ويعتبر الشعب اليهودى نفسه من سلالة قبيلة سامية هى قبيلة إبراهيم عليه السلام ، الذى رحل من بلدة أور فى العراق إلى بلاد كنعان (فلسطين) حيث استقر بها وتلقى رسالة السماء . وقد عقد الإله مع إبراهيم الميثاق بأن يجعله منشىء أمة اختارها سبحانه لعبادته .

وتسرد التوراة قصص إبراهيم وولده اسحق وحفيده يعقوب ، وأبناء يعقوب الاثنى عشر والذين تشكلت منهم قبائل بنى إسرائيل ، فقد سمّى الرب يعقوب : إسرائيل ، وتروى كيف استقرت هذه القبائل فى مصر حيث استعبدها فرعون إلى أن خرج موسى عليه السلام ببنى إسرائيل وعبر بهم البحر ، وعلى جبل سيناء أنزل الإله على موسى التوراة .

والتاريخ اليهودى جزء لا يتجزأ من الديانة اليهودية ، فكل أسفار التوراة ـ عدا إثنين أو ثلاثة ـ ذات طابع تاريخى . ويطلق على هذا التاريخ كما ترويه التوراة اسم « التاريخ المقدس » .

ومحور هذا التاريخ هو أن اليهود هم شعب الله المختار ، الذى اختصه بالتوراة ، وحرره من عبوديه فرعون ، ومكنه من غزو أرض كنعان ، ولكنه عصى الرب فغضب عليه وعاقبه فأوقعه فى الأسر البابلى ثم سلط عليه الحكام الأجانب وشتته فى الأرض، ولكنه سوف يصفح عنه ويعيده إلى أرض إسرائيل، وينصره على كل الأمم .

ففى سفر الخروج ، ينادى الرب موسى من الجبل قائلاً : « هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى إسرائيل . أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين . وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إلىَّ ، فالآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب ، فإن لى كل الأرض ، وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة » (الإصحاح التاسع عشر) .

وينذر الرب بنى إسرائيل بأنهم إذا ما عصوه ولم يتبعوا أوامره قائلا : « وأصيِّر مدنكم خربة ومقادسكم موحشة ولا أشتم رائحة سروركم . فأوحش الأرض فستوحش منها أعداؤكم الساكنون فيها، وأذريكم بين الأمم وأجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم موحشة ومدنكم تصير خربة . . فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم ،والباقون منكم يفنون بذنوبهم فى أراضى أعدائكم » .

ولكنه يصفح عنهم إذا ما تابوا عن ذنوبهم ، فيقول : عندئذ «أذكر ميثاقى مع يعقوب وأذكر أيضا ميثاقى مع اسحق وميثاقى مع إبراهيم وأذكر الأرض . . ولكن مع ذلك أيضا متى كانوا فى أرض أعدائهم ما أبيتهم ولا كرهتهم حتى أبيدهم وأنكث ميثاقى معهم لأنى أنا الرب إلههم » . (سفر اللاويين ـ الإصحاح ٢٦) .

وتعتبر التوراة هى مصدر التاريخ القديم للشعب اليهودى، وكانت الفكرة السائدة هى أن الخمسة أسفار الأولى للتوراة (The Pentateuch) هى التى أنزلت على موسى عليه السلام على جبل سيناء ، ولايزال اليهود الأرثوذكس يعتبرونها تنزيل الله إلى شعبه، وأن ما تتضمنه من أحداث صحيحة من جميع النواحى حيث إن الله هو صاحبها .

والأسفار الخمسة الأولى للتوراة ـ وهى التكوين ، والخروج ، واللاويون ، والعدد ، والتثنية ـ تتضمن أحكام الشريعة الدينية إلى جانب تاريخ الخليقة والتاريخ اليهودى القديم حتى وفاة موسى عليه السلام .

ومع السفر السادس ، سفر يشوع ، تبدأ قصة غزو اليهود (أو العبرانيين) لأرض كنعان ، ويبدأ معه تاريخ العلاقة الثلاثية بين : الله ـ والشعب اليهودى ـ وأرض إسرائيل ، كما تحكيه التوراة (أو ما يسمى بالعهد القديم) .

وقد مرّ هذا التاريخ ـ حسبما ورد فى التوراة ـ بعدة مراحل : غزو اليهود لأرض كنعان واستيطانها ـ وإقامة المملكة المتحدة ـ وانقسام المملكة المتحدة إلى مملكتين : يهودا والسامرة ـ والقضاء على المملكة الشمالية ـ والأسر البابلى ـ والعودة إلى أرض إسرائيل وثورة المكابين والحرب اليهودية ضد الرومان والشتات .

وقد تشكلت الديانة اليهودية فى هذه المراحل المتتابعة للتاريخ اليهودى متأثرة بأوضاع اليهود خلالها .

أما عن غزو أرض كنعان ، فقد أوردت التوراة قصة هذا الغزو ، « وكان بعد موت موسى عبد الرب ، أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا : موسى عبدى قد مات . فالآن اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم (أى لبنى إسرائيل) . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحيثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تحكمكم » (يشوع ـ الإصحاح الأول) .

وعلى الرغم مما تضمنه سفر يشوع من تفاصيل لهذا الغزو وتصويره له بأنه كان انتصارا هائلا بدأ بسقوط حائط مدينة أريحا ، فإن علماء الآثار والتاريخ وجدوا أن حوائط المدينة كانت قد حرقت منذ وقت طويل سابق على الغزو اليهودى ، كما شككوا فى أوصاف ذلك السفر للمعارك والانتصارات مرجحين أن استيلاء اليهود على أرض كنعان تم تدريجيا وعن طريق التسلل .

كما شكك العلماء فيما ورد فى السفر المذكور عن استيطان اليهود لأرض كنعان بأكملها ، وإنما استوطنوا ـ حسب أبحاثهم ـ المناطق الجبلية التى كانت بعيدة عن تأثير المدن وكانت قليلة السكان وغير قادرة بالتالى على صد الغزو ، ولم يتم استيطان المدن إلا بعد أن انتهج اليهود سياسة التوسع فى بداية الألف الأولى قبل الميلاد (*) .

(*) Lavinia and Dan Cohn - Sherbok : A Short History of Judaism.

وتمضى التوراة فى سرد التطورات التاريخية التى مرّ بها الشعب اليهودى منذ غزو أرض كنعان واستيطانها ، فتروى تاريخ عصر القضاة ، ثم عصر الملوك الذى بدأ حوالى عام ١٠٥٠ ق . م . بتنصيب شاول ملكا على اليهود ثم تولى داود عليه السلام الملك ، وإتساع رقعة مملكة اليهود فى عهده وعهد خليفته سليمان عليه السلام ، وبناء الأخير هيكل سليمان فى أورشليم ، التى كان قد استولى عليها داود ، وأقام فيها عاصمة المملكة . وقد كان عمر مملكة اليهود المتحدة فى عهدى داود وسليمان قصيرا لا يتجاوز ثمانين عاما ، ثم انقسمت بعد وفاة سليمان إلى دويلتين : إسرائيل وعاصمتها (السامرة) ويهودا وعاصمتها (أورشليم) ، ونشبت الحروب بين الدويلتين ثم استولى الأشوريون على السامرة عام ٧٢٢ ق . م . واقتادوا الكثيرين من أهلها إلى أشور ، وقد اختفت منذ ذلك الوقت القبائل اليهودية العشر التى كانت تعيش فى مملكة السامرة ، ويختلف المؤرخون بشأن مصيرها وإن كان الراجح أن أفرادها تزاوجوا من الأشوريين واندمجوا معهم ، وفى عام ٥٨٦ ق . م قضى نبوخذ نصر ملك بابل على دويلة يهودا ، ودمر أورشليم وحرق الهيكل واقتاد ملكها وزعماءها والآلاف من سكانها إلى الأسر البابلى .

وتسجل التوراة الوقع الأليم للمنفى فى نفوس اليهود « على أنهار بابل هناك جلسنا . بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون . على الصفصاف فى وسطها علقنا أعوادنا . . كيف نُرنم ترنيمة الرب فى أرض غريبة . إن نسيتك يا أورشليم تنسى يمينى ، يلتصق لسانى بحنكى إن لم أذكرك ، إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحى » (مزامير ـ ١٣٧) . ومع ذلك ، فقد أوردت التوراة ذاتها ما يدل على أن الجالية اليهودية فى بابل قد حققت لنفسها الثراء وتلقت معاملة كريمة من ملكها (دانييل ١ و ٢) .

فى فترة الأسر البابلى (الجالوت) ، التى استمرت حوالى نصف قرن ، عمل أنبياء بنى إسرائيل من أمثال حزقيال واشعيا على الحفاظ على الديانة اليهودية ، والدعوة إلى إعادة بناء الهيكل ، وأصبح (المعبد السيناجوج) محل العبادة حيث كان يجتمع اليهود لإقامة الصلوت وتلاوة التوراة ، ولكن توقف تقديم الأضحية إذ أنها لا تقدم إلا فى الهيكل . كما عمل الأنبياء على إحياء أمل يهود المنفى فى العودة إلى « أرض إسرائيل » ، داعين إياهم إلى الصلاح والتوبة حتى يصفح عنهم الرب . وفى عام ٥٣٩ ق . م هزم قورش ملك الفرس البابليين ، وسمح لمن يشاء من اليهود بالعودة إلى بلادهم ، ففضل فريق البقاء فى بابل وعاد الآخرون وبنوا الهيكل من جديد .

ولكن الهيكل دمر مرة أخرى على أيدى أنطوخوس الملك السلوقى الذى أخمد ثورة المكابيين (١٦٧ ـ ١٦٤ ق . م) وأعيد بناء الهيكل فى عهد الرومان ، وقامت ثورة جديدة بقيادة باركوخبا (١٣٢ ـ ١٣٥ م) فأخمدها الرومان .

ودمر الهيكل نهائيا عام ٧٠م على يد تيتوس ، الذى حرق الهيكل ولم يبق منه سوى الحائط الغربى (المسمى بحائط المبكى) وطارد الثوار The zealots الذين تحصنوا فى قلعة ماسادا وآثروا الانتحار على الاستسلام .

وكان اليهود قد بدأوا يهاجرون من فلسطين منذ القضاء على ثورة باركوخبا ، ثم تزايد عدد المهاجرين بعد تدمير تيتوس للهيكل ، وبدأت مرحلة الشتات اليهودى فى بلدان الامبراطورية الرومانية .

وأصبحت فلسطين جزءا من الامبراطورية الرومانية البيزنطية ، منذ القرن الرابع الميلادى إلى أن فتحها العرب عام ٦٣٣م . وظلت تحت حكم الدولة العربية والإسلامية إلى أن سلخت من الامبراطورية العثمانية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، ووضعت تحت الانتداب البريطانى منذ عام ١٩٢٢م ، ثم أقيمت عليها دولة إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨م .

التوراة كمصدر للتاريخ :

التوراة هى مصدر التاريخ القديم لليهود . وقد ظلت الفكرة السائدة ـ كما سبق القول ـ هى أن الخمسة أسفار الأولى قد أنزلت حرفيا على موسى عليه السلام عند جبل سيناء ، الأمر الذى لايزال اليهود الأرثوذكس متمسكين به ، ومؤمنين بأنها وحى الله المنزل إلى شعبه «إسرائيل» .

غير أن الخبراء المتخصصين فى دراسات التوراة ، انتهوا فى أبحاثهم إلى أن الأسفار الخمسة الأولى من التوراة قد جمعت من مصادر مختلفة . فقد توصل العالمان الألمانيان كارل هينريخ ، ويوليوس فلهاوزن إلى أن الاختلافات التى تتضمنها الأسفار لا يمكن تفسيرها إلا بأنها مجموعة من أربعة مصادر مختلفة . وقد أطلقوا على هذه المصادر رموزا هى : J و E و D و P . فالرمز الأول « J » الحرف الأول من اسم إله إسرائيل يهوا JHWH يرمز إلى مصدر من القرن التاسع قبل الميلاد وموطنه مملكة يهودا . والثانى «E» ، الحرف الأول من اسم الإله ، كما استعمل فى وقت

كتابته إيلوهيم ELOHIM ويرمز إلى مصدر من المملكة اليهودية الشمالية فى القرن الثامن قبل الميلاد . أما الثالث « D » ، فهو الحرف الأول من Deuteronomy سفر التثنية ، ويرمز إلى مصدر من القرن السابع ، والرابع «P» الحرف الأول من كلمة Priests (الكهنة) يرمز إلى مصدر من القرن السادس الميلادى كان يركز اهتمامه على شئون الكهنة ومسائل الأضحية .

ويتفق علماء الدراسات التوراتية على أن الأسفار الخمسة الأولى للتوراة - وهى مجموعة من مصادر مختلفة ليست بالضرورة مصادر مكتوبة ، بل قد تكون روايات سائرة - لم يكتبها موسى عليه السلام .

ومن ناحية أخرى ، فإنه نظرا لأن التاريخ المصرى القديم - وهو التاريخ المكتوب عن تلك المرحلة التاريخية - قد جاء خلوا من تاريخ بنى إسرائيل إلا بإشارة عابرة (*) - فقد نشطت حركة التنقيب عن الآثار بهدف التوصل إلى ما يثبت الحقائق التاريخية لما ورد فى التوراة .

وقد جاءت نتائج التنقيب متناقضة مع كثير من الروايات التى أوردتها التوراة . وقد سبقت لنا الإشارة إلى الرواية التى تعارض الرواية التى جاءت فى سفر يشوع ، عن غزو بنى إسرائيل لمدينة أريحا وسقوط حائطها على أيديهم . كما أثبت علماء الآثار أن المدينة الثانية (عاى) التى يذكر السفر أن اليهود فتحوها ، كانت قد تحطمت فى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد ، ولم تسكن مرة أخرى إلا منذ القرن الثانى عشر قبل الميلاد . وبوجه عام أكدت النتائج أن المواقع الأخرى التى سجل السفر أنها سقطت أمام الغزو اليهودى إما إنها كانت غير مأهولة ، أو كان تدميرها قد وقع بعد قرن من الزمان فى زمن هجوم الفلسطينيين القادمين من كريت .

وبالرغم من جهود العلماء الإسرائيليين من أمثال إيجال يادين ، وعدد من العلماء الأمريكيين لمحاولة إثبات الحقيقة التاريخية لقصة الغزو اليهودى كما وردت فى التوراة ، فإن الدراسات التوراتية قد أثبتت أن دخول بنى إسرائيل أرض كنعان كان سلميا ، وعن طريق التسلل ، وأنهم كانوا يبتعدون عن المدن ، ويعيشون فى المناطق الجبلية .

(*) المقصود بهذه الإشارة العبارة المكتوبة على لوحة مرنبتاح ابن رمسيس الثانى . « سحق إسرائيل ولم يبق له نسل » ، وتشير إلى تواجد قوم إسرائيل فى أرض كنعان .

ويبدو أن أجزاء كبيرة من التوراة قد كتبت أثناء فترة السبى البابلى ، وأن كتبتها قد تأثروا بوجه خاص بفتوحات رمسيس الثالث ملك مصر ، حيث إن الروايات التى تتضمنها أسفارها عن فتوحات بنى إسرائيل ، ومملكة داود وسليمان تشبه إلى حد كبير ما تضمنه التاريخ المصرى القديم عن حروب ذلك الفرعون (*) .

العهد الإلهى :

العقيدة الأساسية فى اليهودية هى العهد الإلهى لإبراهيم (عليه السلام) ، والذى أصبح عهداً بين الإله وبين بنى إسرائيل بأن يعطيهم الأرض التى يعيشون فيها ، على أن يعبدوه ويخدموه ويتبعوا شريعته .

فالإله هو رب إسرائيل ، والأرض هى الأرض المقدسة ، وبنو إسرائيل هم الشعب المختار ، والعهد (أو العقد أو التحالف) هو تعهد من الإله بإعطائهم هذه الأرض المقدسة مقابل عبادته وطاعته وتطبيق وصاياه وقوانينه الإلهية .

وقد جاءت أول إشارة إلى هذا العهد فى الإصحاح الثانى عشر من سفر التكوين ، عندما خاطب الإله إبراهيم أثناء وجوده فى شيشم (نابلس الحالية) قائلاً : « لك ولذريتك سوف أعطى هذه الأرض » .

وعندما كان إبراهيم واقفا على تل قريب من بيت إيل ، تلقى هذه الكلمات « كل هذه الأرض التى تراها سوف أعطيها لك ولذريتك إلى الأبد » (الإصحاح ١٣ من سفر التكوين) ثم يصبح العهد أكثر صراحة وتحديداً « لك ولذريتك أعطيت هذه الأرض : من نهر مصر إلى النهر العظيم . . نهر الفرات » .

وبعدها ، يتكررالعهد مع اسحق (عليه السلام) ، ويستبعد نسل إبراهيم من ميراث الوعد ويحل محلهم نسل سارة « عهدى أقيمه مع اسحق الذى تلده لك سارة » ، وهكذا يحرم أبناء اسماعيل من العهد الإلهى . ثم يتكرر العهد إلى موسى (عليه السلام) وبنى إسرائيل فى سيناء ، « وقال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذى أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التى حلفت لإبراهيم واسحق

(*) أحمد عثمان : تاريخ اليهود

ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها » (سفر الخروج - الإصحاح ٢٣) وبعد موت موسى كلم الرب يشوع بن نون خادم موسى قائلا : « موسى عبدى قد مات . فالآن أعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبنى إسرائيل . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيه كما كلمت موسى ، من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات ، جميع أرض الحيثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تحكمكم (يشوع - الإصحاح الأول) .

وأخيرا ، يصبح العهد أبديًا فى بيت داود (عليه السلام) ، فإن الرب يكافئه على ولائه له ، فيعده بأنه هو وذريته سوف يحكمون إلى الأبد «متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك ، أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته ، هو يبنى بيتًا باسمى ، وأنا أثبت كرسى مملكته إلى الأبد» (صمويل الثانى - ١٤) .

ومن الواضح أن تصوير التوراة للعهد الإلهى يجعل منه عهدا أبديا ، يبدأ من الوحى الذى أنزله الرب إلى إبراهيم ، ويظل ممتدا وقائما إلى الأبد فى بيت داود الذى يعده الإله بأن مملكته سوف تظل فى ذريته إلى أبد الآبدين .

وقد أثار حرص كتبة التوراة على تأكيد أبدية هذا العهد انتباه الخبراء المتخصصين فى دراسات العهد القديم ، حيث لاحظوا إن هذا التأكيد استمر إلى ما بعد القضاء على مملكة داود وذريته من بعده فى عام ٥٨٧ . وذهب أحدهم (فرانك مور كروس) إلى أن كاتبين مختلفين حررا سفر الملوك ، أحدهما كان يعيش فى عهد الملك يوشيا ، وكان متفائلا وواثقا من أبدية مملكة داود ، والآخر عاصر تدمير المملكة ، وروى فى الفصلين الأخيرين من سفر الملوك الثانى ما حدث فى عهد الملوك الأربعة الأخيرين لمملكة يهودا وأبقى على الرواية السابقة على حالها .

ويذكر الدكتور أحمد عثمان فى كتابه عن « تاريخ اليهود » (الجزء الأول - دار الشروق) أنه من السهل لنا أن نلاحظ وجود اختلافات - تبدو أحيانا متناقضة - فى محتوى هذه القصة (قصه العهد الإلهى) والسر وراء هذه الاختلافات ، كما أظهرت أبحاث علماء الدراسات التوراتية هو أن القصة قد جمعت من ستة مصادر مختلفة بعضها كان مكتوبا ، والبعض كان يتداول شفويا ، وتم جمع هذه الروايات وتدوينها للمرة الأولى فى بابل خلال القرن السادس قبل الميلاد ، بعد مرور ثمانية قرون على وفاة موسى .

أما بالنسبة للمقصودين بالعهد الإلهي ، فإن ألفريد جويوم أستاذ دراسات العهد القديم بجامعة لندن ، يرى أن كلمة نسلك thy seed فى كلام الرب إلى إبراهيم لا شك تشمل العرب من أبناء اسماعيل ، فالتوراة تنص صراحة على ما قاله الإله لإبراهيم « ومن أبناء الجارية أيضا سوف أصنع أمة لأنهم من نسلك » ، كما أنه يرى - بالنسبة لشروط العهد مع موسى - أنه كان مشروطا باخلاص اليهود واتباعهم الوصايا والقوانين الإلهية ، فقد حذر موسى بنى إسرائيل بأن عصيانهم سوف يوقع عليهم لعنة الرب الذى سيشتتهم فى كل أنحاء الأرض (*) .

ويعتبر المسيحيون العهد الإلهى موجها إلى كافة المؤمنين ، فإسرائيل - بحسب قول بول الرسول - هى جماعة كل المؤمنين . ويذكر القس المسيحى الدكتور أوفيد سيلارز أستاذ العهد القديم « إن المسيحى الذى يستند إلى الكتب المقدسة لا يعتبر إسرائيل وحدة جغرافية أو عنصرية أو سياسية ، وإنما يعتبرها جماعة المؤمنين . . إسرائيل الرب » كما يرى القس جوناثان شيرمان « إن الله قد وعد بميثاق جديد ليس مكتوبا على الألواح الحجرية بل فى قلوب الناس ، وبدلا من الانتصار على الأعداء البشر ، فإن عيسى يعطينا النصر على الخطيئة والموت » .

ومن ناحية أخرى ، يتساءل عدد من المفكرين عن بنى إسرائيل المستفيدين بالعهد الإلهى ، مدللين على أن اليهود الحاليين - بعد تشتتهم واختلاطهم بالأجناس المختلفة فى العالم - لا يمكن اعتبارهم أبناء العبرانيين فى زمن ابراهيم ويعقوب .

وعلى أية حال ، فإن المتدينين اليهود ، بوجه عام ، يعتبرون أنفسهم أصحاب العهد الإلهى الذى أصبحوا بناءً عليه ورثة أرض إسرائيل ، وأن عليهم واجبا مقدسا باستيطانها وتطبيق الشريعة الإلهية فيها .

أما حدود « أرض إسرائيل » ، فقد تداخلت العوامل السياسية والتاريخية اليهودية مع التفسيرات الدينية فى تحديدها على نحو ما نتعرض له فيما بعد .

المسيحانية اليهودية :

ينطلق الفكر اليهودى من أسطورة دينية مفادها أن اختيار الإله لإسرائيل كان

(*) Sami Hadawi - Bitter Harvest.

بالخطوة الأولى لبلوغ غاية مرسومة هى إقامة المملكة الإلهية وخلاص البشرية فإن عليها أن تنقل إلى الأمم الرسالة الربّانية وتتضمن التوراة التاريخ اليهودى (والمسمى التاريخ المقدس) ، باعتباره حلقات تنتهى بتحرير الإنسان ، ويتدخل الإله لكى ينصر الخير على الشر ويمهد للعهد المسيحانى . وسوف يظهر المسيح ، ويحطّم الأمم العاصية ويهزم الملوك الذين يهاجمون صهيون (يلاحظ أن كلمتى إسرائيل وصهيون تعبران عن شعب إسرائيل وأرضها) ، ويقاتل يأجوج ومأجوج ، وينتصر رب إسرائيل وتؤمن به جميع الأمم وتخضع لحكمه ، ويعود المنفيون من شتاتهم وتولد (صهيون) من جديد ويقام المعبد فى القدس ويقيم فيه رب إبراهيم ، وعندئذ يسود السلام والعدل بين الأمم وتختفى الحروب ويزول الفقر والمرض .

ويصف أنبياء إسرائيل يوم الرب ، فيقول إشعيا : « ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال ، ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه الأمم وتسير شعوب كثيرة ، ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرفه ونسلك فى سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب فيقضى بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل . لا ترفع أمة على أمة سيفا ، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد» (إشعيا ـ الإصحاح الثانى) .

فخلاص البشرية يتبع خلاص إسرائيل ، فهى التى عقد الإله معها ميثاقا لا ينفصم ومهما كانت معصيتها ، فإنه يعاقبها بالشتات فى المنفى من أجل تطهيرها ، ثم يصفح عنها « لأن بنى إسرائيل سيبقون خلال أيام طويلة بدون ملك وبدون رؤساء . وبعد ذلك سوف يعود بنو إسرائيل ، وسوف يبحثون عن إلههم الأبدى ، وعن داود ملكهم ، ويسارعون مرتعدين نحو إلههم » .

فالنبؤة الدينية ، هى العودة إلى الإله ، كما أنها عودة بنى إسرائيل إلى الأراضى المقدسة « حيث يعقد الرب تحالفا جديدا معهم وتعود لهم عزتهم وقوتهم . ويضع الإله حداً لترمل إسرائيل » . ويخاطب إشعيا إسرائيل قائلا . « ارفعى عينيك حواليك وانظرى . قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك . يأتى بنوك من بعيد وتحمل بناتك على الأيدى . حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتى إليك غنى الأمم» (إشعيا ـ الإصحاح ٦٠) .

فإعادة بناء إسرائيل سياسيا هى ـ لدى أنبياء اليهود ـ شرط مسبق للمسيحانية . والمسيح نفسه من نسل داود ، وهو الذى يعيد عرش داود من جديد .

وقد طرأ على الفكر المسيحانى تطور حاسم، منذ إخماد الرومان لثورة باركوخبا عام ١٣٥ ميلادية ، فقد قامت ثورته للمطالبة باستقلال اليهود وإقامة شعائر الهيكل ، واعتبره زعيم الحاخامات فى ذلك الوقت المسيح المخلّص ، ولكن انتهت الثورة بموت آلاف اليهود واستعباد من بقى منهم .

وبعد تدمير الهيكل سنة ٧٠ ميلادية ، انتقل اهتمام الحاخامات إلى دراسة الشريعة اليهودية والدعوة إلى انتظار مشيئة الإله ، وتحريم العمل من أجل الخلاص ، والأمر بالتخلى عن الأفكار المسيحانية ، وعدم استعجال نهاية الزمان أو السعى للتعجيل بها ، ووصفوا باركوخبا بأنه مسيح دجال .

وتولى الحاخامات الغربيون تطويع الشريعة والأعياد لحياة الشتات بعيداً عن القدس، وتضمنت تعاليمهم أن اليهودى يمكنه أن يؤدى فرائضه فى كل مكان ، وليس لزاما عليه أن يحج إلى القدس وإنما يكفيه أن يتذكرها ويذكر الهيكل . ومع ذلك ، فقد عملوا على إبقاء ذكرى الأ راضى المقدسة حية فى نفوس يهود الشتات ، فعلى اليهودى أن يتلو فى صلواته ثلاث مرات فى اليوم الدعاء بإنزال الرحمة على شعب إسرائيل وعلى القدس ، وأن يصوم ثلاثة أسابيع إحياء لذكرى هدم الهيكل .

وفى أزمنة الاضطهادات والاضطرابات ، كان اليهود البسطاء يتعلقون ببعض الشخصيات ويتبعونها تحت تأثير الفكرة المسيحانية . ومن أشهر هذه الشخصيات شابتاى تسفى الذى ظهر فى القرن السابع عشر فى فلسطين ، (بعد مقتل الآلاف من يهود أوربا الشرقية على أيدى القوزاق)، وتجاوبت معه أكثرية اليهود فى تجمعاتهم فى أنحاء العالم ظنا منهم أنه المسيح المخلص . وقد استحدث شرائع جديدة وأبطل فرائض ، وغير التقويم إيذانا ببدأ العهد المسيحانى . وإزاء هذه الاضطرابات التى أحدثها ـ حيث استعد اليهود فى كل مكان لاستقباله ، أو السفر إليه ـ قام السلطان العثمانى بسجنه وخيره بين القتل ، أو اعتناق الإسلام فاختار الخروج من اليهودية واعتناق الدين الإسلامى .

وكان موسى بن ميمون قد حذر من اجتذاب اليهود نحو المسحاء الدجالين فلا قبل لأحد أن يعرف تفاصيل هذا الأمر وما شابهه حتى يقع ، لذلك ليس لأحد أن يشغل

نفسه بالأفكار الخرافية . . وليس له أن يحسب زمان قيام الساعة ، فقد قال الحاخامات : ملاعين هم أولئك الذين يحسبون لقيام الساعة ، وعلى المرء أن ينتظر مجيء المسيح ويسلم بهذه العقيدة ، فالإله وحده هو القادر على إحلال العصر المسيحانى فى زمن لا يعلمه أحد غيره .

المذاهب اليهودية :(*)

التوراة ، هى المصدر الأول للديانة اليهودية . وتشمل إلى جانب التعاليم والأحكام الدينية مجموعة القوانين والعادات وأنماط الحياة وقواعد السلوك، كما أنها كتاب التاريخ والتشريع والأناشيد. وتستخدم كلمة التوراة حاليا للإشارة إلى أسفار موسى الخمسة المكتوبة باليد والمحفوظة فى تابوت العهد فى المعبد اليهودى.

ويؤمن اليهود بأن هناك شريعتين : مكتوبة ، وشفوية ، الأولى ، هى ما تلقاها موسى عند جبل سيناء ،والثانية هى التى يتناقلها الحاخامات عن موسى ولها نفس قداسة التوراة المكتوبة .

والتلمود هو الشريعة الشفوية ، وهو موسوعة تشمل موضوعات متعددة تتضمن الدين والشريعة والتاريخ والعلوم والآداب والزراعة والصناعة والأطعمة وغيرها وقد بدأ تدوين التلمود فى بداية العصر المسيحى واستغرق تأليفه حوالى ٥٠٠ عام . ويوجد تلمودان : التلمود البابلى ، والتلمود الأورشيليمى . ويتكون كل منهما من : المشناه-والجماراه (التى تنقسم بدورها إلى واحدة كتبت فى فلسطين، والأخرى فى بابل وهى أشمل من الأولى) والتلمود عبارة عن تفسير الحاخامات للعهد القديم يتناسب مع أوضاع اليهود فى الشتات ، ولذا فإنه يعكس مشاعرهم تجاه الأغيار ويختص اليهود بمكانة خاصة متميزة عن غيرهم من الشعوب ، وتغلب على أحكامه النزعة الانعزالية المتعالية . ويستخدم تعبير « الهالاخاه » للدلالة على الجانب التشريعى لليهودية ككل. وإلى جانب التوراة والتلمود ، توجد كتب صوفية مثل كتب « القبالة » أى علم التأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود ، وأهمها كتاب « الزوهار »

(*) الدكتور عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية .

الذى يعالج موضوعات تتعلق بالخالق وطبيعته وصلته بالمخلوق ومراحل الكشف عن نفسه . . إلخ .

وهناك مذاهب يهودية متعددة أهمها : الإصلاحية ـ والأرثوذكسية ـ والتجديدية والمحافظة .

فاليهودية الإصلاحية ، تعتبر ثمرة مباشرة لحركة الاستنارة اليهودية ولفكر منديلسون (وسوف نشير إلى هذه الحركة فيما بعد) ، حيث حاول مؤسسو هذا المذهب صياغة اليهودية بما يتلاءم مع العصر ، ووضع المعتقدات الدينية فى إطار تاريخى ، والتمييز بين ما هو مطلق منها وما هو مرتبط بزمان أو مكان معين . وقد ذهبت اليهودية الإصلاحية إلى أن الكتاب المقدس ليس من صنع الإله وإنما هو وثيقة من صنع الإنسان ونتاج وعيه التاريخى ، وأن بعض تقاليد اليهودية فقدت صلتها بالواقع ويجب تطويرها . وقد اتخذت موقفا معاديا من الصهيونية على نحو نبينه فيما بعد . أما اليهودية الأرثوذكسية ، فتعد من أهم المذاهب اليهودية فى العصر الحديث . وتعد رد فعل للتيارات الإصلاحية المشار إليها . وقد تزعم الحركة الأرثوذكسية الحاخام سيمون هيرش ، الذى انتقد اليهودية الإصلاحية واعتبرها ترتكز على مبادئ غير يهودية ، فالتوراة ـ بحسب هذا المذهب ـ هى كلام الله ، وقد كتبها حرفا حرفا ، وقيمتها خالدة إلى الأبد ، وعلى الشعب اليهودى اتباعها والإيمان بالشريعة المكتوبة والشفوية وكل الكتب الحاخامية . وتنادى الأرثوذكسية بعدم التغيير أو التطوير ، وتدافع عن كل العقائد والأساطير القديمة ، وتعتقد فى صحتها مثل ظهور المسيح والعودة إلى فلسطين ، وأن اليهود هم شعب الله المختار الذى يجب أن يعيش منعزلا لتحقيق رسالته . وتسيطر اليهودية الأرثوذكسية على الحياة الدينية فى إسرائيل ، إذ تسيطر على دار الحاخامية الرئيسية وعلى وزارة الشئون الدينية .

وأما اليهودية المحافظة ، فتشغل مكانا وسطا بين الأرثوذكسية والإصلاحية . فهى تأخذ بالتقاليد الحاخامية ، ولكنها تفسر الشريعة وفقا لمتطلبات الحياة الحديثة . وتتخذ موقفا إيجابيا من التطلعات القومية اليهودية وإقامة الوطن القومى اليهودى . وتختلف عن الأرثوذكسية فى معارضتها لفكرة البعث . وتقوم أهداف اليهودية المحافظة على ثلاثة مبادئ : تقوية وحدة عالمية إسرائيل ـ ودوام التقاليد اليهودية ـ ورعاية التعليم اليهودى . ولا تقيد نفسها بعقيدة جامدة وإنما تتخذ موقفا متسامحا تجاه الممارسات الدينية لأعضائها .

وقد انبثقت منها حركة تجديدية وضع أسسها الحاخام موردخاى كابلان ، تقوم على أساس أن الدين اليهودى وجد للشعب اليهودى وليس العكس . فاليهودية حضارة يشغل الدين فيها مركزا هاما إلى جانب اللغة والقانون والآداب والفنون . فالحركة التجديدية تحاول الوصول إلى صيغة للدين تلائم أوضاع الأمريكيين الذين يعيشون فى ظل حضارة علمانية براجماتية . فكابلان ينكر الوحى الإلهى ويعتبر الدين اختراعا إنسانيا وتعبيراً حضاريا عن روح الشعب ، ويقدس التراث اليهودى بدلاً من تقديس الله ، ومحور الحياة اليهودية هو الشعب اليهودى . وبالرغم من اختلاف كابلان عن الصهيونيين فى تأكيده على أهمية الدياسبورا (الحياة فى المنفى) واستقلالها ، فإنه يتفق معها على ضرورة وجود دولة يهودية تعد بمثابة المركز للجماعات اليهودية فى العالم .

وأخيرا ـ فإن هناك « الحسيدية » ، وهى حركة دينية صوفية بدأت فى بولندا وأوكرانيا وانتشرت فى شرق أوربا حيث كان يسود البؤس والخوف حياة الجماعات اليهودية . وتقوم على أساس أفكار المزج بين الشعب والأرض والخالق وحلول الله فى مخلوقاته المختلفة . وتدعو إلى محبة أرض إسرائيل وكراهية الأغيار وتعتقد فى «التساديك » (الولى المقدس) . وقد عارض الحسيديون الصهيونية فى بداية الأمر ، ولكنهم أصبحوا من المتشددين فى المطالبة لإسرائيل بحدودها التاريخية . وقد تأثر عدد كبير من المفكرين والزعماء الصهيونيين بأفكارهم .

وعلى أية حال ، فإن من أهم المعتقدات اليهودية ، التى تعنينا فى هذا المجال ، هى : أن اليهود شعب الله المختار وأنهم تلقوا وعدا إلهيا وعقدوا مع الرب تحالفا لعبادته وطاعته مقابل منحهم أرض إسرائيل ، وإعلاء شأنهم على كافة الأمم ـ وأن الإله سوف يبعث مسيحا من نسل داود يعيد مجد إسرائيل ويجعل لها الغلبة على الأمم .

التفسير الصهيونى للتاريخ اليهودى : (*)

يتصور الفكر الصهيونى أن يهود العالم الحديث هم ورثة أسباط إسرائيل الاثنى عشر ، ويعتبرون دولة إسرائيل الحالية هى كومنولث اليهود الثالث ، ويرون أن الدعوة

(*) الدكتور عبد الوهاب المسيرى : المرجع السابق

إلى العودة متصلة منذ بداية التاريخ اليهودى حتى تيودور هيرتزل مؤسس الصهيونية . ويتغاضون بذلك عن الظروف التاريخية المتغيرة . ويدافعون عن فكرة القومية اليهودية التى تستند إلى تراث تاريخى مشترك . وتتداخل فى كتابات مفكريهم مراحل التاريخ المقدس وتاريخ العبرانيين ، وتواريخ الأقليات اليهودية المشتتة فى البلاد المختلفة .

ويرى اليهود ، بوجه عام ، أن التاريخ اليهودى تاريخ مقدس تحركه الإرادة الإلهية . فإله إسرائيل يتدخل منذ البداية فى إنشاء الأمة اليهودية ، وتطورها التاريخى منذ إبرام عهده مع إبراهيم عليه السلام ، ثم مع نسله وهو الذى مكنهم من غزو أرض وإقامة مملكتهم القديمة ، ثم أراد نفيهم وشتاتهم . كما أنه هو الذى أعادهم إلى فلسطين حيث أقاموا دولتهم . فتاريخهم خطة ربانية مسبقة وضعت قبل بدء التاريخ . ويرون أن للتاريخ هدفا واحدا هو السير نحو الزمن المسيحانى حيث يظهر المسيح الذى يعود باليهود إلى أرض الميعاد لكى يؤسسوا حكومتهم العالمية فى صهيون .

ولذا فإن التاريخ اليهودى يلغى أى تدخل إنسانى ، إذ أنه مدفوع من خارج الإرادة البشرية ، وهكذا وقفت الجاليات اليهودية فى الشتات خارج التاريخ مؤمنة بأن خلاص إسرائيل آت على يد المسيح ، وشغلت نفسها بالدراسات التلمودية دون سواها .

وقد اعتنق مفكرو الصهيونية نفس الرؤى التلمودية والقبالية المثالية . فالفيلسوف بوبر يصوّر تاريخ اليهود بأنه تاريخ يتدخل فيه الرب ، والأمة اليهودية أمة تحمل وحيا إلهيا عبر تاريخها المقدس ، ويتفق معه فى ذلك كان سيركين الصهيونى العمالى بشأن تداخل التاريخ المقدس مع التاريخ الإنسانى . وقد كان لهذا الأمر أثره الخطير على مواقف ساسة إسرائيل ، فالحدود التاريخية لإسرائيل هى الحدود المقدسة من نهر مصر إلى الفرات ، وهى حدود لم يصل إليها اليهود فى تاريخهم القديم ولكنها منصوص عليها فى التوراة ، ويتوقف تاريخ فلسطين عندهم منذ شتاتهم ، فهم يلغون من تاريخها ، قرونا طويلة من الزمان أصبحت خلالها بلدا عربية خالصة . وتفسر هذه النظرة الصهيونية للتاريخ اليهودى التطرف الذى تتسم بها مواقفهم حتى اليوم .

وواقع الأمر أن التاريخ اليهودى القديم هو أساسا نتاج وجود اليهود فى المنفى ، حيث جمعت الروايات بشأنه وبدت متناقضة فى كثير من الأحيان على نحو ما أثبته علماء الدراسات التوراتية . أما تاريخ اليهود فى الشتات ، فلم يكن تاريخا مستقلا ، وإنما كان فى كل بلد عاشوا فيها جزءا من تاريخ ذلك البلد .



الفصل الثانى

المسيحانية بين الدين والسياسة

اليهود فى الشتات :

إذا كان الميراث الدينى والتاريخى القديم لليهود قد طبعهم بطابع التعالى والشعور بالتميز بالميثاق الأبدى الذى عقده الإله معهم ، وجعل منهم شعبه المختار ووعدهم بالسيادة - فى نهاية العالم - على بقية الأمم الجوييم أو الأغيار ، فإن حياتهم فى الدياسبورا (الشتات) قد بلورت الجانب القومى من هذا التراث ، فاصبغطت العقيدة الدينية بالقومية المتطرفة ، وتحولت المسيحانية الدينية إلى دعوة سياسية .

عاش اليهود المشتتون فى أنحاء الأرض منعزلين عن مجتمعاتهم داخل « الجيتو » ، رافضين على مدى القرون الطويلة الاندماج وسط الشعوب الأخرى (الجوييم) ، يمارسون طقوسهم الدينية ويدرسون التوراة والتلمود فى مدارسهم ومعابدهم الخاصة ويتبعون نظاما خاصا بهم فى المأكل والملبس .

وأحسوا بأنهم غرباء فى البلدان التى عاشوا فيها ، كما أحس سكان تلك البلاد بأن اليهود أجانب تربطهم بأبناء دينهم فى البلاد الأخرى روابط أوثق منها معهم . ولعب العداء الدينى لليهود دورا حاسما فى تحديد العلاقات بين اليهود فى البلدان المسيحية وبين بقية المواطنين . فالمسيحيون يتهمون اليهود بأنهم قتلة المسيح وأنهم يتآمرون دائما لإضعاف المسيحية والقضاء عليها ، وتثير شكوكهم تلك العزلة التى فرضها اليهود على أنفسهم داخل الجيتو وتحملهم على الاعتقاد بأنهم يعملون فى هذه الأماكن المغلقة على تدبير المؤمرات ضد بلادهم ، ويتهمونهم بأنهم يذبحون الأطفال المسيحيين قربانا لإلههم .

ويشهد التاريخ أنه حتى بداية العصر الحديث لم يتمتع اليهود بالتسامح الدينى سوى تحت حكم الإسلام سواء فى المشرق أو أسبانيا الإسلامية .

ففى الدولة الإسلامية ، شارك اليهود فى كل جوانب الحياة الاقتصادية والثقافية وتقلدوا المناصب العليا ، وكان منهم أطباء ومستشارون للأمراء . وفى الإمبراطورية العثمانية تمتعوا بحرياتهم فى ظل نظام الملّة الذى يحترم الأديان .

أما تحت حكم الرومان والبيزنطيين ، فقد كان التعامل معهم يتوقف على عقيدة الحاكم ومزاجه ، وكانوا فى كل العهود رعايا لا مواطنين .

ومنذ طردهم (هم والمسلمين) من أسبانيا فى أواخر القرن الخامس عشر . تفرقوا فى بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا حيث عاشت جماعات منهم فى ظل السماحة الدينية للإسلام ، وعرفت هذه الطائفة بالسيفارديم ، كما هاجر البعض إلى الدول الأوربية ، وخاصة إيطاليا وهولندا وانجلترا وألمانيا حيث عرفوا بالاشكنازيين .

وفى شرق أوربا ، كانت بعض قبائل التتار قد اعتنقت الدين اليهودى وعرفوا بيهود الخزر ، وبعد سقوط مملكة الخزر ، انتشر عدد منهم فى منطقة القرم . وأصبحت بولندا دولة المهجر الرئيسية ، حيث قدر عددهم فيها عام ١٦٥٠ بحوالى نصف المليون ، وكانوا يتمعتون فيها بقسط وافر من الحكم الذاتى إلى أن أعملت فيهم جيوش شمبليتكى الأوكرانى المذابح ودمروا جاليتهم فى عام ١٦٥٨ ، ثم تزايد عدد اليهود فى روسيا نتيجة وقوع بولندا تحت حكم قيصرها .

وفى عام ١٦٤٨ ، عقد صلح وستفاليا الذى أرسى نظام الدولة الأممية الحديثة ، ورفضت الدول الأوربية منح اليهود صفة المواطنين فيها . وأصبح اليهود أكثر عزلة فى الدول الحديثة التى طبقت مبدأ وجود دين واحد شرعى فى الدولة ، كما أدت حركة الإصلاح البروتستانتى - المتأثرة بالأفكار اليهودية - إلى ازدياد نقمة الكنيسة الكاثوليكية عليهم ، فأعادهم البابا بول الرابع إلى الجيتو ، وألزمهم بلبس شريط أصفر تمييزاً لهم ، وضيق خلفاؤه من نشاطهم التجارى .

وظلت أوضاع الجاليات اليهودية فى الدول الأوربية بهذه الحال طوال العصور الوسطى وحتى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، عندما نشطت الحركات الفكرية المطالبة بالمساواة فى الحقوق ، وأسهم اليهود بقسط وافر فى حركة التنوير وفى الثورة الفرنسية .

اندماج اليهود فى الدول الغربية :

بدأت أحوال اليهود فى أوربا فى التحسن فى القرن الثامن عشر ، ففى عام ١٧٨١ أعفوا من وضع الشريط المميز الذى كان عليهم ارتداؤه ، وأصدر جوزيف الثانى حاكم الامبراطورية الرومانية المقدسة مرسوما يمنح اليهود حرية التجارة والصناعة ، ويعطيهم الحق فى إرسال أبنائهم إلى مدارس الدولة ، كما يسمح بتجنيدهم فى الجيش الإمبراطورى .

وقد تبنت الثورة الفرنسية الأفكار الليبرالية ، وأصدرت إعلان حقوق الإنسان والمواطن الذى يسوّى بين المواطنين دون اعتبار لمعتقداتهم الدينية . وفى عام ١٨٠٧ . دعا نابليون بونابرت السانDRين اليهودى - الذى يمثل كل يهود العالم - للانعقاد للمرة الأولى منذ هدم الرومان للهيكل . وقد قرر السانDRين أن اليهود ليسوا أمة ، وأن اليهودية ديانة .

وفى الفترة من ١٨٠٨ حتى ١٨١٢ ، كانت الأسس قد وضعت فى بروسيا للاعتراف لليهود بالمساواة القانونية .

وأصدر مؤتمر فيينا الذى عقد لترتيب الأوضاع فى أوربا عقب هزيمة نابليون بونابرت ، قرارا يطالب الدول الألمانية بتحسين أحوال اليهود ، حيث كان عدد كبير من المفكرين الألمان فى ذلك الوقت يرون اليهود أجانب لا يمكن إدراجهم فى الحياة الثقافية الألمانية . وفى عام ١٨٦٩ أصدر برلمان اتحاد شمال ألمانيا قرارا بإلغاء القيود التى كانت موضوعة على اليهود فى مسائل الزواج والمهن والإقامة ، واعتبارهم مواطنين لهم كل حقوق المواطنة .

وبدأت ما تعرف بحركة التنوير اليهودى (هاسكالا) فى أواخر القرن الثامن عشر ، والتى ترجع جذورها إلى القرن السابق فى هولندا حيث حاول عدد من المفكرين اليهود تطويع المعتقدات اليهودية للتقدم العلمى . فقد انتعشت الجالية اليهودية فى هولندا مع قدوم اليهود الأسبان بثرواتهم ، وأصبحت مركزاً لتعليم التوراة والنشر بالعبرية . وبرز من هؤلاء المفكرين اسبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) ، الذى كتب نقدا للتوراة معتبرا إياها مصدرا تاريخيا غير سليم ، ومشككا فى الأحداث التى تضمنتها أسفارها .

وكان لموسى مندلسون (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦) ـ من بعده ـ أثر كبير على الفكر اليهودى . فقد كتب فى مؤلفه « أورشليم » مطالبا بالفصل بين الدولة والدين ، وذاكرا أن للشعب اليهودى مهمة فريدة هى إبلاغ بقية البشر بمعتقداته الدينية عن الله وصفاته ، والملاءمة بين هذه المعتقدات والحضارة الغربية . وقام بترجمة الأسفار الخمسة الأولى من التوراة إلى الألمانية . وبتأثير كتاباته أنشئت فى برلين عام ١٧٨١ مدرسة للتعليم الدينى والعلمانى معا ، وتبعه فى اعتناق أفكاره عدد من المفكرين اليهود (المسمين الماسكيليم) ، الذين أخذوا يناقشون المعتقدات اليهودية القديمة ، وينتقدون الآراء القائلة بأن اليهود يشكلون أمة ، وأنها ليست مجرد ديانة ، ويعتبرون دولة اليهود قد زالت منذ ألفى عام ولا سبيل إلى إحيائها ، بل إن كثيرين منهم اعتنقوا الديانة المسيحية . وازدهرت فى برلين بورجوازية يهودية غنية خالطت الأرستقراطية الألمانية وشاركت فى صالوناتها الأدبية ، وانتشرت فى الجالية اليهودية الزيجات المختلطة ، واعتنق أربعة من أبناء مندلسون المسيحية . وبالرغم من أن (الماسكيليم) ناقشوا فكرة إقامة وطن يهودى ، فإن مندلسون كان يرى أنها فكرة غير واقعية ولا تتحقق إلا إذا قامت حرب أوربية عظمى .

وقد أدت أفكار مندلسون إلى قيام حركة إصلاحية يهودية فى ألمانيا وأنشىء معبد إصلاحى فى هامبورج عام ١٨١٨ ، له كتابه الخاص للصلوات الذى يستبعد الأجزاء الخاصة بالعودة إلى صهيون وقدوم المسيح ، ولكن اليهود الأرثوذكس لجأوا إلى السلطات الألمانية لإغلاقه ، فأغلق عام ١٨٢٣ ومع ذلك ، فقد تأثر عدد من الحاخامات بالفكر الإصلاحى من أمثال ليوبولد زونز (١٧٩٤ ـ ١٨٨٦) ، الذى دعا إلى دراسة الديانة اليهودية دون فكر مسبق وعدم اعتبارها حقائق ثابتة . وعقد فى عام ١٨٣٨ أول مؤتمر إصلاحى وضع أسس المذهب الإصلاحى . كما عقدت ندوة فى بربسلاو عام ١٨٥٤ ، وأخرى فى المجر عام ١٨٦٧ ، وأنشئت مدرسة فى برلين عام ١٨٧٢ .

وبالرغم من أن الفكر الإصلاحى لم يعجب اليهود المتدينين (الأرثوذكس) ، فقد أصبح اندماج اليهود فى ألمانيا وغيرها من الدول الغربية حقيقة ملموسة . وعبر عن ذلك جابرييل ريزر قائلا « إن من ينازعنى حقى فى وطنى الألمانى ، إنما ينازعنى الحق فى أفكارى ومشاعرى واللغة التى أتكلمها والهواء الذى استنشقه ، بل يحرمنى من حقى فى الوجود» .

وقد تولى اليهود مهناً كانوا مبعدين عنها ، ومنها مهنتا الصحافة والنشر ، فأصبحت لهم صحفهم (ومنها سولاميت) وظهر من بينهم المفكرون والكتاب .

وحصل اليهود فى ألمانيا والامبراطورية النمساوية المجرية وإيطاليا واسكنديناڤيا على المساواة القانونية . وتميزت أوضاعهم فى الثلث الثانى من القرن التاسع عشر بالتقدم السياسى والاجتماعى والثقافى ، وازدهرت أماكن العبادة اليهودية ، وأنشىء الاتحاد الإسرائيلى العالمى فى باريس عام ١٨٦٠ ، والجمعية الإنجليزية اليهودية فى لندن عام ١٨٧٠ ، إلى جانب جمعيات مماثلة فى ألمانيا وروسيا .

وكان انصهار اليهود فى مجتمعات إيطاليا وفرنسا وإنجلترا أبعد مدى منه فى ألمانياالتى بدأت اتجاهات معادية للسامية فى الظهور فيها فى أواخر القرن التاسع عشر . ويرجع كونور أوبراين(*) التيارات المعادية لليهود إلى عاملين : أحدهما دينى مسيحى والآخر وطنى . أما العامل الأول، فيرجع إلى التقاليد المسيحية القائلة بأن اليهود شعب ملعون بسبب إنكاره للمسيح وصلبه، وقد زاد عليه إتهامهم بترويج أفكار التنوير التى أدت إلى إضعاف العقيدة المسيحية . وأما العامل الثانى، فهو اتهام اليهود بأنهم شعب عالمى لا ينتمى إلى دول معينة، وفى حين كان العامل الوطنى السبب الرئيسى لانتشار العداء لليهود فى ألمانيا بوجه خاص بسبب نمو الحركة القومية الألمانية، فإن العامل الدينى كان سبب انتشاره فى بقية دول غرب ووسط أوربا .

ومما أجج تلك الحركات المعادية للسامية تدفق أعداد كبيرة من يهود روسيا وبولندا على تلك الدول ـ نتيجة الاضطهادات التى تعرضوا لها فيهما ـ الأمر الذى أعطى تلك الحركات الطابع السياسى وأصبح لها مفكروها من أمثال يوجين دورنج وفردريش نيتشة .

وقد بلغ العداء للسامية فى ألمانيا ذروته منذ وصول هتلر إلى السلطة ، حيث يقدر اليهود عدد من قضى عليهم بحوالى ستة ملايين يهودى ، الأمر الذى كان له أثره الحاسم فى إقامة دولة إسرائيل .

أما فى الولايات المتحدة ، فقد تدفق عليها اليهود منذ عام ١٨٤٠ وسادت فيها اليهودية الإصلاحية ، وبرز من بين الحاخامات فيها صمويل هيرش (١٨١٥ ـ ١٨٨٩) وإيزاك وايز (١٨١٩ ـ ١٩٠٠) الذى عقد مؤتمراً للحاخامات فى فيلادلفيا عام ١٨٦٩ ، وأنشأ الاتحاد الأمريكى العبرانى (UAHC) ، وكلية الاتحاد العبرانى .

(*) Conor Cruise Obrien : The Siege (Weiden and Nicolson - London, 1986).

ووضع برنامج بتسبورج أسس المذهب الإصلاحى الأمريكى، واستبعدت التعاليم الدينية التقليدية الخاصة بالطهارة والزى ، كما استبعدت أفكار ظهور المسيح .

واندمج اليهود فى المجتمع الأمريكى اندماجا كاملا ، متمتعين بكافة الحقوق والحريات فى مساواة تامة مع بقيه أفراد الشعب ، وانتشرت دور عبادتهم ومدارسهم وصحفهم ، وأصبح نفوذهم قويا بحيث يعتبر اللوبى اليهودى فى الولايات المتحدة أنشط جماعات الضغط على الإدارة الأمريكية والكونجوس . ولا تزال الولايات المتحدة هى الحليف الأول لإسرائيل ، تزودها بأكبر المعونات الخارجية وتدعمها سياسيا واقتصاديا وعسكريا .

اليهود فى شرق أوربا :

كانت الأوضاع فى روسيا ودول شرق أوربا تختلف عنها فى دول أوربا الغربية . ففى أعقاب هزيمة القوات الروسية أمام قوات نابليون فى معركة أوسترلتز فى ديسمبر ١٨٠٥ ، وعلى أثر اجتماع السانדرين اليهودى فى باريس ، أعلن المجمع الأرثوذكسى « السينود » استهجانه لمحاولة نابليون توحيد اليهود الذين شتتهم الغضب الإلهى فى العالم بأسره . . والمناداة بمسيح مزيف فى شخص نابليون . وكان نابليون قد وجه من عكا فى ابريل ١٧٩٩ ، خلال حملته فى فلسطين نداء إلى اليهود يدعوهم فيه إلى العودة إلى فلسطين ليصبحوا أسيادها الحقيقيين .

كان معظم يهود شرق أوربا من الاشكيناز ، الذين كانوا يعيشون فى القرون الوسطى فى ألمانيا ، ثم انتشروا فى القرن الحادى عشر فى انجلترا وفرنسا وهولندا وسويسرا وشمال إيطاليا . وبعد طردهم من تلك البلاد توجهوا شرقا إلى ألمانيا والنمسا وبولندا . وعرف الاشكيناز بالتمسك بالتعاليم التلمودية والشريعة اليهودية والتقوى . وكان حكام بولندا وليتوانيا يعاملونهم بتسامح ، وتمتعوا بنوع من الحكم الذاتى فى السنوات من ١٥٥٠ حتى ١٧٦٤ ، كان لهم مجلس يدير حياتهم « مجلس الأقاليم الأربعة » ، وكانوا يتكلمون لغة اليديش ، ويجلس الحاخامات فى محاكمهم كما كانت لهم معاهدهم التلمودية . وفى عام ١٦٤٨ ، قام القوزاق بقيادة شمبلنكى بثورة ضد الحكم البولندى وقتلوا الآلاف من اليهود ، واستعانوا بحلفائهم الروس الذين غزوا شمال غرب بولندا وأوكرانيا ، الأمر الذى أدى إلى مزيد من أعمال الانتقام ضد

اليهود الذين اتهموا بتشجيع الغزاة . ومرة أخرى ، غزا القوزاق أوكرانيا (١٧٣٠ - ١٧٤٠) وأعملوا القتل والنهب فى الجالية اليهودية .

وفى عهد ألكسندر الأول ، ساد بين الروس الاعتقاد بأن اليهود أعداء للأمة الروسية ، وتضاعف العداء لهم بعد مقتل الكسندر الثانى لاتهامهم بالتورط فى قتله . وأخذ العداء لليهود مظهر الغارات الانتقامية pogroms التى دأبت الجماهير على شنها على الأحياء التى يعيش فيها (الجيتو) وإعمال القتل والنهب فيهم . وكان اليهود يعيشون فيما تسمى شتيتل shtetl وهى مدن صغيرة يشكل اليهود أغلبية سكانها ، سواء فى روسيا أو بولندا ولتوانيا وبقية بلدان أوربا الشرقية . وكان لهذه المدن طابعها الخاص ، حيث كان بكل منها سيناجوج يتجمع فيه اليهود للصلاة ودراسة التوراة . وكانت الحياة تجمع بينهم فى شبه عزلة جماعية .

وقد توقفت الغارات الانتقامية ضد اليهود عام ١٨٨٤ لمدة عشرين عاما ، ولكنها استؤنفت من جديد ، وكان من أفظعها غارة « كيشينيف » التى قتل فيها ٤٥ يهودياً . وفى أكتوبر ١٩٠٥ ، ارتفع عدد القتلى إلى ٨١٠ يهودى . وقد اختلفت ردود الفعل لدى اليهود ، فمنهم من اتجه إلى الهجرة إلى الغرب ، ومنهم قلة رأت الهجرة إلى فلسطين ومن الأخيرين شكلت حركة أحباء صهيون التى بدأت أولى عمليات الاستيطان فى الأراضى الفلسطينية ، وحركة بيلو .

ويصف والتر لاكير فى كتابه عن تاريخ الصهيونية (*) ، الأوضاع فى روسيا وبولندا ودول شرق أوربا فى القرن التاسع عشر ، فيذكر أن أكثر من خمسة ملايين يهودى كانوا يعيشون فى أواخر ذلك القرن فى روسيا ، وكان حوالى ١٦ ـ ١٨٪ من سكان وارسو وجرودتو وفيسك ، كما كانت غالبية سكان ڤيلنا وبرست ليتوڤسك وبعض المدن الأخرى من اليهود ، ويبلغ عددهم فى وارسو ٢٠٠ ألف وفى أوربا ١٤٠ ألف . وقد كانت أوضاعهم الاقتصادية سيئة وأخذت فى التدهور منذ ١٨٨٠ ، إذ كانت غالبية سكان تجمع المستوطنات اليهودية pale of settlement بدون عمل ، حيث حرمت عليهم مهن معينة ومنها الوظائف الحكومية . كما أصبحت الغارات العدائية ضد الجيتو اليهودى منذ ١٨٨١ ظاهرة متكررة ، حيث كانت الغوغاء تهاجم الجيتو

(*) Walter Laqueur : A History of Zionism.

وتعمل القتل والضرب والتخريب فيه . وقد كانت الحكومة القيصرية متهمة بتشجيع هذه الغارات بقصد إرضاء الجماهير الذين كان عداؤهم للسامية متأصلا فيهم ، والواقع أن تلك الحكومة لم تكن لها سياسة واضحة أو ثابتة تجاه اليهود . وقد قدر عدد من هاجروا منهم خلال السنوات الخمسة عشر السابقة على الحرب العالمية الأولى بحوالى ١ر٣ مليون .

وأما عن حياة اليهود الفكرية فى تلك المناطق ، فقد سادتها الأفكار الحسيدية Hassidism - وهى حركة فلسفية غيبية تستند إلى العواطف الدينية ، وبها عناصر قوية من المسيحانية ، ومنذ أواسط القرن التاسع عشر انتشرت عقيدة الصاديقية zadikim القائمة على أساس فكرة الزعماء المقدسين ، والمعتبرين وسطاء بين الإله والعالم . وقد أدت الحروب بين الحسيديين ومعارضيهم إلى انقسام اليمين اليهودى ، واتجه المثقفون إلى حركة التنوير ، وأدى ذلك إلى إثارة غضب الحاخامات الأرثوذكس والجماهير المتدينة . كما انجذب البعض إلى الثقافة الروسية والاندماج فى الحياة الروسية . وأخيرا بدأت دعوة القومية اليهودية تنتشر ، والكتابات والقصائد الشعرية تدعو إلى صحوة إسرائيل ويهودا . وأدت السياسة المعادية لليهود التى اتبعها ألكسندر الثالث والغارات العدائية إلى توقف الاتجاه إلى الاندماج فى المجتمع الروسى ، وانضمام الشباب اليهودى إلى المنظمات الثورية . وفى عام ١٨٧٠ نشر كتاب يطالب بإقامة دولة يهودية فى فلسطين تحت السيادة البريطانية ، وثار الخلاف بين أنصار الهجرة إلى فلسطين والمنادين بالهجرة إلى أمريكا ، ولكن مالبث الفكر الصهيونى أن تبلور فى إقامة دولة لليهود فى فلسطين .

ولكن الثورة البلشفية - التى كان عدد كبير من زعمائها من اليهود - أنهت النظام القيصرى ، وأقامت نظاما شيوعيا يسوّى بين المواطنين فى الحقوق ولا يعترف بأى دور للأديان .

أما بولندا ، فقد أصبحت فى القرن السابع عشر دولة المهجر الرئيسية لليهود ، وقدر عددهم فيها عام ١٦٥٠ بحوالى نصف مليون نسمة ، وكانوا يتمتعون بقسط وافر من الحكم الذاتى يمارسونه عن طريق مجلس شبيه بالبرلمان يتولى إصدار مراسيم تطبق فى أنحاء المملكة ، ويؤدون شعائرهم الدينية ويقومون بدراساتهم التلمودية بحرية ، إلى أن دمرت جاليتهم على أيدى جيوش شمبلنيكى الأوكرانى عام ١٦٥٨ . ومع ذلك ، فقد بقيت مدارسهم الحاخامية تعمل على ترويج الآمال

المسيحانية بين اليهود ، وأدت التقلبات السياسية فى القرن الثامن عشر إلى تفتيت بولندا بين روسيا وبروسيا والنمسا ووقع الجزء الأكبر منها تحت حكم القياصرة الروس ونفوذ الكنيسة الأرثوذكسية التى كانت تناصب اليهود العداء الأكبر .

فى هذه الظروف السياسية والفكرية المضطربة ، وفى أوضاع سادها عداء الحكومات والجماهير لليهود ، وانتشار الحركات الثورية المعادية للحكم، عاش زعماء إسرائيل .

ولاشك أن الحياة فى تلك المنطقة وفى الظروف التى كانت سائدة فيها فى القرن التاسع عشر قد شكّلت شخصيات هؤلاء الزعماء ، وكونت أمزجتهم وأفكارهم . ولد حاييم وايزمان فى بلدة موتيله بروسيا البيضاء عام ١٨٧٤ ، حيث كانت تقيم مائتا عائلة يهودية فى تلك البلدة المعزولة عن العالم الخارجى . وهو يروى فى مذكراته مدى إحساسه بالغربة وانعدام الأمن ، ويذكر أن التقاليد اليهودية كانت تسود عائلته « وكانت أرض إسرائيل هى مركز كل عاداتنا وهى التى تملأ حياتنا » ، ثم قضى سبع سنوات فى بينسك حيث كانت لحركة أحباء صهيون جذور عميقة وجهت تفكيره نحو الصهيونية إلى أن أحدثت دعوة تيودور هيرتزل إلى إقامة دولة اليهود أثرها البالغ فى حياته .

أما دافيد بن جوريون ، فقد ولد فى مدينة بلونسك فى بولندا عام ١٨٨٦ ، وكانت مختلف التيارات اليهودية تتصارع حول ما يجب عمله لتغيير الأوضاع القمعية التى يعيش اليهود تحت وطأتها ، وخاصة التيارات الدينية والصهيونية ، وما يثور من خلافات بين أتباع « البوند » (وهو حزب اشتراكى روسى يهودى أسس عام ١٨٩٧) وبين الصهيونيين . وأنشأ مع زملائه رابطة عزرا لتعليم اللغة العبرية ، وجعلها لغة التحدث بين اليهود ، وتأثر من كتابات بياليك التى تثير الغضب والألم من أحوال الشعب اليهودى وتدعو إلى تغييره ، وكتابات إبراهام مابو عن محبة صهيون وأرض إسرائيل . وسافر إلى فلسطين عام ١٩٠٦ وهو يحمل أفكاره الصهيونية والاشتراكية ، مع ذكريات القمع الروسى ، ليواصل نشاطه السياسى فى إقامة الصهيونية العمالية ، ويصبح مؤسس الدولة اليهودية فيها .

وولد فلاديمير جابوتنسكى فى أوديسا بروسيا عام ١٨٨٠ ، وسجن عام ١٩٠١ بسبب الاشتباه فى نشاطه الاشتراكى . وتأثر بالغارات العدائية ضد اليهود عقب ما عرف بمذبحة كيشينيف عام ١٩٠٣ ، وما لبث أن أصبح داعية صهيونيا ميالا إلى

العنف والتطرف ومتشربا بالروح العسكرية إلى أن أصبح مؤسس حركة الصهيونية التصحيحية التى عارضت ما اعتبرته سياسات معتدلة من قبل الحركة الصهيونية العالمية .

كما ولد تلميذه ميناحيم بيجين فى برست ليتوفسك بروسيا عام ١٩١٣ ، وانخرط منذ طفولته فى حركة هاشومير هاتزا عير ثم إلى حركة بيطار للشباب اليهودى التى أسسها جابوتنسكى ، ومارس نشاطه السياسى فى بولندا . وفى فلسطين ، تعارض مزاجه المتطرف مع مزاج بن جوريون ، وظل مستبعداً هو وحزبه « حيروت » من المشاركة فى السلطة إلى أن تمكن من تولى الحكم عام ١٩٧٧ .

وأخيرا ، فإن اسحق شامير قد ولد هو الآخر فى بولندا عام ١٩١٥ ، وانضم إلى حركة بيطار ثم هاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٥ ، وبرز فى منظمتى إيرجون وليحى الإرهابيتن ، وعمل فى المخابرات اليهودية « الموساد » ، وانضم إلى حزب حيروت اليمينى .

الصهيونية وعداء السامية :

ينطلق الفكر الصهيونى من مفهوم محدد هو أن العداء للسامية حقيقة موضوعية ، وأن اندماج اليهود فى مجتمعات الدول أمر مستحيل ، ولذا فإن الحل الوحيد للمسألة اليهودية هو عودة اليهود إلى « أرض إسرائيل » وإقامة دولتهم فيها ، والسبيل إلى ذلك هو هجرة يهود الشتات (أو المنفى) إلى فلسطين .

وتختلف تفسيرات المفكرين الصهيونيين لظاهرة معاداة السامية ، فهم يرجعونها إلى كراهية الأغيار لليهود بسبب قوتهم الاقتصادية ، أو للأسباب الدينية (اتهام المسيحيين لهم بقتل المسيح) ، أو حتى لمجرد الكراهية .

وتزخر كتابات هؤلاء المفكرين بذم الحياة اليهودية فى المنفى ، التى - على حد تعبير نحمين سيركين - خلقت نوعا من عدم الاتزان فى شخصية اليهودى .

ويصف بن جوريون الحياة فى الدياسبورا (المنفى) بأن « اليهود يعيشون كأقلية تعتمد بشكل أو بآخر على إرادة الأغلبية ، عاجزين عن اتخاذ أى قرار . كما يعيشون حياة اقتصادية هامشية ، فلا تجد بينهم عمالا ولا فلاحين ، بل يشتغل معظمهم فى

المدن بعيدا عن المراكز الحيوية فى أية حضارة . وقد صرح ذات مرة بأنه لوكان الأمر بيده لأرسل بعض الشباب اليهودى متنكرين ليرسموا الصلبان المعقوفة على المعابد اليهودية حتى يلقوا الرعب فى نفوس اليهود ليهاجروا إلى أرض الميعاد .

وقد بلغ العداء للسامية ذروته فى ألمانيا النازية ، حيث سادت أفكار نقاء الجنس الآرى ، ويقدر اليهود عدد من قضى عليهم على يد هتلر - فيما سمى بالهولوكست - خلال الفترة من ١٩٣٣ حتى ١٩٤٥ بست ملايين يهودى . وقد حاولت الحركة الصهيونية إنقاذ يهود ألمانيا ، وعقدت اتفاقا مع حكومتها النازية لتسهيل هجرتهم إلى فلسطين وتحويل مدخراتهم من ألمانيا فى شكل بضائع ألمانية تباع فى فلسطين . كما تمكن جابوتنسكى من عقد اتفاق مع حكومة سيمجلى ريدز البولندية حول برنامج للهجرة المكثفة لليهود على مدى عشر سنوات ، ونجح فى إدخال ١٥ ألفا إلى فلسطين بطريقة غير مشروعة . والواقع أن اضطهاد ومذابح النازية لليهود مع عجز الحلفاء عن إنقاذهم كان لهما أكبر الأثر فى إقامة دولة إسرائيل ، ووصول الآلاف من المهاجرين إليها عقب إنشائها .

ومن ناحية أخرى ، فلا شك أن ذكريات الهولوكوست ، التى تحرص الصهيونية على إبقائها حية فى نفوس الإسرائيليين ، تفسر المواقف المتطرفة لكثير من ساسة إسرائيل ، ومبالغتهم الشديدة فى كل ما يتعلق بأمن دولتهم وتضخيمهم للأخطار - التى يتخيلونها - من جانب الدول العربية ، بالرغم من تفوق إسرائيل الحربى الذى تكفله لها الولايات المتحدة ، وعلى الرغم من ترسانتها النووية ، وإن كانت الاعتبارات الأمنية كثيرا ما تستخدم ذريعة للتوسع الإسرائيلى والرغبة فى الهيمنة .

الصهيونيون الأوائل :

دعا موسى هيس (١٨١٢ - ١٨٧٥) فى كتابه « روما والقدس » الشعب اليهودى إلى الاقتداء بالتجربة الإيطالية ، وإقامة دولة لهم فى القدس ، فهم - على حد قوله - ليسوا جماعة دينية ، وإنما هم أمة منفصلة وجنس خاص . واليهودى الذى ينكر ذلك ليس كافرا ومرتداً دينيا فحسب ، بل هو أيضا خائن لشعبه وقبيلته وجنسه .

وفى سبتمبر ١٨٨٢ ، نشر ليون بنسكر (١٨٢١ - ١٨٩١) كتابة التحرر الذاتى Autoemancipation ، والذى ذهب فيه إلى أن اندماج اليهود فى مجتمعاتهم ما هو إلا

من قبيل الأوهام ، فسوف يظل اليهود دائما أجانب فى هذه المجتمعات . ودعا بدوره اليهود إلى أن تكون لهم قاعدة إقليمية يقيمون عليها دولة لهم . ولم يقترح بنسكر أن تكون تلك القاعدة الإقليمية هى فلسطين بالذات .

أما موشى ليلينبلوم ، وبيريتس سمولينسكين وآخرين ، فقد دعوا إلى أن تكون إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين .

ولم تكن هذه الأفكار تلقى قبولا لدى جماهير اليهود فى ذلك الوقت ، ولكن فريقا الحاخامات الأرثوذكسى وجد التفسير الدينى لهذه الصهيونية السياسية ، ومن هؤلاء من يهودا ألكلاى (١٧٩٨ - ١٨٧٨) الذى أفتى بأن « المسيح المخلّص ابن داود سوف يسبق ظهوره مسيح آخر يدعى ابن يوسف ويقوم بغزو أرض إسرائيل » . أما ابن يوسف هذا - فإنه بحسب تفسيره - يرمز لعملية مفادها ظهور قيادة سياسية بين اليهود تقوم بالتمهيد لعملية الخلاص . وعلى اليهود أن يتحدوا وينظموا أنفسهم ويختاروا قادتهم ويغادروا منفاهم . كما أن من هؤلاء الحاخامات الأرثوذكس ابراهام إيزاك كوك الذى أصبح كبير حاخامات فلسطين تحت الانتداب . وأفتى الحاخام هيرش كاليشر (١٧٩٥ - ١٨٧٤) هو الآخر بأن المسيح لن يظهر قبل أن يتجمع جزء كبير من الشعب اليهودى فى أرض إسرائيل .

وقد سبقت الصهيونية السياسية حركة صهيونية ذات طابع عملى تدعو اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين واستيطانها . وقد قادت هذه الحركة جماعة أحباء صهيون التى بدأت عام ١٨٨١ بإرسال أول فوج من المهاجرين اليهود الذين استوطنوا الأراضى الفلسطينية . ولكن ظل تأثير دعاة الصهيونية الأوائل محدوداً إلى أن ظهر كتاب « دولة اليهود » الذى أصدره تيودود هيرتزل عام ١٨٩٦ ، متأثراً من محاكمة الضابط الفرنسى اليهودى دريفوس . فقد انتهى تفكير هيرتزل إلى أن هذه المحاكمة الظالمة وما أحاطت بها من مشاعر العداء لليهود تدل على أن اندماَجَ اليهود فى مجتمعات الدول المختلفة لن يحل المشكلة اليهودية ، وإنما الحل الوحيد لها هو إقامة دولة لليهود بموافقة الدول الكبرى . والغريب أن هيرتزل ظل حتى ذلك الوقت مؤمنا بأن على اليهود الاندماج فى المجتمعات التى يعيشون فيها ، حتى إنه كتب فى عام ١٨٩٤ نقداً لمسرحية لألكسندردوما يقول فيها أحد الأبطال اليهود إن على اليهود العودة إلى أرض إسرائيل ، ورفض فى نقده هذا الحل على أساس أن اليهود ليسوا شعبا واحداً ، وإنما

هم مجموعات مختلفة قد تأثرت بالثقافات والقوميات المتعددة ، وقد كانت المشكلة الاجتماعية هي التي تشغل تفكيره خلال عمله في باريس مراسلاً لإحدى الصحف النمساوية في الفترة من ١٨٩١ حتى ١٨٩٥ ، حيث كانت القلة تعيش حياة بذخ وترف في حين كانت جماهير الشعب تعاني من الفاقة ، وكانت المشكلة اليهودية ، بالنسبة إليه ، مشكلة ذات طابع اجتماعي وإنساني يمكن حلها مع التطور التدريجي للمجتمعات .

وكان الحل الذي اقترحه هيرتزل للمشكلة اليهودية بإقامة دولة اليهود يصطدم مع الاتجاه الغالب - وخاصة في الدول الغربية والولايات المتحدة - لاندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها مستفيدين من مبادئ المساواة التي سادت هذه المجتمعات ، ثم إن فلسطين في ذلك الوقت كانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية ، ولم يكن لسلطانها أن يفرط فيها ، وكانت للدول الأوربية الاستعمارية مطامعها في ذلك الجزء ذي الموقع الاستراتيجي الهام ، كما كانت غالبية اليهود المتدينين يرون التسليم بالإرادة الإلهية والصبر على المنفى انتظاراً لظهور المسيح المخلّص ويرفضون الدعوة الصهيونية باعتبارها تدخلا في مشيئة الرب . والأخطر من كل ذلك هو أن فلسطين لم تكن أرضا بلا شعب بل كانت تعيش فيها أمة لها تاريخها وثقافتها وتتحين الوقت المناسب للتخلص من نير الحكم العثماني .

الصهيونية واليهودية :

حرص زعماء الحركة الصهيونية على تأكيد الطابع السياسي العلماني لحركتهم ، ونفي الطابع الديني عنها . فقد كان اهتمام تيودور هيرتزل يتركز على العوامل المناخية والجغرافية الملاءمة لإقامة الدولة اليهودية . ولما سأله فيكتور عمانويل ملك إيطاليا عما إذا كان يتوقع ظهور المسيح ، أجابه بأن الدوائر الدينية تتوقع ذلك ، أما هو وغيره من المفكرين الأكاديميين والمتنورين فلا يدينون بهذه الأفكار . وقد حرص هيرتزل خلال زيارته لفلسطين أن يخالف علنا التعاليم الدينية اليهودية . وكان لايمانع في أن تقام الدولة اليهودية في أوغندا أو غيرها ، كما كان ليوبنسكر يرى إمكان إقامتها في أمريكا الشمالية أو تركيا الآسيوية . كذلك كان حاييم وايزمان ودافيد بن جوريون وغيرهما من زعماء الصهيونية علمانيين في تفكيرهم ، بل كان بينهم الملحدون .

وكان المستوطنون الأوائل يفضلون أن يسموا بالعبرانيين لا اليهود ، ولجأ بعضهم في تحد واضح للمتدينيين إلى أكل لحم الخنزير المحرم عند حائط المبكي ومع ذلك ، فلاشك في أن هيرتزل وغيره من زعماء الحركة كانوا متأثرين بالتراث الديني اليهودي ـ وقد سبقت الإشارة إلى أنه تراث مصطبغ بالصبغة القومية ـ بما في ذلك عودة اليهود إلى أرض إسرائيل .

ويذكر الدكتور عبد الوهاب المسيري (*) أن هيرتزل ربما كان يتوهم أن له بعض صفات النبوة ، فهذا أمر غير مستبعد بالنسبة لفرد ينتمي لأمة الكهنة والأنبياء . فهو يحكي عن نفسه أن المسيح أتاه مرة في حلمه وطار به فالتقيا بموسى عليه السلام الذي قال له لقد صليت من أجل هذا الصبي كما قال لهيرتزل « اذهب فإنني سأحضر في القريب وسآتي بعجائب كثيرة وأفعال عظيمة لشعبي والعالم بأسره » . ويذكر هيرتزل في مناسبة أخرى « شعارنا هو فلسطين داود وسليمان » .

« وقد كان يتحرك من مكان إلى مكان حاملا على كتفيه يهوديته وفي عقله آلاف الأساطير اليهودية ، خاصة أسطورة العودة ، وأسطورة الأمة المرتبطة بالأرض رغم شتات آلاف السنين ، فالأسطورة تسيطر عليه تماما وتظهر بين سطور كتاباته وفي كلماته وأحاديثه ، فهو مثل كل صهيوني يعتقد أن له علاقة ميتافيزاقية بأرض الميعاد يحملها في قلبه أينما سار ، ولهذا فهو دائم الحنين إلى العودة» .

كما كان بن جوريون مثل هيرتزل يؤمن أن الدولة اليهودية توجد أساسا في قلوب الناس ، ومن حق اليهود المطالبة بفلسطين لأنهم يحلمون بها في منفاهم ، أما العرب فلايحق لهم المطالبة بأسبانيا لأنهم كفوا عن الحلم بها . وهو يرى أن الفكرة المسيحانية تمتد بجذورها في وعي الشعب اليهودي ، ولايمكن فهم مسار التاريخ اليهودي الحديث دون أخذها في الحسبان ، ولا يهم ـ في رأيه ـ إن كانت قصة الوعد الإلهي لإبراهيم تسجيلا حقيقيا لحادثة تاريخية أم لا ، فالمهم هو أن اليهود اعتقدوا صدقها منذ آلاف السنين (*) .

(*) Abdel Wahab Elmessiri · The Land of Promise.

(*) الدكتور عبد الوهاب المسيري : اليهودية والصهيونية وإسرائيل .

ومع ذلك ، فإن الدعوة الصهيونية إلى عودة اليهود إلى أرض الميعاد ، بفعل البشر وقبل ظهور المسيح ، قد اصطدمت بالمفاهيم الدينية اليهودية ، قوبلت بمعارضة شديدة من قبل اليهودية الأرثوذكسية التى كانت ترى أن الصهيونيين يريدون عكس مسار التاريخ اليهودى ، وخلاص الشعب بفعل القدرة الإنسانية فى حين أن أحوال اليهود فى شتاتهم وما يقاسونه من مصائب إنما هى من قضاء الله ، وأن السعى لتبديلها من دون أمر إلهى هو من قبيل الكفر . فاليهود ملتزمون دينيا بانتظار الخلاص على يدى المسيح وعليهم التسليم بالقضاء الإلهى والصبر عليه .

وقد دعا سامسون هيرش - أحد كبار القادة الروحيين الألمان - اليهود إلى الصلاة من أجل العودة إلى أرض إسرائيل ، ولكنه اعتبر العمل من أجل التعجيل بالخلاص معصية كبيرة . وانضم إليه فى هذا الرأى رجال الدين فى أوربا الشرقية ، ومنهم صادوق الذى رفض السفر إلى القدس خشية تفسير ذلك بأنه مؤيد للحركة الصهيونية ، كما أدان رجال الدين اليهود هذه الحركة واعتبروها من قبيل الهرطقة المخالفة لليهودية .

ورأى إيزاك بروير أن اليهود أمة دينية تختلف عن بقية الأمم فى أن الدين هو أساس وجودها ، فإذا كانت الصهيونية تريد ترك الدين وبعث الأمة فإن النتيجة ستكون إقامة أمة أشبه بالصدفة الفارغة .

وقد تزعم حزب « أجودات إسرائيل » الذى أسس عام ١٩١٢ المعارضة الدينية للحركة الصهيونية ، ورفض التعاون مع أحزاب دينية أخرى مثل « مزراحى » بسبب تعاملها مع هذه الحركة ، وتقدم إلى عصبة الأمم والحكومة البريطانية بالاحتجاجات بسبب موافقتهما على إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

ولكن مالبث الحزب - إزاء التطورات التى حدثت فى فلسطين - أن عدل عن مواقفه وبدأ يشارك فى عملية الاستيطان ، ثم أدت مواقف النازية من اليهود إلى إثارة الخلافات داخل الحزب بالنسبة للموقف من الحركة الصهيونية ، وإثارة البلبلة فى صفوفه . وانفصلت عنه طائفة « نيطورى كارتا » التى وجدت أن الحزب قد خفف من معارضته للحركة الصهيونية ، وظلت هى على موقفها من اعتبار الإرادة الإلهية هى وحدها التى تقرر خلاص اليهود بعد أن يخلصوا أنفسهم باتباع الوصايا الدينية (٦١٣ وصية) التى أمرهم بها الإله . وتعيش هذه الطائفة فى إسرائيل دون الاعتراف بالدولة

وترفض حمل بطاقات الهوية التى تصدر للإسرائيليين ، وتحافظ على التقويم الزمنى اليهودى .

ومن ناحية أخرى ، وجد فريق من الحاخامات اليهود الأرثوذكس التفسيرات الدينية المؤيدة للحركة الصهيونية ، والداعية إلى التعاون معها باعتبار إقامة دولة إسرائيل بداية للعهد المسيحانى .

وكان من أوائل هؤلاء الصهيونيين الدينيين الحاخام اسحق كوك (*) (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥) ، الذى ذهب إلى أن « أرض إسرائيل جزء من صميم جوهر قوميتنا ، وهى مرتبطة عضويا بحياتها ولب كيانها . والعقل البشرى وهو فى أسمى ذراه لايستطيع أن يبدأ فى فهم القداسة الفريدة التى تتسم بها أرض إسرائيل . فالأمل بالخلاص هو القوة التى تحيى اليهودية فى الشتات ، واليهودية فى أرض إسرائيل هى الخلاص نفسه » .

كما كتب أن « من شأن عمل الإلهام الروحى أن يرد إلى الأمة جلالها الغابر ، وذلك بأن يعيد الوقار الأبوى إلى ملوك إسرائيل » . وكان يبدى التسامح تجاه الصهيونيين العلمانيين وحتى الملحدين منهم ، فقد كان من رأيه « إن نبذ هؤلاء الذين ضلوا عن سبيل التوراة والإيمان الدينى ، وانجرفوا مع تيارات العصر ليس من إرادة الله فى شيء . فالجوهر الداخلى للقداسة اليهودية لا يزال فى قلوبهم » .

وقد تابع ابنه الحاخام تسفى يهودا كوك (١٨٩١ ـ ١٩٨٢) منهاج أبيه ، بل قام بتأصيل الأيدلوجية الصهيونية بدرجة أكبر . فقد كتب إن « جماعة الأمم خلقت دولة إسرائيل وأنشأتها بأمر من رب العالمين من أجل أن يتم الأمر الوارد فى التوراة والقاضى بأنهم سيرثون الأرض ويسكنونها ، وعندما تكون دولتنا فى موقع السيطرة التامة داخليا وخارجيا ، عندئذ يمكن تحقيق الميتسفا (الفريضة الدينية) التى تعد أساس وجوهر كل المتيسفوت (الفرائض) المتعلقة بالميراث والاستيطان فى الأرض. والدولة هى التى تستطيع بحكمتنا أن تحقق الخلاص» .

ومن الصهيونيين الدينيين ، الحاخام مائير إيلان والحاخام موشى ليفجر الذى تزعم حركة الاستيطان فى الأراضى الفلسطينية المحتلة .

(*) إيان لوستيك . الأصولية اليهودية فى إسرائيل .

الصهيونية المسيحية :

مع حركة الإصلاح البروتستانتى فى القرن السادس عشر ، تغيرت لدى فريق من المسيحيين النظرة التقليدية التى كانت سائدة بشأن اليهود وتاريخ الشعب اليهودى . فقد كانت الفكرة الكاثوليكية السائدة هى عدم تفسير ما جاء فى التوراة عن العهد الإلهى وظهور المسيح وعودة اليهود إلى فلسطين تفسيرا حرفيا ، وإنما كان تفسير الكنيسة هو أن اليهود قد ارتكبوا المعصية فعاقبهم الله بنفيهم إلى بابل ، وانتهى وجودهم كأمة مع نفيهم الثانى (شتاتهم) ، أما ما جاء فى التوراة بشأن عودتهم إلى فلسطين ، فقد تحقق بعد عودتهم من بابل ، وأما ما تضمنته التوراة من نبؤة عن مستقبل إسرائيل فإن المقصود هو إسرائيل الجديدة أى الكنيسة المسيحية . وقد أدخلت الحركة الإصلاحية البروتستانتية تعديلا جوهريا على تلك النظرة ، حيث ركزت اهتمامها على العهد القديم من الكتاب المقدس ، وما يحويه من قصص تحكى التاريخ اليهودى القديم ، وفسرت نصوص التوراة تفسيراً حرفيا ، بحيث أصبح الكثيرون يعتقدون أن اليهود الذين يعيشون فى البلدان المسيحية أجانب عنها ، وسوف يعودون إلى فلسطين تحقيقا لنبؤات التوراة .

وظهرت ما تعرف بالعقيدة الألفية millenianism القائلة بأن المسيح المنتظر سوف يحكم العالم لمدة ألف عام يسود خلالها السلام والعدل ، وستسبق الخلاص النهائى حروب طاحنة . ونتيجة لهذه العقيدة ، أصبح فريق من المسيحيين يؤيدون الهدف الصهيونى الرامى إلى عودة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها .

ويطلق على هؤلاء الصهيونيون المسيحيون . وإذا كان بعضهم ينطلق فى تأييده للصهيونية من عقيدة دينية من أمثال توماس برايتمان ، فإن منهم من اختلطت عنده العقيدة الدينية بالغرض السياسى من أمثال نابليون بونابرت الذى دعا اليهود خلال حملته على فلسطين إلى العودة إليها وإقامة دولتهم فيها ، وبلفور الذى إلى جانب ما قيل عن ميوله الدينية ، وجد فى إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين ما يحقق مصالح الإمبراطورية البريطانية . ومن هؤلاء البريطانيان وينجيت ، وريتشارد مينيرتسهاجين اللذان قدما لليهود خدمات جليلة خلال الانتداب البريطانى . كما قيل إن رونالد ريجان كان من بين المؤمنين بهذه العقيدة .

وعلى أية حال ، فلاشك أن ذيوع تلك الأفكار البروتستانتية فى البلدان المسيحية ، قد مهد السبيل أمام الحركة الصهيونية ، وكفل لها تأييد ودعم عدد من رجال الفكر والسياسة فى العالم المسيحى .



الفصل الثالث

نشأة اليمين الصهيونى المتطرف

الاتجاهات داخل الحركة الصهيونية :

أ ـ الصهيونية التوفيقية : (Synthetic Zionism)

كان الخلاف الرئيسى داخل الحركة الصهيونية ، هو ذلك الذى كان قائما بين ما يسمون « بالصهيونيين السياسيين» ومن يسمون « بالصهيونيين العمليين » . فالفئة الأولى التى كانت مؤيدة ليتودور هيرتزل كانت تعطى الأولوية لحصول الحركة على اعتراف وتأييد الدول ـ وخاصة الكبرى ـ لهدف إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، بحيث يبدأ تهجير اليهود فى حماية دولية . أما الفئة الثانية ، فقد كانت تركز على تهجير اليهود وبناء المستوطنات فى فلسطين وتعطى الأولوية لهذا الهدف مع السعى للحصول على الاعتراف والتأييد الدوليين . وكانت حركة أحباء صهيون قد بدأت فى إقامة المستوطنات اليهودية الأولى فى فلسطين فى أواخر القرن الماضى ، وأصبحت فى حاجة إلى الدعم من أجل مواصلة النشاط الاستيطانى . وكان هيرتزل متمسكا برأيه أن المسألة اليهودية ليست مجرد قضية دينية ، أو اجتماعية وإنما هى قضية سياسية تتطلب إجراء مفاوضات مع الدول المعنية ، وأن الاستيطان وصل إلى أقصى ما يستطيع تحقيقه ، فالمطلوب هو الاستيطان القومى ، وليس التسلل إلى فلسطين . وقد تغلبت الصهيونية العملية وسيطرت على المنظمة منذ عام ١٩١٢ .

غير أن الحركة الصهيونية واصلت نشاطها بمزيج من الاتجاهات السياسية والعملية ، مما أطلق عليه تعبير « الصهيونية المركبة أو التوفيقية » .

وقد قصد بهذا التعبير التوفيق بين الاتجاهات المختلفة ، التى كانت سائدة فى الفكر

الصهيونى ، وخاصة بين ذوى الاتجاهات السياسية والعملية ، بما يسمح للجميع بالعمل فى إطار الحركة الصهيونية دون التقيد بأهداف أو أساليب محددة .

ب ـ الصهيونية العمالية (Labour Zionism)

ويطلق عليها كذلك اسم الصهيونية الاشتراكية . ويعتقد أصحاب هذا الفكر أن المسألة اليهودية ترجع إلى الوضع الاقتصادى والاجتماعى لبعض قطاعات اليهود ، وأنها ليست مشكلة دينية أو حضارية . فأوضاع اليهود تختلف عن أوضاع الشعوب التى يعيشون فيها ، إذ أن تحريم ممارستهم للزراعة أدى إلى معيشتهم فى المدن بصفة أساسية ، كما أن العمال اليهود حرم عليهم القيام بكثير من الحرف ، وأصبحوا ينتمون إلى البروليتاريا الفقيرة ، أما أغنياء اليهود ، فيشتغلون بالتجارة والربا ، وبصفة عامة أصبح دور اليهود فى المجتمعات المختلفة هامشيا . والحل هو إقامة دولة يهودية .

وقد أسست منظمات عمالية متعددة مثل عمال صهيون ، والعامل الفتى ، والحارس الفتى . وكان للصهيونية العمالية دور رئيسى فى إقامة الهستدروت والكيبوتس والهاجاناه ، وإقامة البناء الداخلى فى إسرائيل . وانبثق منها حزب الماباى (المتأثر بأفكار المفكرين العماليين اليمينيين) والذى تحول إلى حزب العمل ، وظل مسيطرا على حكم إسرائيل حتى عام ١٩٧٧ .

جـ ـ الصهيونية التصحيحية (Revisionist Zionism) :

أسس حركة الصهيونية التصحيحية ڤلاديمير جابوتنسكى بسبب عدم موافقته على السياسة التى كان يتبعها حاييم وايزمان سواء بالنسبة للاستيطان ، أو فى علاقاته مع السلطات البريطانية .

وهى حركة يمينية متطرفة ، وسوف نعاود الكلام عنها فيما يلى .

د ـ الصهيونية الثقافية (Cultural Zionism) :

دعا آحاد هاعام إلى الصهيونية الثقافية التى لقيت تأييداً كبيراً من المفكرين الصهيونيين المعاصرين . وهى تختلف مع هيرتزل فيما ذهب إليه من أن السبب الأساسى لمشكلة اليهود هو معاداة السامية والعجز السياسى والاقتصادى لليهود ، وإنما الخطر الحقيقى الذى يهدد الاستمرارية اليهودية هو فقدان اليهود الإحساس بالوحدة وضعف تمسكهم بقيمهم وتقاليدهم . وتنتهى الصهيونية الثقافية إلى أن

الدولة اليهودية يجب أن تكون المركز الروحى لليهودية ، وإقامتها لا تكون بالوسائل السياسية والمال وإنما بتوفير المناخ النفسى وتقوية الوعى القومى لدى اليهود ، ثم تأتى بعد ذلك الدولة لتقوم بدور المركز الروحى والثقافى لليهودية ، ويرجع آحاد هاعام ضعف الإحساس القومى لدى اليهود إلى شتاتهم وتأثرهم بالحضارة الأوربية .

هـ ـ الصهيونية الإقليمية (Territorial Zionism) :

يختلف أنصار هذا الاتجاه عن بقية الصهيونيين السياسيين فى أنهم لايرون ضرورة تحتم إنشاء الدولة اليهودية فى فلسطين بالذات . ومن أهم دعاة الصهيونية الإقليمية الانجليزى إسرائيل زنجويل . وقد وافق أنصارها على مشروع شرق أفريقيا (أوغندا)، الأمر الذى أدى إلى الانقسامات فى الحركة الصهيونية عام ١٩٠٣ ، وانفصال زنجويل وتأسيس حركته الإقليمية . وقد كان الصهيونيون الإقليميون يرون أن اختيار فلسطين الآهلة بسكانها العرب لإنشاء الدولة اليهودية فيها سوف يؤدى إلى المصادمات والحروب الدائمة مع العرب .

و ـ أنصار الدولة ثنائية القومية (Bi - nationalism) :

دعا بعض الصهيونيين ـ خلال فترة الانتداب البريطانى ـ إلى حل النزاع العربى اليهودى على فلسطين بإقامة دولة ثنائية القومية ، يهودية عربية ، على أساس المساواة السياسية بصرف النظر عن النسبة العددية للسكان ، وتمتع كل من الأمتين بالحكم الذاتى فى الشئون الداخلية .

وممن تقدموا باقتراح فى هذا الشأن ڤلاديمير جابوتنسكى عام ١٩٢٢ (فى وقت كان اليهود فيه يمثلون ١٠٪ من السكان) ، كما تقدم بن جوريون عام ١٩٢٩ باقتراح نظام الكونتونات . وكان كلا الاقتراحين من قبيل التكتيكات .

ولكن كانت هناك جماعات تطالب بدولة ثنائية القومية ، ومنها بريت شالوم وهاشومير هاتزاعير وإيحود، وشخصيات تتزعم هذا الاتجاه من أشهرها يهودا ماجنيس ومارتن بوبر .

الاتجاهات اليمينية :

شهدت الحركة الصهيونية منذ نشأتها اتجاهات يمينية فى صفوف أعضائها ،

ونقصد ـ فى هذا المجال ـ تلك الاتجاهات التى كانت تعارض التيارات الاشتراكية التى كانت تمثلها الصهيونية العمالية ، كما تعارض السياسات التى كان ينتهجها حاييم وايزمان والتى أطلق عليها اسم « الصهيونية التوفيقية » ، ومواقفه المسالمة مع بريطانيا وتتسم هذه الاتجاهات اليمينية ـ بصفة خاصة ـ بالروح العسكرية والدعوة إلى إقامة جيش يهودى قوى يقوم بالدفاع عن المستوطنين اليهود .

أما موقف هؤلاء اليمنيين من عرب فلسطين ، فإنه يقوم أساسا على القوة والإرهاب والردع كوسائل للتعامل معهم، وفرض قبولهم للمخطط الصهيونى . وتعتبر حركة الصهيونية التصحيحية التى أسسها ڤلاديمير جابوتنسكى هى أساس نشأة اليمين الإسرائيلى ، وإن كان ماكس نورداو يعدّ من أقدم الشخصيات اليمينية التى عرفتها الحركة الصهيونية عند نشأتها .

ماكس نورداو :

كان ماكس نورداو (١٨٤٩ ـ ١٩٢٣) من أصدقاء هيرتزل ورفاقه الأوائل . وقد وقف إلى جانبه يوجه هجومه العنيف على الصهيونيين العمليين مشبها أحباء صهيون بمن يريدون ضخ ماء المحيط بإناء ، ذاكرا إن الصهيونية لا تتحمل أية مسئولية تجاه المستوطنات فى « أرض إسرائيل » فإنها لو ازدهرت فإن هذا الازدهار لن ينسب إلى الصهيونية ، وإذا اندثرت فإن ذلك لن يكون خطأها ، كما أن عدداً محدوداً من المستوطنات لن ينقذ الشعب اليهودى .

كما هاجم نورداو الصهيونية الثقافية باعتبارها لاتقدم حلا لمشكلة الشعب اليهودى . وهاجم الصهيونية الدينية موضحا أن الصهيونية السياسية تختلف عنها ، وأنه سيأتى الوقت الذى يصبح فيه كتاب هيرتزل عن دولة اليهود فى نفس مقام التوراة .

كذلك صب نورداو هجومه على الصهيونية الاشتراكية ، « فأين يمكننا أن نجد لدى الشعوب الأخرى شيئا مشابها لتلك العدالة الاجتماعية التى تنبعث من تعاليم موسى؟ » .

وانتقد بشدة الصهيونيين الذين وافقوا على إقامة الدولة اليهودية فى أوغندا ، واعتبرهم نسخة غير منقحة من أحباء صهيون .

وبعد صدور وعد بلفور ، بدأ نورداو يهاجم سياسات حاييم وايزمان تجاه البريطانيين والعرب على السواء . وانتقد موقف الحركة بقيادته من السكوت على اقتطاع بريطانيا لشرق الأردن من « دولة إسرائيل » ، فهذه الأرض - فى رأيه - غير قابلة للتقسيم ، بل إن شرق الأردن أهم لليهود بسبب قدرته على استيعاب أعداد كبيرة منهم ، كما طالب بأجزاء أخرى من سوريا .

أما بالنسبة لعرب فلسطين ، فقد أعلن أن هناك حاجة ملحة لنقل ملكية الأراضى منهم إلى اليهود ، مطمئنا العرب بأنهم سيقبضون ثمن الأرض التى يتملكونها ، أما الأراضى الحكومية التركية فإنها إرث قانونى لليهود . وفى الوقت نفسه ، فإنه دعا إلى التصلب مع العرب والتصدى لمقاومتهم بالقوة ، « إذ أن على رأس هذه المقاومة تقف حفنة من المسيحيين السوريين استطاعت أن تجتذب إلى جانبها بعض دعاة العروبة ، وبعض المسلمين من القوميين المتعصبين . . بحلم مُسكر عن امبراطورية عربية كبرى فى آسيا وإفريقيا الشمالية ، وليس لدى الصهيونيين على كل حال سبب وجيه لمعارضة هذه الأمانى ما دامت محصورة خارج فلسطين» . وأما فى فلسطين نفسها فيجب معارضة هذه المشاريع ، والوسيلة الوحيده لمعارضة المشاريع العربية هى - فى رأى نورداو - تحقيق الغالبية اليهودية العددية فى فلسطين .

وبالرغم من هذه المواقف ، فإن نورداو لم يقم بأى نشاط تنظيمى لجمع مؤيديه .

جابوتنسكى والجدار الحديدى :

ولد ڤلاديمير جابوتنسكى (الشهير بزيڤ) فى أوديسا ونشأ فى ظل الظروف السائدة فيها فى أواخر القرن التاسع عشر - التى سبقت الإشارة إليها - والتى شكلت شخصيته الثورية واتجاهاته القومية المتطرفة . وترك الدراسة فى سن السابعة عشر ليعمل مراسلا صحفيا فى برن ، وواصل دراساته فى روما حيث أثرت فيه حركة الوحدة الإيطالية ونضال زعمائها . ثم عاد إلى روسيا ، وكان من بين المدافعين عن اليهود ضد الهجمة التى شنت على تجمعاتهم فى أوديسا عام ١٩٠٣ . وانضم إلى الحركة الصهيونية ، وأصبح من دعاتها منذ عام ١٩٠٨ حيث عين ممثلا لها فى تركيا .

وكان جابوتنسكى شديد الميل للعسكرية . وفى خلال الحرب العالمية الأولى دعا إلى تشكيل وحدة من المتطوعين اليهود للقتال فى صفوف القوات البريطانية ، ونجح

فى تشكيل الكتيبة اليهودية (التى عرفت بكتيبة سائقى البغال) والتى شاركت فى القتال فى أواخر تلك الحرب .

وفى عام ١٩٢٠ ، أصبح قائداً للهاجاناه اليهودية فى مدينة القدس ، وقبضت عليه السلطات البريطانية فى أحداث الاشتباك المسلح بين الفلسطينيين واليهود ، وحكم عليه بالسجن ١٥ عاما ، ولكنه أفرج عنه بعد بضعة شهور بأمر من هيربرت صمويل المندوب السامى البريطانى ، وقد ترك السجن مرارة شديدة فى نفس جابوتنسكى الذى كان يرى أن اليهود سجنوا ظلما ، لأنهم كانوا يدافعون عن أنفسهم ، ولم يكتف بالإفراج عنه بل تمسك بشطب عقوبته ونجح فى ذلك .

وفى عام ١٩٢٣ استقال جابوتنسكى من منصبه الذى كان قد عين فيه عضوا فى اللجنة التنفيذية الصهيونية احتجاجًا على سياسة المنظمة الصهيونية تجاه بريطانيا ، حيث رأى أنها اتخذت موقفا مسالما من اقتطاع الحكومة البريطانية إمارة شرق الأردن ـ التى اعتبرها جزءا من أرض إسرائيل ـ واستثنائها من تطبيق وعد بلفور .

وفى عام ١٩٢٣ ، أسس جابوتنسكى حركة بيطار للشبيبة الصهيونية ، بهدف تدريب الشباب وإعدادهم عسكريا . وكانت مراكز الحركة الرئيسية فى بولندا ودول البلطيق وفلسطين . وقد أقامت مراكز للتدريب العسكرى ، ومدارس للبحرية والطيران فى دول مختلفة ، وبلغ عدد أعضائها حوالى ٨٠ ألفا .

وفى عام ١٩٢٥ ، أسس ما عرف بالحركة الصهيونية التصحيحية Revisionist Zionism فى باريس ، ثم استقر فى فلسطين ، ولكنه رحل منها بعد المصادمات العنيفة بين العرب واليهود عام ١٩٢٩ ، ولم يسمح له بالعودة إليها ثانية .

كان جابوتنسكى خطيبا مفوّها ، وقد أحدثت كلمته الافتتاحية التى ألقاها لإعلان قيام حركته التصحيحية أثراً كبيراً فى أوساط اليهود فى دول شرق أوربا . فقد هاجم بعنف برنامج المنظمة الصهيونية العالمية ، ووصفه بالتخاذل وعدم تبنى أفكار خلاّقة والاكتفاء بإقامة الجامعة العبرية ، وتوطين آلاف قليلة من المهاجرين ، وطالب بقيام سلطة الانتداب البريطانية بدور نشيط فى إقامة الدولة اليهودية ، فالاستيطان المكثف ليس من عمل مؤسسة خاصة أو نشاطا تطوعيا ، وإنما هو من مهام دولة ، أى أن جابوتنسكى خالف فى ذلك سياسة حاييم وايزمان مطالبا بأن تتولى بريطانيا دور الشريك الكامل فى عملية الاستيطان اليهودى وألا تتولاه المنظمة الصهيونية بمفردها .

وظل التمسك بالمطالبة بشرق الأردن واحداً من أهم مطالب الحركة التصحيحية . فهو - فى رأيها - جزء لا يتجزأ من أرض إسرائيل ، ويجب على اليهود استرداده واستيطانه ، بل إن هذه المنطقة ، بمساحاتها الشاسعة ، تستوعب عدة آلاف من المهاجرين . وطالما أن الكتاب الأبيض البريطانى لعام ١٩٢٢ قد استبعد شرق الأردن من الوطن القومى اليهودى بأمل قبول العرب لوعد بلفور ، وبما أن العرب لم يقبلوه فى حين قبلته الحركة الصهيونية مكرهة ، فإن الكتاب الأبيض يعتبر لاغيا .

وكان يرى أن الهدف الأول للصهيونية هو تحقيق الغالبية اليهودية فى فلسطين ، ومن أجل تحقيق هذه الغالبية ، فقد كان يقترح هجرة ٤٠ ألف يهودى سنويا إليها ، على أن يرتفع المعدل ما بين ٥٠ و ٦٠ ألفًا سنويا بعد الحصول على شرق الأردن ، ويجب على سلطة الانتداب أن تقوم بدور فعال لتنفيذ وعد بلفور . كما يجب التمسك باستعادة شرق الأردن ، وعدم تقديم أية تنازلات عن أى جزء من أرض إسرائيل . أما الدفاع عن الوطن القومى اليهودى ، فهو مسئولية اليهود أنفسهم ويجب بناء جيش يهودى قوى ، وإقامة ما أسماه بالجدار الحديدى لردع العرب .

وكان جابوتنسكى يعارض الأفكار الاشتراكية ، ويرى أن للقطاع الخاص دوره الهام فى الزراعة والصناعة .

وقد لخص برنامجه فى صيغة موجزة على النحو التالى :

« هدف الصهيونية هو الدولة اليهودية - وامتدادها الإقليمى على جانبى نهر الأردن - ونظامها هو الاستيطان الشامل - وحل المشكلة المالية هو القرض الوطنى ، ولا يمكن تحقيق هذه المبادئ الأربعة بدون التأييد الدولى . ولذلك فإن وصية الساعة هى حملة سياسية جديدة ، وعسكرة الشباب اليهودى فى أرض إسرائيل والشتات » .



الفصل الرابع

الصهيونية والعرب

أرض بلا شعب :

من الشعارات التى رفعتها الحركة الصهيونية من أجل تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين : « شعب بلا أرض إلى أرض بلا شعب » .

ومع ذلك ، فقد كان اليهود يدركون أن فلسطين لم تكن خالية من السكان ، بل كان يسكنها مئات الآلاف من العرب الفلسطينيين ، يشكلون الغالبية العظمى هم أهالى البلاد ، ومن بينهم عائلات ترجع بأصولها إلى السنوات الأولى للفتح العربى ، بل إنهم يعتبرون أنفسهم من السلالات العربية التى هاجرت إلى فلسطين عندما كانت تسمى أرض كنعان .

ففى عام ١٨٨٢ ، كتب الحاخام كاليشر عن عرب فلسطين والخطر الذى يتهدد المستوطنين الأوائل منهم . وفى عام ١٨٩١ ، لفت أحاد هاعام أنظار اليهود إلى المشكلة التى يواجهونها فى فلسطين ذاكرا أن العرب على علم بأنشطة اليهود ورغباتهم وإذا ما أحسوا بخطورتهم على مراكزهم عندما يسيطرون على البلاد فإنهم لن يتركوهم فى سلام .

أما تيودور هيرتزل ، فإنه بالرغم من زيارته لفلسطين ، فإنه لم يقابل أحدا من الفلسطينيين فيها . وكان هو وغالبية زعماء الحركة الصهيونية واقعين تحت وهم كبير هو أن عرب فلسطين سوف يتقبلون المخطط الصهيونى لأنهم سوف يستفيدون ماديا من الهجرة اليهودية . وردا على أحد السائلين عما إذا كانت تلك الهجرة قد سببت الخراب للفلسطينيين ، أبدى هيرتزل دهشته ، قائلا إنها بركة لكل منا ، وإن

كان ملاك الأراضى هم أكبر المستفيدين لأنهم باعوا أراضيهم لليهود بأثمان باهظة .

وكان تصور ماكس نورداو أن الزراعة الحديثة سوف تمكن اليهود المهاجرين من استيطان الأراضى دون حاجة إلى رحيل العرب .

ولما كانت الأيديولوجية الصهيونية تقوم على إنشاء دولة يهودية خالصة ، فقد ظل هدفها الثابت هو تحقيق الغالبية السكانية فى فلسطين .

وأيا كانت الخلافات بين أصحاب الاتجاهات المتعددة داخل الحركة الصهيونية ، فقد أجمعوا على هذا الهدف ، ووجد كل منهم المسوغات لتحقيقه على الرغم من أن الغالبية العظمى لسكان فلسطين كانوا من العرب .

أما الصهيونية العمالية ، فقد أرجعت المشكلة اليهودية إلى عدم وجود دولة لليهود ، فضلا عن عدم وجود هيكل طبقى للأمة اليهودية بسبب الشتات اليهودى الطويل الذى جعل من اليهود سماسرة ووسطاء ومقاولين هامشيين مع أعداد ضئيلة من العمال . ورأت فى تحقيق الغالبية اليهودية فى فلسطين ما يحقق هدف إقامة الدولة وتغيير تكوينها السكانى من أجل إفساح الطريق لتوطين اليهود فيها . فالأغلبية اليهودية - على حد قول بن جوريون - « ليست سوى مرحلة على طريقنا الطويل ، وإن كانت مرحلة حاسمة بالمعنى السياسى » . وأما الصهيونية الثقافية ، فإنها كانت تستهدف حل مشكلة اليهودية ذاتها التى كانت فى رأيها مهددة من جانب الحضارات العلمانية فى دول الشتات ، وترى ضرورة إقامة مركز روحى يعمل على تركيز - وتوحيد الأمة اليهودية ، وهذا المركز يتطلب أن تكون لليهود الغالبية بين سكان الدولة ، إذ أن المؤسسات الثقافية فى أى مجتمع تكون خاضعة للدولة ، وتحمل طابع أغلبية سكانها .

وترى الصهيونية التصحيحية أن حق اليهود فى أرض إسرائيل مقدم على حق العرب ، فاليهود ليس لهم سوى هذه الأرض فى حين أن العرب يملكون مساحات شاسعة من الأراضى فى البلاد الأخرى .

ولم يخرج عن هذا الإجماع إلا الفئات المنشقة (مثل بريت شالوم وإيحود) التى كانت ترى أن وراء هدف تحقيق الأغلبية السكانية إدعاء يعطى اليهود حقوقا متميزة فى إقامة دولة لهم والتسلط على عرب فلسطين واضطهادهم .

وسوف نرى فى الصفحات التالية كيف يبرر كثير من زعماء الحركة الصهيونية ما يعتبرونه حق اليهود فى أن تكون لهم الغالبية السكانية فى فلسطين ، وإن اقتضى الأمر ترحيل سكانها العرب أو طردهم قسراً إذا لزم الأمر .

ويذكر نورمان فينكلستاين (*) أن هذا الهدف حدد أسس الاستراتيجية التى أجمع عليها الصهيونيون فى تعاملهم مع « المشكلة العربية » .

وتتلخص هذه الأسس فيما يلى :

أولا - إنه يجب ألا تتوقع الحركة الصهيونية أو تسعى إلى قبول الفلسطينيين لمشروعها . وهذا ما أكده جابوتنسكى وما اعترف به بن جوريون بعد محاولته التفاهم مع عدد من الزعماء العرب .

ثانيا - إن نجاح المشروع الصهيونى يتوقف على دعم واحدة أو أكثر من الدول الكبرى . وقد ذكر جابوتنسكى بصراحة « أن الاستيطان لا يمكن أن يتطور إلا فى حماية قوة لا تعتمد على السكان المحليين (العرب) وإنما بفضل جدار حديدى يكونون عاجزين عن كسره » . وقد سعى الصهيونيون إلى ألمانيا وتركيا ثم إلى بريطانيا وأخيرا إلى الولايات المتحدة لدعمهم فى تحقيق الغالبية السكانية وإقامة الدولة اليهودية .

ثالثا - حل النزاع على فلسطين فى إطار تحالف يخضع لمصالح الدولة والدول الكبرى .

وكان جابوتنسكى يرى الاعتماد على بريطانيا - أما بن جوريون ، فإنه اتجه بتفكيره إلى حل هذا النزاع عن طريق محاولة إقناع الزعماء العرب بتأييد المشروع الصهيونى مقابل تأييد الصهيونية للحركة القومية العربية التى كانت تسعى لتحقيق الوحدة بين الدول العربية ، وبأن يكون حل مشكلة فلسطين فى هذا الإطار الإقليمى بحيث تكون لليهود السيادة على فلسطين مقابل أن تنضم إلى أى من الاتحادات العربية (مثل الهلال الخصيب وسوريا الكبرى) ، وسوف نتطرق إلى محاولات بن جوريون فى هذا الشأن فى الصفحات القادمة .

(*) Norman Finkelstein : Image And Reality of the Israel - Palestine Confliet

وايزمان والعرب :

تمكن وايزمان ـ بتوظيف صداقاته واتصالاته مع البريطانيين ـ من الحصول على وعد بلفور عام ١٩١٧ والذى يعدّ الخطوة الأساسية على طريق إقامة الوطن القومى ـ ثم الدولة اليهودية ـ فى فلسطين . وقد شارك وايزمان فى صياغة هذا الكتاب الموجه من اللورد بلفور إلى روتشيلد ، واقترح تعديلات متعددة لهذه الصياغة بما يضمن تنفيذ التزام بريطانيا ويبرز الاعتراف بالحق القومى لليهود فى فلسطين ، ويغفل الحقوق القومية للفلسطينيين . فالكتاب ، إذ يسجل تعاطف الحكومة البريطانية مع إنشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين ، لا يذكر سوى الحقوق الدينية والمدنية لبقية الطوائف ، فحقوق اليهود وطنية سياسية ، أما الفلسطينيون فهم طائفة كل ما لها فى فلسطين إنما هى حقوق ذات طابع دينى ومدنى .

فكيف كانت نظرة وايزمان للفلسطينين ؟ وماذا كان مفهومه لحقوقهم ؟ يقول أحد مؤرخى سيرته (*) إنه كان من بين أوائل الصهيونيين الذين اهتموا « بالمشكلة العربية » ، وكان من رأيه أنه « إذا أتى اليوم الذى نطوّر فيه حياتنا فى أرض إسرائيل إلى حد الإضرار بهم (أى بالفلسطينيين) إضرارا كبيرا أو قليلا ، فإنه يجب علينا ألا نتوقع منهم التخلى عن مكانهم بسهولة » .

ويذكر أن تلك المشكلة كانت هى شاغله الأكبر ، عندما سافر إلى فلسطين فى أعقاب صدور وعد بلفور . فقد كان يطمع فى استباق أى رد فعل عربى عدائى والتوصل إلى اتفاق مع الوطنيين العرب . وصل وايزمان على رأس لجنة يهودية واجتمع فى عشاء عمل فى القدس فى أبريل ١٩١٨ ، بدعوة من البريطانيين ـ مع عدد من الوجهاء الفلسطينيين من بينهم كامل الحسينى مفتى القدس ، ووجه إليهم كلمة بليغة عن النوايا السلمية للصهيونية ، وأن فى فلسطين متسعا كافيا للشعبين العربى واليهودى . وسجل فى مذكراته « إننى أشعر أننى لست فى حاجة إلى أن أشغل نفسى بعد ذلك بالعرب ، فقد قمنا بكل ما هو مطلوب منا ، وشرحنا وجهة نظرنا علنا وبصراحة : ولهم أن يقبلوها أو يرفضوها » ، ولكنه كان مقتنعا بخطورة المشكلة ومدركا لأبعادها « فعرب فلسطين قد وجهت إليهم النداءات للاستيقاظ من سباتهم

(*) Norman Rose : Chaim Weismann.

والدفاع عن أرضهم وحريتهم وأماكنهم المقدسة ضد القادمين من أجل سرقة كل شيء » .

وكان البريطانيون يسعون جاهدين لتحقيق نوع من التفاهم بين الصهيونيين والعرب ، ورتبوا لوايزمان لقاء مع الأمير فيصل بن الشريف حسين حاكم مكة فى أوائل يناير ١٩١٨ وسجل وايزمان فى مذكراته إعجابه بشخصية الزعيم العربى - زاعماً « أنه قليل الاهتمام بفلسطين ولكنه يريد دمشق وسوريا الشمالية بأكملها » .

ويذكر مؤرخه أن وايزمان كان متأكدا من أن المسألة العربية هى المشكلة الرئيسية ، وكان صادقا فى اقتناعه بضرورة إيجاد حل مرض وممكن تنفيذه لها ، ولكنه كان يعتمد على تأييد ضعيف من جانب فيصل والبريطانيين . ومع ذلك فقد كان يفكر فى حل أكثر راديكالية وعلى نطاق أوسع مما كان مقبولا بصفة عامة . وعندما تطور الاستيطان فى ظل الانتداب البريطانى كان مصمما على أن يواجه الصهيونيون الحقائق ذاكرا « أن فلسطين يجب أن تبنى دون المساس بشعرة واحدة من المصالح المشروعة للعرب ، وأ ن على المؤتمر الصهيونى أن يعترف بأن فلسطين ليست روديسيا ، ولكن فيها ٦٠٠ ألف عربى لهم - من وجهة نظر العدالة الدولية - حق الحياة فى فلسطين بنفس قدر الحق الذى لنا فيها فى الوطن القومى » .

ولم يؤد الاتفاق الذى وقعه وايزمان مع الأمير فيصل فى ٣ يناير ١٩١٩ إلى تحقيق ما كان يتطلع إليه من حل « المسألة العربية » . فقد تجاوزت الأحداث هذا الاتفاق الذى حرص فيه وايزمان على إبراز فلسطين ككيان منفصل عن الدولة العربية ، وتأكيد علاقات التعاون بينهما فى المستقبل ، فلم تتحقق مطالب فيصل فى إقامة الدولة العربية حيث وقعت سوريا ولبنان تحت حكم فرنسا وتحقق الشرط الفاسخ للاتفاق الذى كتبه فيصل فى تحفظه الذى أثبته فيه ، وحققت بريطانيا للصهيونية هدفها فى بناء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين تحت حمايتها .

وفى أغسطس ١٩٢١ ، وصل وفد فلسطينى إلى لندن حيث قضى حوالى سنة أجرى خلالها اتصالات مع الحكومة البريطانية ، وطالبها بأن تلتزم الصهيونية بعدم إقامة دولة فى فلسطين . وقد رفض وايزمان هذا الطلب . ورتب تشرشل اجتماعًا للوفد مع الزعيم الصهيونى ، ولم يكن اجتماعًا ناجحا ، وقد وصف أحد المسئولين البريطانيين حديث وايزمان فيه بأنه كان يتحدث بلغة المنتصر the couqueror .

كما التقى وايزمان مع نورى السعيد عام ١٩٣٦ - بعد قيام الثورة الفلسطينية - واقترح عليه الأخير أن تتخذ الحركة الصهيونية قرارا لتهدئة مشاعر الفلسطينيين، وإظهار حسن نواياها ، وذلك بوقف الهجرة اليهودية مؤقتا إلى فلسطين . وقد اقتنع وايزمان بالفكرة ولكن الوكالة اليهودية بقيادة بن جوريون رفضتها بشكل قاطع ، وأبدى وايزمان فى مذكراته ندمه على ما اعتبرها سقطة من جانبه .

وعلى أية حال ، فبالرغم مما عرف عن وايزمان من حرص وتريث فى إدارة المنظمة الصهيونية ، وعلى الرغم مما نسبه إليه مؤرخه المشار إليه من الرغبة فى عدم المساس بمصالح عرب فلسطين ، فلا شك فى أنه - كغيره من الصهيونيين - كان يرى أن هذه المصالح لا تتعدى الحقوق المدنية والدينية ، والتى اصطلحوا على تسميتها حقوق الإقامة ، مقابل تمتع اليهود بحقوق السيادة الكاملة على فلسطين . وسوف نرى بعد قليل أنه كان يرى ترحيل عرب فلسطين إلى شرق الأردن والعراق ، وقدم بالفعل اقتراحا بذلك إلى السلطات البريطانية .

جابوتينسكى والعرب :

كان جابوتنسكى يرى أن الدولة اليهودية سوف تكون فيها دائما أقلية عربية كبيرة لن تكف عن المقاومة إلا إذا أقامت الصهيونية جدارا حديديا يقضى على أى أمل لديها .

ويحاول « جابوتنسكى » فى كتاباته أن يبرر موقفه من الفلسطينيين ، فيذكر أن «كاتب هذه السطور لا يعتبر عدوا للعرب ، أو من أنصار طردهم ، فهذا ليس صحيحا ، وإن مشاعرى نحو العرب هى نفس مشاعرى تجاه كل الشعوب الأخرى ، وهى عدم الاهتمام المهذب polite indifference . فعلاقاتى السياسية يميزها مبدآن : الأول إن طرد العرب من فلسطين مستحيل تماما بجميع صوره ، فسوف يكون دائما فى فلسطين شعبان . والثانى إننى فخور بأننى كنت عضوا فى المجموعة التى صاغت برنامج هيلسنجفورس ، والذى قمنا بصياغته من أجل جميع الشعوب لا من أجل اليهود وحدهم ، على أساس المساواة بين كافة الأمم» (*) .

(*) الاقتباسات من كتابات جابوتنسكى مأخوذة من كتاب :

The Iron Wall - By Lenni Brenner

وهو يدعو إلى عدم إساءة تقدير العرب ، أو التقليل من ذكائهم بالرغم من أنهم ـ فى رأيه ـ متخلفون ثقافيا عن اليهود بخمسمائة عام « فإن رأى أنصار الحلول الوسط (من اليهود) الذين يحاولون إقناعنا بأن العرب بلهاء يمكن خداعهم بصياغات مخففة لأهدافنا أو رشوتهم بالأموال للتخلى عن حق مولدهم فى فلسطين من أجل منافع ثقافية واقتصادية ، هذا الرأى مرفوض منى تماما ، فكل الشعوب ـ سواء المتمدينة أو المتوحشة ـ يعتبرون بلادهم أوطانا يكونون هم دائما أسيادها ، ولا يسمحون باختيارهم لأسياد آخرين عليها أو حتى لشركاء لهم فيها » .

والحل لديه هو الجدار الحديدى الذى يروع الفلسطينيين ، ويفرض عليهم الدولة اليهودية .

وهو يعلن بصراحة أنه ليس وحده صاحب هذا الرأى ، بل إن كل الصهيونيين يشاطرونه فيه ، فليس هناك فارق يذكر بين دعاة القوة العسكرية وغيرهم ، ويقول : «إننى أفضل الجدار الحديدى ببنادق يهودية ، فى حين يقترح آخرون جدارا حديديا ببنادق بريطانية ، ويقترح غيرهم الاتفاق مع بغداد . ويبدو أنهم يطمئنون لبنادقها (ويقصد الاتفاق مع فيصل الذى نصب ملكا للعراق) ، ولكننا جميعا نصفق نهارا وليلا للجدار الحديدى » .

أما عن احتمالات الاتفاق مع الفلسطينيين ، فإنه يرى أنه « ليس معنى ذلك أن أى نوع من الاتفاقات مستحيل ، ولكن المستحيل هو الاتفاق الاختيارى . فطالما أن هناك بارقة أمل فى أنهم يستطيعون التخلص منا ، فإنهم لن يتخلوا عن هذا الأمل مقابل كلمات حلوة أو لقمة خبز ، لأنهم ليسوا جمعا من الغوغاء بل هم أمة ، ربما كانت ممزقة ولكنها لاتزال حية » .

ونظرة « جابوتنسكى » إلى فلسطين والعالم العربى ، والتى يستند إليها ـ هو وتلاميذه من بعده ـ لتبرير مطالبتهم بإقامة دولة يهودية فيها ، هى نظرة شمولية للعالم العربى ، كما لو كان يشكل وحدة سياسية كبرى لا تشغل فلسطين منه إلا جزءا صغيرا ، وأن أملاك العرب شاسعة ولايضيرهم اقتطاع جزء منها .

فهو يقول فى كتاباته « إننى أحلم باجتماع عربى كبير ، يشارك فيه مندوبون من كافة الدول العربية ـ من أغادير حتى البصرة ـ والمندوب الإسرائيلى يقف أمام هذا الاجتماع ويعلن صراحة أن أرض إسرائيل ستكون وطنا لليهود يستوطنونها ويحكمونها ، ويذكر

لهم أن هذه الأرض هى أقل من واحد فى المائة من المساحات الكبيرة التى منحكم الله إياها ، فى حين أن شعبى بلا وطن . ولقد سميت هذه الأرض فى قلبى دائما بأرضى . وربما لا تكون هناك حاجة للقتال مع أننى مستعد لأن أقاتل من أجلها فإما أن أحيا بها أو أموت . يا أبناء إبراهيم سيقوم اسماعيل بتنفيذ مطالب إسرائيل لأنه سيكون من العدل أن يعاد تقسيم أرض الله من جديد حتى تستطيع أمة بلا وطن العودة إلى مملكتها السابقة » .

ويرى « جابوتنسكى » أن المطالب الصهيونية أخلاقية ، فى حين أن مقاومة الفلسطينيين ورفضهم لإقامة دولة يهودية على أرضهم مواقف غير أخلاقية .

فهو يتساءل « هل يعتبر أخلاقيا أن يمتلك الشعب العربى الكثير فى حين لا يمتلك الشعب اليهودى إلا القليل ؟ إن احتلال اليهود لأرض إسرائيل يجعلهم على حق فى نظر الإله ، والكتائب العبرية جاءت لاحتلال البلاد من سلطة الاحتلال التركى وليس من العرب » .

أما عن وضع العرب فى الدولة اليهودية عندما تصبح السلطة الكاملة فى أيديها ، فإنهم يجب - فى رأيه - أن يتمتعوا بحكم ذاتى واسع .

وبالرغم من أنه دعا فى نهاية أيامه إلى إجراء عملية تبادل للسكان ، إلا أنه كان يعتقد أن « أرض إسرائيل » يمكن أن تستوعب مليون عربى ومليونا آخر من نسلهم إلى جانب عدة ملايين من اليهود .

ولا يجد « جابوتنسكى » أية غرابة فى أن يصبح العرب أقلية فى بلدهم بعد أن تتحقق الأغلبية لليهود فى فلسطين بوصول ملايين المهاجرين ، فهو يكتب « إن جزءا واحدا ، فرعا واحدا وصغيرا من هذا الجنس سوف يكون عليه أن يعيش فى دولة للآخرين ، وهذه هى الحال مع أقوى دول العالم ، فلا أكاد أذكر واحدة من كبار الأمم القوية لا يكون فيها فرع من دولة أخرى ، وإنه مفهوم جدا أن عرب فلسطين يفضلون أن تكون فلسطين هى الدولة العربية رقم ٤ أو ٥ أو ٦ ، ولكن عندما يصطدم الطلب العربى بطلب إنقاذ اليهود فإن هذا يشبه الفرق بين طلب الطعام بسبب الشهية وطلبه لتجنب الموت جوعا » .

وقد ظل جابوتنسكي يعارض التنازل عن أى جزء من « أرض إسرائيل » ويتمسك باسترداد شرق الأردن . وقد رفض مشروع لجنة بيل البريطانية بشأن تقسيم فلسطين وهرب إلى اليهود فيها اسطوانة سجل عليها انتقاداته الشديدة لهذا المشروع .

واستمرت الحركة التصحيحية من بعده ترفع شعار أرض إسرائيل على ضفتى نهر الأردن ، وجعل ميناحيم بيجين - تلميذ جابوتنسكي - شعار حزبه « حيروت » خريطة فلسطين شاملة الأردن ، مع بندقية ترمز إلى العزم على استعادتها بالقوة .

بن جوريون والعرب :

عندما سافر دافيد بن جوريون إلى فلسطين عام ١٩٠٦ كان يعيش فيها حوالى ٧٠٠ ألف عربى فلسطينى ، وحوالى ٥٥ ألف يهودى كانوا يقيمون فى المدن الأربع الرئيسية : القدس والخليل وطبرية وصفد وحوالى ٣٠ قرية يهودية .

ويذكر الكاتب الإسرائيلى شبتاى تيبت فى كتابه « بن جوريون والعرب » أن بن جوريون كان يرى فى بداية استقراره هناك أن أرض فلسطين واسعة ، وتكفى الشعبين اليهودى والعربى معا .

وكان يقسم الأراضى قسمين : أراض جرداء غير مأهولة ، وتشكل ما بين ٨٠و ٩٠٪ من مساحتها ويرى أن يستوطنها اليهود ، أما الأرض الباقية التى يقوم العرب بزراعتها فإنه يمكن أن يشاركهم فيها اليهود ويعاونوهم بأساليب الزراعة الحديثة .

وكان يسعى - تطبيقا لمعتقداته الاشتراكية - إلى حل المشكلة عن طريق التعاون بين العمال العرب واليهود فى إطار نقابى ، وأقيم بالفعل هستدروت عربى مرتبط بالهستدروت اليهودى .

كما كان يعتقد أن أحداث ١٩٢٠ و ١٩٢١ (المصادمات بين الفلسطينيين واليهود) ترجع إلى تحريض الإقطاعيين و « الأفندية » الذين يستغلون الطبقة العاملة ويثيرون الفتن الدينية لخدمة أغراضهم .

ولكن أحداث ١٩٢٩ أقنعته بأن الحركة الوطنية الفلسطينية أصبحت منظمة ، وتمثل مدًا قوميا يجب أن يعمل اليهود حسابا له .

وكان ـ كغيره من الصهيونيين ـ يرى وجوب استمرار الهجرة اليهودية بأعداد كبيرة حتى يستطيع اليهود تحقيق الغالبية السكانية ، ويطالب بضمان حكم ذاتى داخلى للفلسطينين فى كل الشئون الثقافية والاقتصادية والاجتماعية وإقامة علاقات جوار بينهم وبين الوطن القومى اليهودى الذى سيتحول إلى دولة .

وعقب أحداث ١٩٢٩ ، اتجه تفكيره إلى أنه لكى يطمئن عرب فلسطين على مستقبلهم بعد تحقيق الغالبية السكانية لليهود ، فإنه يجب طمأنتهم وإزالة مخاوفهم من تسلط اليهود عليهم ، وكسب موافقتهم ، بالتالى ، على عمليات الهجرة والاستيطان اليهودية .

وقرر أن يقيم حوارا مع بعض الشخصيات القيادية العربية ، واختار للقائه الأول موسى العلمى « لأنه يريد عربيا معروفا كعربى وطنى لا يمكن شراؤه بالمال أو الوظيفة ولايكره إسرائيل » ، (وكانت شقيقة العلمى متزوجة من ابن عم المفتى الحاج أمين الحسينى ـ الذى كان بن جوريون يمهد للقائه) ـ وقابله فى ٢٠ مارس ١٩٣٤ ، كما قابل عونى عبد الهادى ، وفى أبريل ١٩٣٦ قابل جورج أنطونيوس . بدأ بن جوريون الحوار مع موسى العلمى مشيرا إلى ما تحمله الصهيونية من خير وبركة لأرض فلسطين . وكان رد العلمى إن العرب يفضلون أن تبقى هذه البلاد فقيرة قاحلة مائة سنة أخرى حتى يستطيعوا تطويرها بقوتهم الذاتية . وعقب بن جوريون على ذلك فى مذكراته بأنه شعر فى قرارة قلبه بأنه لو كان عربيا لقال نفس الشىء .

أما حواره مع أنطونيوس ، فقد عرض فيه بن جوريون اقتراح إقامة منطقة يهودية مستقلة فى فلسطين على أن تشكّل جزءاً من اتحاد فيدرالى عربى ، وبذلك ـ على حد تفكير بن جوريون ـ يضمن الفلسطينيون العرب عدم تسلط اليهود عليهم . ولما اقترح أنطونيوس عليه وضع حدود للهجرة اليهودية أبدى رفضه القاطع لذلك . وعندما سأله عن إقليم المنطقة اليهودية ، تهرب من إعطاء إجابة واضحة ذاكرا إنها أرض إسرائيل ، فلما استفسر منه عن حدودها أجاب بن جوريون بأن حدودها معروفة فى التاريخ ، فهى أرض تقع بين البحر الأبيض غربا والصحراء شرقا ومن منابع نهر الأردن شمالا إلى سيناء جنوبا . وردا على سؤال أنطونيوس عما إذا كانت تشمل شرق الأردن رد بتأكيد ذلك ، فعقب أنطونيوس قائلاً إنك تقترح أن تحصل من العرب مالم تعطيكه انجلترا ، انها بلد عربية وإن لنا حقا فى السيادة الكاملة . ويختتم بن جوريون مذكراته

عن هذا الحوار ذاكرا أنه أجابه «هذا فى سوريا ولكننا كنا من قبل فى أرض إسرائيل قبلكم ونحن نعود إلى بلادنا» .

كان اقتراح بن جوريون فى ذلك الوقت هو إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين، وفتح أبوابها للهجرة غير المحدودة ، مع إقامة اتحاد فيدرالى يضمها هى وشرق الأردن وربما سوريا أو العراق .

وقد نوقشت الفكرة فى اللجنة التنفيذية الصهيونية ، وأجريت عدة اتصالات بشأنها مع عدد من الشخصيات العربية خلال الأعوام من ١٩٣٦ حتى ١٩٤١ ، وتبلورت الأفكار الصهيونية فى عدد من النقاط أهمها : ارتباط الهجرة اليهودية بقدرة البلاد على الاستيعاب ودون الإضرار بالعرب - وألا يؤدى شراء الأراضى إلى حرمان من يعتمدون على الزراعة كمورد زرقهم - وعدم تسلط أى من الجانبين العربى واليهودى على الآخر بحيث يكون تمثيل كل منهما فى البرلمان والإدارة متساويا . وعلى هذه الأسس تتخذ الصهيونية موقفا إيجابيا من الفيدرالية العربية مع مراعاة المصالح اليهودية ، وتتخذ بريطانيا موقفا مؤيدا للمفاوضات والاتفاق .

وكان من بين الشخصيات العربية التى تم الاتصال بها جميل مردم ، وشكرى القوتلى ، ولطفى الحوار .

غير أن بن جوريون غير موقفه وتخلى عن فكرة الانضمام إلى فيدرالية عربية ، وعقد مؤتمر بلتيمور عام ١٩٤٢ حيث تقرر إنشاء الدولة اليهودية .

هذا عن محاولات إيجاد تسوية سياسية مع العرب ، وقد كان دافع بن جوريون إلى بذل هذه المحاولات هو تصاعد المقاومة الفلسطينية وبدء تنظيمها ، وهى جميعها لا تنطوى على أى تنازل عن الهدف الصهيونى فى تحقيق الغالبية اليهودية وبسط السيادة على فلسطين .

ولاتختلف نظرة بن جوريون كثيرا عن موقف جابوتنسكى تجاه « المسألة العربية» . فقد كان هو الآخر مقتنعا بفرض المشروع الصهيونى بالقوة . وقد أطلق الهاجاناه لإرهاب عرب فلسطين ، كما كان يتبنى فكرة ترحيلهم أو طردهم قسرا من « أرض إسرائيل» ، ووضع الخطط لتنفيذ هذه الفكرة . وأتاحت له حرب ١٩٤٨ الفرصة لذلك .

ومنذ تولى بن جوريون رئاسة الحكومة الإسرائيلية بعد إعلان الدولة ، انتهج سياسة مناقضة تماما لما نسبه إليه شبتاى تيبيت فى كتابه المشار إليه من أنه كان يعتقد أن فلسطين تتسع للشعبين الفلسطينى واليهودى معا ، وكان التطرف السياسى والعسكرى هو السمة المميزة لحكمه الطويل سواء فى مواجهة عرب فلسطين ، أو الدول العربية المجاورة . وعلى أية حال ، فقد انتهى شبتاى يتيت إلى نتيجة مؤداها أن محاولات بن جوريون لإيجاد صيغة تفاهم مع العرب كانت من قبيل التكتيكات ، وما لبث أن تخلى عنها عندما قويت شوكة اليهود فى فلسطين .

طرد الفلسطينيين :

كان تيودور هيرتزل ـ شأنه كشأن بقية الزعماء ـ لا يستبعد فكرة طرد الفلسطينيين ، أو ترحيلهم ـ رغم تصريحاته وكتاباته عن التعايش معهم فى الدولة اليهودية ـ فقد كتب فى يومياته فى ١٢ يونيو ١٨٩٥ « عندما نحتل الأرض . . سنسعى لتهجير السكان المعدمين عبر الحدود من خلال تدبير الوظائف لهم فى بلاد الانتقال ، لكننا سنمنعهم من القيام بأى عمل فى بلادنا » .

ومن أوائل زعماء الصهيونية الذين جاهروا بالدعوة إلى طرد الفلسطينيين إسرائيل زنجويل ، الذى زار فلسطين سنة ١٨٩٧ ، حيث قال « علينا أن نستعد لطرد القبائل صاحبة الملكية بحد السيف كما فعل أجدادنا » ، وأصبح من أكبر الدعاة لفكرة الترحيل باعتباره ـ فى رأيه ـ الشرط المسبق لتحقيق الصهيونية ، وان النزوح العربى من فلسطين سيبنى على أساس إعادة توزيع عرقى ، أو رحلة كتلك التى قام بها شعب البوير من مستعمرة الكاب « فإذا أردنا أن نعطى بلدا لشعب بلا بلد فمن الحماقة أن يسمح بأن يكون فى هذا البلد شعبان » وشدد زنجويل من حملته بعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ ، الأمر الذى أثار الأمير فيصل وأحرج حاييم وايزمان (*) .

واقترح آرثر روبين ، مدير دائرة الاستيطان الصهيونى ، فى عام ١٩١١ ترحيلا محدودا للسكان من الفلاحين العرب الذين تنزع منهم الأرض إلى شمال سوريا ، وذلك تمكينا لليهود من شراء الأرض .

(*) ـ نور الدين مصالحة : طرد الفلسطينيين .

وفى المؤتمر الصهيونى المنعقد فى ألمانيا فى يوليو ١٩١٢ ، اقترح ليون موتسكين حل المشكلة السكانية فى فلسطين فى إطار عربى أوسع بأن يشترط قبول الفلسطينيين الذين يبيعون أراضيهم إعادة توطينهم فى البلدان العربية المجاورة .

أما حاييم وايزمان ، فقد كتب بعد زيارة إلى فلسطين خطابا إلى ابنه تضمن « أن عرب فلسطين أشبه بصخور منطقة يهودا ، فهم عوائق يجب إزالتها عن هذا الدرب الصعب » . ولكنه كان يدرك مدى حساسية الرأى العام البريطانى تجاه التعامل مع «المشكلة العربية » ، ويرى أن إصرار الصهيونيين الذى يبدونه علنا على خلق أغلبية يهودية قد تفسره بريطانيا برغبتهم فى طرد العرب .

وعقب المصادمات بين اليهود والفلسطينيين عام ١٩٢٩ ، كانت حجة وايزمان التى أبداها أمام أعضاء لجنة شو البريطانية هى أن مشكلة الأرض ما كانت لتنشأ لو لم يفصل شرق الأردن عن فلسطين ، واقترح إجراء تبادل سكانى بترحيل الفلسطينيين إلى شرق الأردن والعراق ، ذاكرا للورد باسفيلد « أن الأزمة بأسرها بدأت فى رأيى لأن شرق الأردن فصل عن فلسطين تحت جنح الظلام ، وتم فجأة اقتطاع أكثر من نصف مساحة الأرض ومنع اليهود من استعمارها ، والمؤكد أنه إذا لم يسمح لنا بعبور نهر الأردن فإن فى وسع العرب أن يفعلوا ذلك . والأمر نفسه ينطبق على العراق » .(*) وكتب وايزمان إلى مسئول الوكالة اليهودية طالبا إرسال التفاصيل عن أراض يمكن شراؤها فى شرق الأردن لإعادة توطين من يرحلون إليها .

وتقدم وايزمان باقتراح رسمى عام ١٩٣٠ إلى وزارة المستعمرات البريطانية متضمنا خطة وضعها بنحاس روتنبرج (مؤسس شركة كهرباء فلسطين) تقوم على أساس جمع قرض بمبلغ مليون جنيه فلسطينى لتمويل توطين الفلسطينيين فى شرق الأردن .

وظلت فكرة ترحيل الفلسطينيين إلى شرق الأردن والعراق تتردد فى الأوساط الصهيونية ، وخاصة منذ الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ . ونوقشت الفكرة فى اجتماعات الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية ، وكان هناك من يؤيدها بحماسة ، ومن رأى أن قبول الفلسطينيين للترحيل لا يمكن أن يتم طوعا . وأقرت الغالبية اقتراح الترحيل الطوعى .

(*) نور الدين مصالحة : المرجع السابق .

وأوصت لجنة بيل البريطانية فى تقريرها الذى قدمته فى يوليو ١٩٣٧ ، بتقسيم فلسطين إلى دولتين ذاتى سيادة : يهودية ، وعربية ، واقترحت ترحيل حوالى ٢٢٥ ألف عربى من الدولة اليهودية إلى الدولة العربية ، على أساس مبدأ تبادل السكان (فى حين أن اليهود الذين كانوا فى حدود الدولة العربية المقترحة لم يزيدوا عن ١٢٥٠ شخصا) . ولا شك فى أن مقترحات اللجنة جاءت متأثرة بالأفكار الصهيونية ، ولذا فقد قبلها اليهود (مع التحفظ بالنسبة لمساحة الدولة اليهودية) ورفضها العرب .

أما بن جوريون ، فقد ذكر فى خطاب ألقاه فى ٢٩ يوليو ١٩٣٧ أمام مؤتمر (إيحود بوعالى تسيون) العالمى ، المعقود فى مدينة زيورخ (*) « من خلال اقتراح ترحيل السكان العرب من أرض الدولة اليهودية طوعا إذا أمكن وقسراً إذا استحال ذلك ، يصبح فى الإمكان توسيع رقعة الاستيطان اليهودى » . ودافع عن توصيات لجنة بيل فى حين عارضت جولدا مايير فكرة التقسيم ، ولكنها وافقت على فكرة الترحيل ، وذلك فى المؤتمر الصهيونى العشرين الذى عقد فى نفس الشهر .

وقال كابلان ، زعيم الحزب الاشتراكى وأول وزير مالية فى إسرائيل فى المؤتمر «إنه ليس من الإنصاف فى شىء مقارنة اقتراح ترحيل العرب بطرد اليهود من ألمانيا أو أى بلد آخر . فالأمر لا يتعلق هنا بالطرد بل بنقل منتظم لعدد صغير من العرب من رقعة محدودة إلى دولة عربية ، أى إلى جوار أهلهم » .

أما بانكوفر ، عضو كيبوتزرامات هاكوفيتش ، فقد قال « أما فيما يتعلق بالنقل الإجبارى للسكان العرب ، فإننى سأكون مسرورا جدا لو كان بالإمكان تحريرنا من جوار سكان مسحة والطيرة وقلقيلية » وتساءل «هل يوجد أى أمل فى أن يوافق العرب، على هذا الإجراء طوعا ؟ أية اعتبارات سياسية أو اقتصادية أو قومية تجعلهم يرحلون إلى شرق الأردن الأكثر بؤسا وهجرة الأرض الخصبة والمتطورة التابعة للدولة اليهودية . أما مثال تبادل السكان الذى جرى بين تركيا واليونان ، فليس مجال مقارنة لأنهم كانوا أمام خيار واحد إما مغادرة البلد أو الذبح» .

وأما س . لافى ، فقد ذكر إن مطلب ترحيل العرب ليفسحوا المجال لنا ، مطلب عادل وأخلاقى تماما ، إذ أن لديهم ما يكفى من الأماكن ليذهبوا إليها .

(*) إسرائيل شاحاك . من الأرشيف الصهيونى

وعارض ى. إيد لسون رأى بن جوريون ذاكرا « إن ربط بن جوريون مستقبل استيطاننا فى أرض إسرائيل بعد تقسيمها بإمكانية تفريغها من العرب، لا علاقة له بالموضوع (أى بقبول مشروع لجنة بيل البريطانية) ». وأوضح الفارق بين الوضع فى فلسطين وبين وضع اليونانيين والأتراك ذاكرا إن العرب لن يوافقوا على الرحيل ، كما أننا لانستطيع طردهم بالقوة لأنهم لن يسمحوا لنا بأن نفعل ذلك إذ أن لديهم رهائن منا فى كافة أنحاء العالم وفى الدول العربية المجاورة .

وتساءلت جولدا مايرسون (مائير) عما إذا كانت بريطانيا توافق على عمل من شأنه إثارة العالم الإسلامى كله ، ذاكرة « إننى أوافق على خروج العرب من البلد، وسيكون ضميرى مستريحا تماما لذلك ، لكن هل تتوافر إمكانية لذلك ؟» .

وعبر عدد كبير من المشاركين فى المؤتمر الصهيونى عن اعتقادهم بأن تهجير الفلسطينين له ما يبرره من الناحية الأخلاقية ، ولم يتردد بعضهم فى المطالبة بالترحيل القسرى . ولكن وجد من بينهم من رأى فى تهجير العرب أمرا لا أخلاقيا .

وتقدم سيبلج سوسكين عام ١٩٣٧ ، بخطة للترحيل القسرى للفلسطينيين لا فى السهول فقط ،كما توصى لجنة بيل ،بل فى المنطقة الجبلية كذلك ،حيث يقطن أغلبية سكان الريف العرب ، واقترح إنشاء صندوق للأرض ،وترحيل الفلسطينيين قسرا كخطوة تمهيدية نحو بناء الدولة اليهودية ، ذاكرا أنه يجب أن يتم ذلك بأقصى سرعة ممكنة وفى أقصر وقت ، وإن إعادة توطين سكان الريف العرب ينبغى أن تقدم على أنها عمل إنسانى عظيم ،فالمزراعون سيتحررون من استغلال الأفندية، وصغار الملاك سوف يمنحون أراض تقسم إلى حصص منفصلة مستقلة » وقد كانت الخطة التى قدمها سوسكين مفصلة ومحددة تكاليفها .

وقامت الوكالة اليهودية بتشكيل اللجان الاستشارية ،ومنها « لجنة ترحيل السكان»، وقدم أحد أعضائها يوسف ڤايتس خطة للترحيل فى ديسمبر ١٩٣٧ ، كما قدم عضو آخر هو ألفريد بونيه خطة ثانية فى يوليو ١٩٣٨ .

وفى اجتماعات اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ،طرح بن جوريون خطة للعمل بعنوان « المهمة الصهيونية للدولة اليهودية » موضحا أن هذه الدولة ستناقش مع الدول العربية المجاورة مسألة الترحيل الطوعى للمزارعين والعمال والفلاحين العرب من الدولة اليهودية إلى الدول المجاورة . وناقش أعضاء اللجنة فكرة الترحيل القسرى ،

وأصر عليها بعضهم (مثل إلياهو برلين) وذكر بن جوريون بصريح العبارة «إننى أساند الترحيل القسرى، ولا أرى فيه ما ينافى الأخلاق، ولكن انجلترا وحدها هى القادرة عليه» .

وظل يوسف ڤايتس متعلقا بفكرة الترحيل ومقتنعا بأنه «لا مكان لشعبين فى هذا البلد، ولكن بعد ترحيل العرب سيصبح البلد مفتوحا أمامنا»، وأخذ يجرى الاتصالات بغيره من زعماء الييشوف (يهود فلسطين) ويتنقل فى أنحاء البلاد ليعاين ما يمكن لليهود الاستيلاء عليه من الأراضى. وواصلت الحركة الصهيونية اتصالاتها الدولية، ووضعت خططا متعددة منها خطة إدوارد نورمان لترحيل الفلسطينيين إلى العراق.

وكان بن جوريون مقتنعا تماما بفكرة ترحيل الفلسطينيين إلى الدول العربية . وقد عمل على الترويج لخطط تبادل السكان بترحيل عرب فلسطين وشرق الأردن إلى العراق ، وترحيل يهود العراق واليمن وسوريا إلى فلسطين . وقابل فى أواخر عام ١٩٤٣ هربرت هوفر رئيس الولايات المتحدة السابق الذى اقتنع بأفكار بن جوريون وقدم إلى البيت الأبيض «خطة هوفر» للتبادل السكانى بين فلسطين والعراق .

وإذ كان بن جوريون يؤمن بسياسة المراحل ، ويرى أن الحروب والأزمات تخلق فرصا ذهبية لمن يحسن استغلالها لمصلحته ، فقد وجد الفرصة سانحة فى ظروف الاشتباكات التى أعقبت صدور قرار التقسيم فى نوفمبر ١٩٤٧ ، ثم فى الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨ ، لتنفيذ أفكاره.

فقد كان مخصصا للدولة اليهودية فى قرار التقسيم ٥٥٪ من مساحة فلسطين فاستولت قواته على ٤٠ر٧٧٪ من مساحتها .

وكان من المفروض - طبقا لذلك القرار - أن يعيش ٤٩٧ ألف عربى فى حدود الدولة اليهودية ، فنفذت « خطة دالت plan D » لطرد أكبر عدد من الفلسطينيين ، وكانت الخطة التى اعتمدتها القيادة العليا للهاجاناه - فى مارس ١٩٤٨ - والتى أعدت منذ عام ١٩٤٤ - تقضى بالاستيلاء على النقاط الرئيسية والطرق قبل رحيل البريطانيين ، وتقوم على أسس توسيع الدولة اليهودية إلى أبعد من حدود التقسيم ، ونسف وحرق وتدمير القرى العربية وطرد السكان منها إلى خارج الحدود ، إذا واجهت القوات اليهودية أية مقاومة .

وهكذا فر ٧٥٠ ألف فلسطينى إلى خارج البلاد ، ونشأت مشكلة اللاجئين التى لا تزال مستعصية على الحل منذ خمسين عاما .

دولة إسرائيل وعرب فلسطين :

أعلن داڤيد بن جوريون قيام دولة إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، صبيحة انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين . وبدأت الحرب العربية الإسرائيلية الأولى .

وما إن انتهت الحرب حتى بدأ بن جوريون يرسى قواعد الدولة اليهودية . وكان قد فر منها ٧٥٠ ألف فلسطينى ، ولجأوا إلى الدول العربية المجاورة ، فأعلن مؤسس الدولة قراره القاطع بعدم قبول عودتهم إلى منازلهم وممتلكاتهم التى تركوها ، رافضا الإذعان لقرار الأمم المتحدة بإعادتهم ، ولا التخلى عن الأراضى التى احتلتها إسرائيل خلافا لقرار تقسيم فلسطين وتدويل منطقة القدس . وقام الملك عبد الله بضم ما تبقى من أرض فلسطين .

واستولت إسرائيل على ممتكلات الفلسطينيين الفارين ، وأسكنت المهاجرين اليهود فى بيوتهم وأعطتهم مزارعهم . وأصدرت قانون أملاك الغائبين الذى يضع هذه الأملاك تحت تصرف قيم يملك التصرف فيها ، واعتبرت غائبا أى فلسطينى غادر محل إقامته يوم صدور قرار تقسيم فلسطين (فى نوفمبر ١٩٤٧) أو بعد ذلك (ولو كان لا يزال فى مكان آخر بفلسطين) .

وفى الوقت الذى حرمت فيه أى لاجىء فلسطينى من العودة ، فإنها بمقتضى قانون العودة اعتبرت من حق أى يهودى ، فى أى مكان فى العالم أن يهاجر إلى إسرائيل ويحمل جنسيتها .

أما من تبقى من عرب فلسطين ، فقد فقدوا هويتهم وأصبحوا يحملون الجنسية الإسرائيلية ويخضعون لقوانينها . وبالرغم مما نصت عليه القوانين الأساسية الإسرائيلية من المساواة بين المواطنين ، فقد ظلوا خاضعين للحكم العسكرى حتى عام ١٩٦٤ ، إذ اعتبرهم بن جوريون طابورا خامسا عربيا ، وأحكم وضعهم داخل طوق أمنى رهيب فهم لا يتحركون من مكان إلى آخر إلا بعد إجراءات تحقيق تعسفية ، وتختلق المعاذير لطردهم ، أو الاستيلاء على أموالهم ، ولا يتمتعون بأى من الحريات

الإنسانية ، ويقدمون لمحاكم عسكرية لا تتوافر فيها أية ضمانات قضائية . وقامت إسرائيل بهدم عدد كبير من القرى العربية (من بينها قرية عكرية ، وقرية كفر برعيم ، وقرية الطيرة) .

وصادرت مساحات شاسعة من الأراضى العربية ، مستخدمة لذلك كل الأساليب القانونية ومنها لوائح الطوارئ العسكرية ، وقانون تملك الأراضى ، فضلا عن قانون أملاك الغائبين ، ومستغلة الأوضاع السابقة حيث كانت معظم الأراضى التى يمتلكها الفلسطينيون غير مسجلة .

وهكذا بنيت الدولة اليهودية على حساب الأراضى الفلسطينية التى لم تكن الصهيونية قد تملكت سوى ٦٪ منها ، واستولت على الدومين العام لبلد ظل العرب ينشئونه طوال ثلاثة عشر قرنا من الزمان .

الفصل الخامس

أرض إسرائيل التاريخية

تحديد الهدف الصهيونى :

حدد المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى مدينة بازل السويسرية فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ ، هدف الحركة الصهيونية بـ « إنشاء وطن لليهود فى فلسطين ، معترف به فى القانون العام » .

وقد تفادت الحركة استخدام عبارة « إنشاء دولة لليهود » لأسباب دبلوماسية خشية إثارة اعتراضات الدول ـ وخاصة الامبرطورية العثمانية ـ على هذا الهدف .

وأسست « المنظمة الصهيونية العالمية » ، وحددت المحاور الأربعة التى تعمل على أساسها من أجل إقامة الدولة ، وهى : الهجرة والاستيطان ـ وتنظيم اليهود فى منظمات محلية ودولية ـ وتنمية الشعور القومى اليهودى ـ والحصول على الموافقة الحكومية اللازمة .

ومن أجل تمويل عمليات الاستيطان ، أنشأت الحركة فى مؤتمرها الأول «صندوق الائتمان اليهودى للاستثمار » ، و « الصندوق القومى اليهودى » لشراء الأراضى وتأجيرها للمستوطنين .

وواصلت المنظمة الصهيونية عقد مؤتمراتها ، وفرضت فى المؤتمر الثانى ضريبة عضوية (تسمى الشاقل) ، وتلقت فى مؤتمراتها التالية تقارير تيودور هيرتزل عن مساعيه للحصول على الوطن القومى ، ووافقت على إنشاء المستوطنات التعاونية (الكيبوتس والموشاف) فى فلسطين . ومنذ صدور وعد بلفور وإقامة الانتداب البريطانى على فلسطين ، بدأت الوكالة اليهودية تعمل بالتعاون مع السلطات البريطانية من أجل بناء الدولة اليهودية تحت إشراف المنظمة ، التى تولت إرسال أفواج

المهاجرين إلى الأراضى الفلسطينية وشراء الأراضى واستيطانها ، وإجراء الاتصالات مع الحكومة البريطانية وغيرها من الحكومات .

وقبيل إعلان قيام دولة إسرائيل فى مايو ١٩٤٨ ، بلغ عدد اليهود فى فلسطين ٦٤٩ر٦٣٢ ، وقدرت ملكيتهم للأراضى بحوالى ٦٪ من مساحة البلاد .

توفير الحماية الدولية :

كان على تيودور هيرتزل أن يحصل على موافقة الباب العالى العثمانى على إقامة الوطن القومى فى فلسطين التى كانت جزءا من الامبراطورية العثمانية . واتجه تفكيره فى أول الأمر إلى ألمانيا التى رآها أصلح الدول الكبرى لبسط الحماية على الوطن القومى اليهودى ، ففضلا عن أن معظم زعماء الحركة الصهيونية من الناطقين بالألمانية ، فإن ألمانيا كانت تربطها بالباب العالى علاقات ممتازة ، ومن ثم فإن القيصر ويلهليم يمكنه إقناع السلطان عبد الحميد بالمشروع الصهيونى .

وتمكن هيرتزل من مقابلة قيصر ألمانيا أثناء زيارته لاستانبول ، و ظن أنه أقنعه بأن مشروعه سوف يخلص القيصر من اليهود غير المرغوب فيهمّ فى بلاده . ولكن ظنه لم يكن فى محله .

ثم سعى هيرتزل لمقابلة السلطان عبد الحميد ليعرض عليه صفقة شقها الأول هو أن يشترى اليهود ديون الباب العالى ، والشق الآخر هو أن يوافق السلطان على إعطاء امتياز charter لشركة يهودية تقوم باستيطان الأراضى الفلسطينية . ولكن السلطان العثمانى لم يقبل بأكثر من إعلان حماية اليهود فى امبراطوريته بشرط ألا يقيموا فى فلسطين . وكان على الحركة الصهيونية أن تنتظر حتى الانقلاب الذى أسقط السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨ لتدفع بعمليات الهجرة والاستيطان فى ظل إدارة عثمانية أكثر تجاوبا مع المشروع الصهيونى .

وعندما مضى الوقت دون أن يتمكن هيرتزل من تحقيق هدف المنظمة ، وكاد صبر أعضائها أن ينفد ، تخلى عن محاولة الحصول لها على فلسطين ، واتجه بمساعيه إلى بريطانيا حيث تمكن من مقابلة جوزيف تشمبرلين ، وعرض عليه استيطان اليهود فى قبرص ، أو فى منطقة العريش المصرية . ورفض تشمبرلين فكرة الاستيطان فى قبرص

وأبدى موافقته على العريش . وسافر هيرتزل إلى مصر فى مارس ١٩٠٣ ، كما توجهت بعثة من الخبراء اليهود إلى العريش ، ولكنها وجدت أن المنطقة تنقصها المياه اللازمة للاستيطان . كما أبلغ اللورد كرومر الزعيم الصهيوني برفض الحكومة المصرية برئاسة بطرس غالى لمشروعه.

ثم عرض تشمبرلين على هيرتزل منطقة فى المستعمرات البريطانية فى شرق أفريقيا (سمى بمشروع أوغندا خطأ إذ كانت المنطقة فى كينيا) وبالرغم من المعارضة الصاخبة فى المؤتمر الصهيونى لهذا الاقتراح ، فقد قرر المؤتمر دراسة إمكانيات الاستيطان هناك ، ولكن بريطانيا تراجعت فيما بعد عن اقتراحها . وتوفى هيرتزل فى يوليو ١٩٠٤ دون أن يحقق هدف المنظمة .

ولم يتحقق الاعتراف والحماية للمشروع الصهيونى إلا نتيجة لمساعى حاييم وايزمان بصدور وعد بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ .

وظلت حماية الدولة الكبرى ركنا أساسيا فى الاستراتيجية الصهيونية - سواء قبل إنشاء إسرائيل أو بعده - فقد تطلعت الحركة إلى ألمانيا فى بادئ الأمر ، ثم تحولت إلى بريطانيا التى أصبحت الدولة الأعظم فى أوربا بعد قيام الحرب العالمية الأولى ، وعندما بدأ نجم الامبراطورية البريطانية فى الأفول بعد الحرب العالمية الثانية ،نقلت الحركة الصهيونية مركز نشاطها إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، التى مازالت الحليف الأكبر لإسرائيل ، والتى تقدم لها الدعم السياسى والاقتصادى وتكفل لها التفوق الحربى على الدول العربية مجتمعة .

حدود أرض إسرائيل :

تعتبر الحركة الصهيونية أرض إسرائيل التاريخية شاملة فلسطين بأكملها - بما فيها شرق الأردن - والجولان وجنوب لبنان .

وقد قدمت خريطتها التى تشمل كل تلك الأراضى إلى مؤتمر السلام فى باريس عام ١٩١٩ . وعندما اقتطعت بريطانيا شرق الأردن لإقامة إمارة عربية فيها واستثنتها من نطاق الوطن القومى اليهودى ، سلمت الحركة الصهيونية بالقرار البريطانى مضطرة وظلت استعادتها هدفا تسعى لتحقيقه ، وجعلت الصهيونية التصحيحية هذا الهدف

شعارا ثابتا لها يرفعه حزب حيروت . ومع تصاعد الضغوط الدولية من أجل ممارسة الشعب الفلسطينى لحقه فى تقرير المصير وإقامة دولته ، حدث بعض التطور فى الموقف الصهيونى فاعتبر شرق الأردن هى الدولة الفلسطينية ، فهى - فى رأيها - تضم سكانا أكثر من نصف عددهم من الفلسطينيين، وبقيتهم من نفس الجنس العربى بعاداته وتقاليده، أما علاقات الفلسطينين بالحكم الأردنى فهى مشكلة العرب ولا دخل لإسرائيل بها .

وأما الجولان وجنوب لبنان ، فقد كانا - فى رأيها - جزءا من مملكة إسرائيل التاريخية ، ولاغنى للدولة اليهودية عنهما ، وخاصة لضرورة سيطرتها على مصادر المياه التى تحتاجها لتطوير الحياة فيها .

ولم يكن قبول الحركة الصهيونية لمشروع لجنة بيل البريطانية بشأن تقسيم أراضى فلسطين بين اليهود والعرب إلا قرارا مرحليا دافع عنه بن جوريون على أساس استكمال أرض إسرائيل عندما تسمح الظروف بذلك .

كما كان قبول قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين قبولا مرحليا من جانب الحركة الصهيونية ، وما لبثت القوات اليهودية أن توغلت فى الأراضى المخصصة للدولة العربية بهدف اقتطاع أجزاء منها . ولما دخلت القوات العربية فلسطين ودار القتال على أراضيها ، ووجد بن جوريون الظروف سانحة لتوسيع رقعة الدولة ، ورسمت حدود إسرائيل وفقا للمواقع التى بلغتها قواتها .

ومع ذلك ، فإن خطوط الهدنة لم تحقق لإسرائيل الهدف الصهيونى فى الاستيلاء على « أرض إسرائيل التاريخية » ، ومن هنا بدأ بن جوريون فى تنفيذ سياسته التوسعية تجاه الدول العربية المجاورة لتحقيق ذلك الهدف .

بدأ بن جوريون بالاستيلاء على المناطق المنزوعة السلاح والعازلة ، منتهكا اتفاقات الهدنة ، واستولت قواته على قرية أم رشرش الأردنية بهدف الوصول بحدود إسرائيل إلى البحر الأحمر ، وأقام فيها ميناء إيلات . وشن حملة السويس ضد مصر عام ١٩٥٦ ، بالتآمر مع بريطانيا وفرنسا ، وسرعان ما أعلن ضم سيناء وقطاع غزة باعتبارهما - فى رأيه - أجزاء من أرض إسرائيل التوراتية .

وعندما وصلت القوات الإسرائيلية ، فى حرب ١٩٦٧ ، إلى الضفة الشرقية لقناة السويس ، ومرتفعات الجولان ، ونهر الأردن ، وجدت إسرائيل فرصة عمرها فى

رسم حدودها لأرض إسرائيل ، ورأت فيما نص عليه قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بحسب تفسيرها سنداً لما تدعيه من ضرورة الاتفاق على حدود آمنة ومعترف بها بينها وبين الدول العربية .

وتزداد المشكلة تعقيداً بدخول الأصوليين من رجال الدين والسياسة فى معترك المناقشات حول حقيقة حدود أرض إسرائيل التوراتية .

ففى رأى يهودا إليتسور - أحد كبار علماء جوش إيمونيم - أن هذه الحدود تمتد حتى نهر الفرات وجنوب تركيا وشرق الأردن ودلتا النيل . ويرى إسرائيل أريئيل أن أرض إسرائيل تشمل لبنان حتى طرابلس وأجزاء من سوريا والعراق ، كما تشمل سيناء .

وهذا التوسع - فى رأيهم - فريضة دينية على اليهود . فالحاخام يهودا كوك يفتى بأن «الله قد أمرنا بأن نستولى على الأرض ونستوطنها ، ومعنى الاستيلاء هو الغزو - فأداؤنا لفريضة الغزو هو الذى يمكننا من أداء فريضة الاستيطان» .

وقد بادر بعض الحاخامات إلى إيجاد التأويلات المؤيدة للاحتفاظ بسيناء عام ١٩٦٧ ، والاستيلاء على لبنان عقب غزوها عام ١٩٨٢ ، فى حين رأى البعض عدم التعجل فى ضم هذه الأراضى . أما الرأى السائد لدى الأصولية اليهودية ، فهو أن مهمة الجيل الحالى هى بسط سيطرة إسرائيل الدائمة على « يهودا والسامرة » وقطاع غزة والجولان . وهى ترى أن هدف إقامة علاقات حسن الجوار مع عرب فلسطين هدف وهمى ، بل إنه يتعارض كذلك مع معنى المشروع الاستيطانى اليهودى .

ولاتختلف مواقف الأصولية اليهودية ، واليمين الإسرائيلى بشأن « أرض إسرائيل» ، وضرورة الاستيلاء عليها كثيرا عن مواقف بعض زعماء الصهيونية سوى فى التكتيكات التى تتبع لتحقيق هذا الهدف .

ومن كلمات بن جوريون المأثورة كما ذكرنا « إن الحروب والأزمات تخلق فرصا ذهبية لمن يحسن الاستفادة منها لتحقيق أهدافه » .

وقد أحسن الزعيم الصهيونى الاستفادة من الحروب والأزمات لمصلحة إسرائيل ، بل إنه خلق الأزمات ، وشن الحروب كلما رأى فى ذلك فرصا للتوسع .

واتبع فى ذلك سياسة مرحلية ، ففى ظل الحرب العالمية الثانية عقد مؤتمر بلتيمور ليقرر إنشاء دولة إسرائيل ، واستغل ظروف الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨

لتوسيع رقعة الدولة ، وشن حرب ١٩٥٦ بأمل تحقيق مزيد من التوسع وفتح طرق المواصلات البحرية أمام الملاحة الإسرائيلية . ولكنه آثر قبل ذلك قبول مشروع لجنة بيل البريطانية ثم قرار الأمم المتحدة بشأن تقسيم ، فلسطين عندما وجد أن الظروف القائمة لا تسمح إلا بحصول اليهود على أجزاء من « أرض إسرائيل التاريخية » .

أما أداة الصهيونية فى تحقيق مخططها ، فهى القوة العسكرية . فقد أدرك زعماؤها منذ وقت مبكر أن العرب لن يقبلوا مخططها ، ووجدوا مقاومتهم له أمرا طبيعيا . فليس معقولا أن يقفوا مكتوفى الأيدى أمام من يفرضون عليهم تحويل وطنهم - بالهجرة والاستيطان - إلى دولة يهودية . ومن هنا كان الاهتمام الأول للحركة الصهيونية بتشكيل جيش يهودى قوى وقادر على ردع عرب فلسطين ، والوقوف فى مواجهة الدول العربية التى تدافع عنهم .

كما كان حرص الحركة الصهيونية الدائم على أن تحظى بدعم دولة - أو دول - كبرى ، تؤيدها سياسيا وتزودها بما تحتاجه من السلاح ، مع احتفاظ الصهيونية بحرية الحركة لتنفيذ مخططاتها .

المنظمات الإرهابية الصهيونية :

كانت حراسة المستوطنات اليهودية فى فلسطين موكولة فى أواخر القرن الماضى إلى عناصر من العرب والشركس . ومنذ موجة الهجرة الثانية لليهود عام ١٩٠٤ ، اتجه تفكير المهاجرين إلى إقامة حراسة عبرية تطبيقا لمبدأ الطهارة اليهودية ، وأقيمت نقابة الحارس « هستدروت هاشومير » عام ١٩٠٩ ، إلا أنها قامت بحل نفسها عام ١٩٢٠ ، بسبب الصعوبات التى واجهتها مع الحكومة التركية وحلت محلها « الكتائب العبرية » .

وفى أجواء الحرب العالمية الأولى ، اتجهت الحركة الصهيونية إلى نشر الروح العسكرية لدى الجاليات اليهودية . ونجح جابوتنسكى فى تشكيل كتيبة سائقى البغال بقصد إعداد اليهود وتدريبهم على القتال ليكونوا فى المستقبل نواة للجيش اليهودى .

وبعد أن انتقلت المقاومة الفلسطينية إلى مرحلة النضال المسلح عام ١٩٢٠ ، بدأت الحركة الصهيونية تعدّ يهود فلسطين للدفاع عن أنفسهم وردع الفلسطينيين بالقوة ، وخاصة بعد أن وقعت الاشتباكات المسلحة بين الجانبين بمناسبة احتفالات

الفلسطينيين بموسم النبى موسى فى ٤ أبريل ١٩٢٠ ، وسقط فيها عدد من القتلى والجرحى من الجانبين فى القدس ويافا .

وأقيمت منظمة الهاجاناه فى عام ١٩٢١ ، وأصبحت أداة الوكالة اليهودية التى استخدمتها ضد العرب والبريطانيين على السواء ، بالرغم من أن سلطة الانتداب البريطانى لم تبخل عليها بالتدريب والسلاح .

فقد تصاعدت المقاومة الفلسطينية المسلحة ، ووقعت اشتباكات متعددة بينها وبين اليهود فى أعوام ١٩٢٩ (ثورة البراق) بسبب النزاع على حائط المبكى، و١٩٣٣ (ثورة عز الدين القسام) ، ومن ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩ (الثورة الشاملة والإضراب العام المستمر) .

وأدركت بريطانيا أن إقامة الوطن اليهودى رغما عن العرب مهمة مستحيلة ، فأصدرت كتابها الأبيض فى يونيو ١٩٢٢ ، لتوضح فيه أن وعد بلفور لا يعنى إقامته فى فلسطين كلها ، وفصلت شرق الأردن لتقام فيه إمارة عبدالله ، واعتبرت الصهيونية هذا الموقف بداية للخيانة البريطانية ، ثم طرحت لجنة بيل عام ١٩٣٧ مشروعا لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود والبريطانيين فرفضه العرب وقبله اليهود . وفى عام ١٩٣٩ أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض ، متضمنا عزمها على إقامة حكومة فلسطينية مستقلة خلال عشر سنوات ، يساهم فيها العرب واليهود بشكل يضمن مصالح الطرفين ـ وتحديد الهجرة اليهودية فى حدود ٧٥ ألفا خلال خمس سنوات ـ ووضع قيود على بيع الأراضى العربية .

وكان الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ نقطة التحول فى علاقات الصهيونية مع بريطانيا ، فقد رفضته ، وإن كانت دخلت الحرب العالمية الثانية فى صفوفها . وعندما تمسكت بريطانيا بالوقوف فى وجه الهجرة اليهودية غير المشروعة ، أعلن بن جوريون وميناحيم بيجين الحرب الإرهابية على البريطانيين والعرب على السواء .

وكانت منظمة الهاجاناه قد أقيمت نتيجة قرار اتخذه حزب أحدوت هعفودا بعد أن فشل جابوتنسكى وقوته فى الدفاع عن اليهود فى الأحداث التى وقعت فى القدس فى ذلك العام . وخضعت خلال العشرينات للهستدروت (النقابة العامة للعمال اليهود) . وتضمن دستور الهاجاناه أنها منظمة عسكرية سرية للدفاع عن اليشوف (يهود فلسطين) . واتخذت منها الإدارة الصيهونية موقفا متحفظا بسبب رفضها تسليم أسلحتها إلى سلطة الانتداب البريطانى كطلبها ولكن هذا التحفظ زال مع مرور الوقت . وكونت الهاجاناه قوة ضاربة منها باسم « بالماخ » .

وبدأ جابوتنسكى حملته لإقامة ما أسماه بالجدار الحديدى ، مطالبا باعتراف بريطانيا بالقوة العسكرية اليهودية ، التى كان يرى وجوب تكوينها فى شكل جيش نظامى . وكان يتساءل عن سبب تحمل دافع الضريبة البريطانى مسئولية الدفاع عن اليهود فى فلسطين ، ذاكرا أن الحركة الصهيونية هى المسئولة وحدها عن تقديم الرجال والمال اللازمين لتحقيق أهدافها السياسية ، وأن هذا شرط مسبق لأى مشروع استيطانى . وفى عام ١٩٢٣ ، أسس حركة بيطار للشباب اليهودى بهدف تدريبه وإعداده عسكريا : كما أسس منظمة إريجون زفاى ليومى (المعروفة بإريجون أو إيتسل) عام ١٩٣١ . وانشق عن الهاجاناه رئيسها ابراهام تهومى ليؤسس ما عرف «بالهاجاناه ب » . وذلك على أثر الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٢٩ . فقد كان تهومى يطالب بعسكرة الهاجاناه ومنحها مزيداً من الاستقلال عن الهستدروت ، ونشر الثقافة القومية بين أعضائها ، وعرض على جابوتنسكى إقامة منظمة عسكرية جديدة ، ولكن الأخير رفض العرض .

أما جابوتنسكى وحركته التصحيحية فقد شنوا هجوما شديدا على الهاجاناه متهمين إياها بالجنوح إلى السلام . وقد زادت حدة العداء بينهم وبين الهستدروت والهاجاناه بعد حادث مقتل حاييم أرلوزورو ففى يونيو ١٩٣٣ ، واتهام ثلاثة من أعضاء الحركة التصحيحية بقتله (وكان أرلوزوروف رئيس الدائرة السياسية فى الوكالة اليهودية) .

وعندما اندلعت الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ، رأت الوكالة اليهودية انتهاج ما عرف بسياسة ضبط النفس (هفلغاه) . أما المنظمة ب ، فقد انضم إليها عدد كبير من أنصار الصهيونية التصحيحية وحركة بيطار ، وثارت الخلافات داخل صفوفها بسبب سياسة ضبط النفس . وتحدت إيتسل هذه السياسة وتزايد نشاطها الإرهابى الموجه ضد العرب ، فهاجمت الحافلات (الأوتوبيسات) العربية ، ووضعت المتفجرات فى التجمعات العربية ، وأودت بحياة الكثيرين . كما قامت الهاجاناه ببعض الاعتداءات على العرب .

ومنذ صدور الكتاب الأبيض البريطانى عام ١٩٣٩ ، خرجت الهاجاناه على سياسة ضبط النفس ، وقامت هى وإيتسل بعدة عمليات ضد البريطانيين . وبالرغم من فشل المفاوضات بين المنظمتين بشأن اندماجهما ، فإن التنسيق كان قائما بينهما .

وقد قوبل الكتاب الأبيض الذى أصدرته بريطانيا عام ١٩٣٩ ، (والذى حدد عدد

المهاجرين ووعد بإقامة دولة فلسطينية) بمعارضة شديدة من اليهود ، واعتبروا بريطانيا قد تخلت نهائيا عن دورها فى إقامة الوطن القومى اليهودى . ولكن نشوب الحرب حمل بن جوريون على إطلاق شعاره المعروف « سنشارك في الحرب (ضد المحور) كما لو كان الكتاب الأبيض غير موجود ، ونحارب الكتاب الأبيض كما لو كانت الحرب غير موجودة » .

وفى يونيو ١٩٤٠ ، أسست منظمة ليحى ، وكان من أهدافها طرد سلطة الانتداب وترحيل الفلسطينيين خارج بلادهم . وأجرت اتصالات مع ألمانيا النازية محاولة الاتفاق معها على التعاون ضد البريطانيين ، مقابل تخفيف الضغوط الألمانية على اليهود فى أوربا ، ولكن ألمانيا لم تقبل العرض .

وظلت الأوضاع هادئة بوجه عام فى فلسطين خلال الحرب العالمية الثانية ، إلا أن تمسك بريطانيا بالكتاب الأبيض ، ووقوفها فى وجه الهجرة اليهودية غير المشروعة حملت ميناحيم بيجين الذى تولى قيادة إيتسل منذ نوفمبر ١٩٤٣ على إعلان التمرد على سلطة الانتداب . وقامت المنظمة بعدة عمليات ضد المنشآت العسكرية ومراكز البوليس والضباط والجنود البريطانيين ، وكان من أشهرها نسف فندق الملك داود ، حيث مقر القيادة البريطانية ، والتى أسفرت عن مقتل ٩١ وإصابة الكثيرين . وكان الاعتداء مخططا له بالتنسيق مع الهاجاناه ، ولكنها سحبت موافقتها قبل ارتكابه .

واتجهت سياسة بن جوريون إلى تخويف العرب وإرهابهم ، فبعث فى يونيو ١٩٤٧ بتعليماته إلى قيادة الهاجاناه يلفت نظرها إلى الخطر العربى ، فقامت بعدة عمليات إرهابية ضد الفلسطينيين . وأصبحت منذ صدور قرار التقسيم تطبق سياسة مرسومة لاقتطاع أجزاء من الأراضى المخصصة للدولة العربية فى القرار ، وترويع العرب وطردهم خارج بلادهم . واستمرت بقية المنظمات فى عملياتها الإرهابية مساهمة منها فى تطبيق هذه السياسة ، ومن أبشع هذه العمليات المذبحة التى ارتكبتها إيتسل وليحى فى دير ياسين فى ١٩ أبريل ١٩٤٨ ، بهدف إخلاء تلك القرية وفتح طريق القوات اليهودية إلى القدس . وقد راح ضحية هذه المذبحة أكثر من ٢٥٠ قتيلا من الرجال والنساء والأطفال ، واضطرت الوكالة اليهودية إلى إعلان إدانتها لها بسبب رد الفعل العالمى الذى استهجن هذه الوحشية .

كان هناك توزيع للأدوار بين تلك المنظمات بسبب انتماء الهاجاناه إلى الوكالة اليهودية ، وحرص الأخيرة على مركزها الرسمى تجاه سلطة الانتداب البريطانية .

إرهاب الدولة :

لم يضع إنشاء دولة إسرائيل حداً لاستخدام سلاح الإرهاب ، بل انتقل إلى يد الحكومات الإسرائيلية .

كان اللاجئون الفلسطينيون الذين طردوا من ديارهم ومزارعهم يرون تلك الديار والمزراع وقد استولى عليها اليهود ، فإذا ما حاول أحدهم التسلل إليها ، ووجه بوابل من رصاص القوات الإسرائيلية ، ودفعت الدولة العربية التى يتسللون من أراضيها ثمنا باهظا فى عمليات عسكرية مكثفة تقوم بها تلك القوات انتقاما من عمليات التسلل الفردية .

وانتهج بن جوريون وديان استراتيجية عسكرية تقوم على أساس الضربات المفاجئة العنيفة والانتقام الشديد بهدف إرهاب العرب وحملهم على التسليم بمكاسب إسرائيل على الأرض وبمواقفها من رفض تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن التقسيم وعودة اللاجئين .

ولم تقلع إسرائيل عن اتباع سياسة الإرهاب رغم الإدانات المتتالية من لجان الهدنة ومجلس الأمن ، سواء بسبب اعتداءاتها على قرية قبية (٧٥ قتيلا) أو نحالين (١٤ قتيلا) أو غزة (٣٨ قتيلا) أو خان يونس (٤٦ قتيلا) أو الصابحة (٥٩ قتيلا) أو البطيحة (٢٨ قتيلا) أو قلقيلية وعزوم والنبى إلياس وخان صوفين (٤٨ قتيلا) والسموع (١٨ قتيلا) وغيرها ، بل إنها تصاعدت فى عدوانها فشنت حرب السويس (العدوان الثلاثى)عام ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ .

وأسهمت أجهزة المخابرات وقوات الكوماندوز الإسرائيلية بدورها الإرهابى للتخلص من قيادات منظمة التحرير فى لبنان وتونس وفى العواصم الأوربية ، وملاحقة العلماء الألمان فى مصر بالخطابات المتفجرة ، وهدم المفاعل العراقى النووى فى أوزيراك فى غارة شنتها عليه .

ومن الغريب أن إسرائيل ، التى كانت أولى الدول التى جعلت الإرهاب واحدا من أسلحتها بين دول الشرق الأوسط ، أصبحت هى التى تتزعم الحملة على ما تسميه بالإرهاب الإسلامى ، وتعمل على تأليب دول العالم ضد ما تعتبره العدو الأكبر منذ انهيار الشيوعية ، وكأنما الإرهاب قاصر على المسلمين وليس ظاهرة دولية تصيب

الدول العربية والإسلامية أيضا . بل إن جانبا مما تصفه إسرائيل بالإرهاب ما هو إلا رد فعل للظلم الفادح الذى أوقعته الدولة العبرية بالفلسطينيين ، واحتلالها للأراضى العربية لثلاثين عاما ، وسياستها التوسعية التى لاتزال حتى اليوم متمسكة بها لتحقيق الحلم الصيهونى بإقامة دولة اليهود على أرضهم التاريخية التى يتبارى الأصوليون منهم فى رسم حدودها بعيدا فى أراضى الدول العربية المجاورة .

والواقع أن القوة العسكرية ظلت منذ بداية الحركة الصهيونية هى أداة تحقيق الهدف الصهيونى ، وقد رسم المخطط منذ مائة عام ، واتبعت المرحلية فى تنفيذه بحيث يتواصل التنفيذ مرحلة بعد أخرى ، بحسب الظروف القائمة أو التى تخلقها إسرائيل بشن الحروب أو اختلاق الأزمات .

وقد كانت إسرائيل أولى الدول التى أدخلت الأسلحة الذرية فى الشرق الأوسط ، الأمر الذى يتهدد المنطقة بانتشار أسلحة الدمار الشامل فى كافة دولها ، وقد رفضت المقترحات التى تقدمت بها مصر من أجل إخلاء المنطقة من هذه الأسلحة ، كما رفضت الانضمام إلى معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية ، أو إخضاع مفاعل ديمونة للتفتيش ، وذلك من أجل الاحتفاظ لنفسها بالخيار النووى كسلاح ردع لإرهاب الدول العربية .

الفصل السادس

النصر المعجزة والزلزال الكبير

الحدود الآمنة :

كان انتصار القوات الإسرائيلية فى حرب ١٩٦٧ يفوق كل خيال .

فقد هزمت قوات ثلاث دول عربية ، ووصلت إلى الضفة الشرقية لقناة السويس ، واحتلت مرتفعات الجولان السورية ، واستولت على الضفة الغربية لنهر الأردن بما فيها القدس الشرقية .

وساد لدى كثير من اليهود الاعتقاد بأن هذا النصر معجزة من السماء ، حققها إله إسرائيل لشعب إسرائيل على أيدى جنود إسرائيل .

كان الحاخام تسفى يهودا كوك قد وقف منذ أقل من شهر يلقى خطابه فى الجماهير الإسرائيلية احتفالا بذكرى تأسيس دولة إسرائيل ، وقال فى خطابه :

« منذ تسعة عشر عاما ، وفى نفس الليلة التى صدر فيها قرار الأمم المتحدة بإنشاء إسرائيل ، وبينما كان الشعب بأسره يحتفل ، كنت غير قادر على مشاركة الناس سعادتهم ، وجلست وحيداً صامتا ومنقبضا . فى تلك الساعات الأولى كنت لا أستطيع قبول ما حدث ، ذلك النبأ الرهيب أن أرضى قد قسموها . نعم . أين الخليل ، هل نسيناها ؟ وأين شيشم (نابلس) وأريحا هل ننساهما ؟ وشرق الأردن بأكمله . . إنه كله لنا ، كل قطعة من الطين وكل جزء من أرض الله . هل من سلطتنا أن نتنازل عن مليمتر واحد منها ؟ »

وعندما تحقق لإسرائيل النصر الذى لم تستول به على الخليل ونابلس وأريحا فحسب ، بل على القدس والضفة الغربية بأكملها ، وبلغت قواتها به مشارف قناة

السويس ووقفت على بعد كيلو مترات قليلة من دمشق ، عاش الشعب الإسرائيلى فى أجواء من الغيبيات لا يكاد يصدق الواقع .

وعقّب الحاخام كوك على هذا النصر ، بعد أن تحققت نبوءته ، قائلا « إن الله قد قام بدوره ، وعلينا نحن الآن أن نقوم بدورنا » . وقد كان .

فقد تشبث ساسة إسرائيل بالأرض أكثر من عشر سنوات قبل أن يردوا سيناء لأصحابها ، ولايزالون بعد ثلاثين عاما على تشبثهم بالأرض ، سواء تحقق السلام مع العرب أو لم يتحقق .

وبالرغم من أن ليفى اشكول وجه إلى القادة العرب نداءه لعقد صلح مشّرف مع إسرائيل ، فقد صاحبت هذا النداء الدعوة إلى الاتفاق على حدود جديدة ، والكلام عن أن خطوط الهدنة التى كانت قائمة منذ عام ١٩٤٩ لم تحل دون وقوع الحرب ، ومن ثم فلا عودة إلى حدود ما قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ .

وكانت الهزيمة قاسية على نفوس العرب . وأيقن قادتهم أن الصلح المشرّف الذى تعرضه إسرائيل لا يعنى - فى ظروف الهزيمة - سوى الاستسلام وقبول شروط المنتصر .

والواقع أن قادة إسرائيل لم يكفوا عن الإعلان عن رغبتهم فى السلام ، وعن استعدادهم للقاء القادة العرب فى أى مكان وزمان .

وقد عرف تاريخ النزاع العربى الإسرائيلى الكثير من المساعى والوساطات . (*) حاولت الأمم المتحدة تنفيذ قرار التقسيم فرفضت إسرائيل ، وحاولت تنفيذ قرار عودة اللاجئين الفلسطينيين أو تعويضهم فرفضت إسرائيل ، ولم تقبل التفاوض على أساس القرارين - فى إطار لجنة التوفيق عام ١٩٤٩ (طبقا لبروتوكول لوزان فى ١٢ مايو ١٩٤٩) - إلا كوسيلة للتمهيد لانضمامها إلى الأمم المتحدة ، ثم مالبثت أن عدلت عن موقفها . ورفضت إسرائيل مقترحات وسيط الأمم المتحدة فولك برنادوت وقتلته عصابة ليحى الإرهابية .

وتوسطت الولايات المتحدة وبريطانيا وتوصلتا إلى ما يعرف بخطة ألفا (التى تقوم

(*) انظر بشأن مساعى السلام بين العرب وإسرائيل كتاب المؤلف « المواجهة والسلام فى الشرق الأوسط » .

على أساس إجراء تعديلات طفيفة فى الحدود بما يتيح الاتصال البرى بين الدول العربية وعودة عدد محدود من اللاجئين) ، وحاول المبعوث الأمريكى روبرت أندرسون السعى بين عبد الناصر وبن جوريون عامى ١٩٥٥ و١٩٥٦ على أساس تلك الخطة ، ولكن فشلت مهمته .

وقضت حرب السويس عام ١٩٥٦ على احتمالات السلام فى تلك المرحله ، وإن كانت مرابطة القوات الدولية بين مصر وإسرائيل قد حققت فترة من الهدوء إلى أن نشبت حرب ١٩٦٧ .

كان العرب يرفضون قرار التقسيم ، ولكنهم ما لبثوا أن قبلوا التفاوض على أساسه ـ هو والقرار ١٩٤ الخاص باللاجئين ـ فى إطار لجنة التوفيق ، ولكن إسرائيل ظلت على موقفها من رفض القرارين ، ولم يكن الزعماء العرب الذين اجتمعوا فى الخرطوم فى أعقاب هزيمة ١٩٦٧ يتوقعون من إسرائيل سوى تشدد أكبر يتناسب مع ما حققته من نصر فى ساحة القتال ، ومن ثم كانت لاءاتهم الشهيرة للاعتراف والتفاوض والصلح مع إسرائيل .

وخاب ظن موشى ديان الذى كان ينتظر رنين التليفون الذى ينهى إليه رغبة الزعماء العرب فى عقد الصلح مع إسرائيل .

وأصدر مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ قراره الشهير رقم ٢٤٢ الذى يضع أسس إقامة سلام دائم وشامل فى الشرق الأوسط ، ويطالب إسرائيل بالانسحاب من الأراضى التى احتلها فى حرب ١٩٦٧ . ولكن إسرائيل لم تقرأ من القرار سوى فقرة تشير إلى حق كل الدول فى العيش داخل حدود آمنة معترف بها . ووجدت الحكومات الإسرائيلية ضالتها فى هذه الفقرة لتفرض شرطا مسبقا لأية مفاوضات أو مساع للسلام هو الاتفاق معها على حدود آمنة . فلم تعد ترضيها حدود عام ١٩٤٩ التى توسعت إليها زيادة عما تضمنه قرار إنشائها .

وتعددت الحجج والأسانيد القانونية والسياسية لخدمة أهداف التوسع . فالفقرة التى تشير إلى انسحاب إسرائيل فى القرار ٢٤٢ تغفل ـ فى رأيها ـ عن عمد مطالبتها بالانسحاب من جميع الأراضى المحتلة ، فهى لا تضع أداه التعريف ـ فى النص الانجليزى ـ للأراضى المحتلة (فى حين ينص القرار على مبدأ عدم جواز اكتساب الأراضى بالحرب) . وحدود عام ١٩٤٩ ما هى إلا خطوط هدنة ويجب أن تتحول إلى حدود (وكانت إسرائيل تركز دائما على أنها هدنة دائمة بمثابة السلام الدائم الذى

ينهى حالة الحرب) ، وتدعى إن حرب ١٩٦٧ كانت حربا عدوانية عربية ، وأن غزو إسرائيل لتلك الأراضى واحتلالها كان دفاعا عن النفس ، ولها بالتالى أن تحتفظ بما تريده منها (فى حين أن إسرائيل هى التى بدأت الحرب) . . إلخ .

وعندما وجه جونار يارنج - ممثل الأمم المتحدة - رسائله إلى مصر وإسرائيل مستفسرا عن مدى استعدادهما لإبرام معاهدة سلام مقابل الانسحاب إلى الحدود الدولية ، ردت مصر بالإيجاب ، ورفضت إسرائيل .

ولما عرض وليام روجرز وزير الخارجية الأمريكية مشروعا يتضمن الخطوط العامة للسلام على أساس القرار ٢٤٢ ، رفضته جولدامايير ووجهت إليه اللوم الشديد .

أما عن الحدود الآمنة التى ترتضيها إسرائيل ، فقد أشار إليها آباايبان فى خطابه أمام الكنيست فى ١٣ مايو ١٩٦٩ بأنها « الوجود الإسرائيلى الدائم فى شرم الشيخ وتوحيد القدس وإبعاد أيدى سوريا عن الجولان » . وقال ديان « إن شرم الشيخ بدون سلام أفضل من السلام بدونها » .

وكانت جولدا مايير أكثر وضوحاً عندما طالبت بضم الجولان وشرم الشيخ ، واقتطاع أجزاء من سيناء تصل إسرائيل إلى خليج العقبة فضلا عن ضم أجزاء من الضفة الغربية . أما القدس ، فقد ضمتها إسرائيل فعلا بقرار من الكنيست ، وكتبت جولدا مايير فى مذكراتها إن خطأ إسرائيل هو أنها طالبت العرب بالتفاوض ، ولم تضع أمامهم خريطة جديدة وتطلب منهم توقيعها ، فقد كان هذا - فى رأيها - من حقها .

ووضع إيجال آلون مشروعه لحدود إسرائيل الجديدة - والذى ظلت حكومات حزب العمل تستهدى به وخاصة فيما يتعلق بالاستيطان - ويتضمن ضم ثلث الضفة الغربية ومرتفعات الجولان وقطاع غزة ، فنهر الأردن يجب - فى رأيه - أن يكون الحد الأمنى الشرقى لإسرائيل وعليها أن تضم الأراضى الفلسطينية متفادية بقدر الإمكان - الكثافة السكانية (١٠ إلى ١٥ كم على طول النهر والمنطقة الصحراوية من جبل الخليل إلى البحر الميت ، وقطاعا من شمال القدس إلى طريق الخليل) ، أما قطاع غزة الذى على إسرائيل ضم معظمه فإن اللاجئين فيه إما ينقلون إلى الضفة الغربية أو إلى العريش .

والواقع أن الحكومات العمالية انحرفت - تحت تأثير موشى ديان واليمين السياسى

والدينى ـ نحو اليمين ، وكان هذا واضحا فى سياستها تجاه الأراضى الفلسطينية بصفة خاصة .

فلسطين بأكملها تحت الاحتلال :

أصبحت كل الأراضى التى كانت تشكّل « فلسطين تحت الانتداب البريطانى » فى قبضة إسرائيل . وانطلقت صيحات اليمين الإسرائيلى مطالبة بعدم التفريط فى أى شبر من « أرض إسرائيل » . واعتبر المتطرفون من رجال الدين أى تفريط فيها ـ بعد معجزة النصر الإلهية ـ معصية كبرى سوف يدفع الشعب ثمنها الباهظ ، وسرعان ما شكلت جماعات الضغط اليمينية التى تعارض أى تنازل .

أما موشى ديان ، بطل النصر ، فقد أصبحت كلمته مسموعة فى مجلس الوزراء الإسرائيلى (الذى كان من أعضائه ميناحيم بيجين زعيم حزب حيروت اليمينى المتطرف) . وتبنى المجلس اقتراح ديان بتطبيق ما تعرف بسياسة الجسور المفتوحة بين الأراضى الفلسطينية المحتلة ، وبين كل من الأردن وإسرائيل . وأصبحت الضفة الغربية وقطاع غزة ـ عملا ـ جزءاً من إسرائيل ، وصار اقتصادهما مندمجا تماما فى الاقتصاد الإسرائيلى وتابعا له . واتجه ديان إلى تنفيذ نوع من التقاسم الوظيفى فى شئون الضفة بين إسرائيل والأردن ، بحيث يظل الموظفون يتقاضون رواتبهم من الحكومة الأردنية ويبقى الإشراف على الأماكن المقدسة الإسلامية فى يد الأردن . وظل ما يعرف بالخيار الأردنى هو الحل المفضل لمستقبل الأراضى الفلسطينية ، بحيث تتم التسوية الإقليمية بشأنها مع المملكة الأردنية الهاشمية .

ورفضت إسرائيل الاعتراف بالقانون الدولى الذى ينظم علاقة سلطة الاحتلال بالإقليم الخاضع للاحتلال . فهى لاتعتبر اتفاقية جنيف الرابعة التى تنظم معاملة المدنيين تحت الاحتلال الحربى منطبقة على الأراضى الفلسطينية ، وتتجاهل قرارات الأمم المتحدة المتعددة التى تلزمها بمراعاتها ، والتى تؤكد أن جميع التغييرات الإقليمية والسكانية التى تجريها فيها باطلة وغير مشروعة .

وكانت هذه التغييرات شاملة وخطيرة . فقد رفضت عودة ١٥٠ ألف فلسطينى فروا بسبب الحرب ، لكى تتفاقم مشكلة اللاجئين القائمة بدون حل منذ عام ١٩٤٨ . وضمت القدس العربية ، وأعلنت القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل ، وأزالت قرى وأحياء عربية ، وصادرت الأراضى ، وأقامت المستوطنات ، وأخضعت

الفلسطينيين لقيود أمنية شديدة ، وانتهجت سياسة الردع والبطش مستخدمة كل الوسائل بما فى ذلك العقوبات الجماعية ، وهدم المنازل والنفى والإبعاد والاعتقال الفردى والجماعى .

وقد بدأت سياسة الاستيطان محكومة بالاعتبارات الأمنية ، ومستهدية إلى حد كبير بمشروع إيجال آلون . فأقيمت المستوطنات العسكرية (ناحال) على طول نهر الأردن كما أقيمت المستوطنات فى القدس ، ولكنها ـ تحت إلحاح موشى ديان وتهديده بالاستقالة ـ وافقت على خطة جاليلى للاستيطان فى وادى الأردن ، وشمال البحر الميت وقطاع غزة وكريات عربة ومرتفعات الجولان ومنطقة شرم الشيخ وخليج العقبة ، وخصصت ٣/٤ بليون دولار لتنفيذها ، وبلغ عدد المستوطنات قبيل حرب ١٩٧٣ ـ ٤٤ مستوطنة . وفى حملته الانتخابية فى ذلك العام ، ركز ديان على التوسع فى الاستيطان ، وتوطين مائة ألف إسرائيلى فى القدس ، وبناء مستوطنة ياميت بالقرب من العريش ، والاستيلاء على قطاع من سيناء من إيلات حتى شرم الشيخ .

كانت مطامع الحكومات العمالية تتعدى مفهوم « أرض إسرائيل التاريخية » ، إلى مفهوم « الحدود الآمنة لإسرائيل » ، وتبنت جولدا مايير عددا من اللاءات : لا عودة إلى حدود ما قبل ١٩٦٧ ـ ولا للدولة الفلسطينية ـ ولا اعتراف أو تفاوض مع منظمة التحرير ـ ولا تراجع عن ضم القدس .

حرب الاستنزاف والاستقطاب الدولى :

كان واضحا منذ وقف القتال فى يونيو ١٩٦٧ أن إسرائيل عازمة على فرض السلام على العرب بالقوة ، فقد أعلنت أنها لن تتزحزح من مواقعها فى الأراضى التى احتلتها قبل أن تحدد المفاوضات المباشرة معهم الحدود التى تنسحب إليها قواتها .

وقد لقيت من الولايات المتحدة المساندة الكاملة لموقفها ، وصدر قرار مجلس الأمن ـ بوقف إطلاق النار على غير العادة ـ خاليا من أية إشارة إلى انسحاب القوات إلى مواقعها السابقة . ووقف آرثر جولديرج المندوب الأمريكى فى المجلس واضعا كل ثقل بلاده السياسى فى خدمة الموقف الإسرائيلى .

كانت علاقات الرئيس الأمريكى ليندون جونسون بالرئيس عبد الناصر يشوبها الجفاء ، ومالبث جونسون أن رجع عن المبادئ التى كان قد اقترحها لحل الأزمة ، ومنها السلامة الإقليمية لدول المنطقة . وعندما تولى ريتشارد نيكسون الرئاسة

الأمريكية كان الاستقطاب لإسرائيل والدول العربية بين الدولتين العظميين قد أصبح من حقائق الحرب الباردة .

أما الاتحاد السوفيتى ، فقد وجد فى هزيمة العرب ضربة قوية تهدد المركز الذى اكتسبه فى العالم العربى وخاصة منذ صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية عام ١٩٥٥ ، وبدأ سباق التسلح بين مصر وسوريا من جهة وإسرائيل من جهة أخرى .

وما إن أعاد عبد الناصر تنظيم الجيش المصرى وتسلحيه حتى بدأ حرب الاستنزاف، كمرحلة أولى على طريق تحرير الأراضى المحتلة .

وصعدت إسرائيل الحرب ، فلم تقتصر على الأهداف العسكرية بل تجاوزتها إلى الأهداف المدنية لتنسف المصانع ، وخزانات المياه والمدارس والمنازل .

وكادت الدولتان العظميان أن تتورطا فى القتال، بعد أن استدعى عبد الناصر الطيارين السوفييت للدفاع عن عمق مصر . ووقف حائط الصواريخ المصرية على الضفة الغربية للقناة سداً منيعا فى وجه الطائرات الإسرائيلية .

وأدى الاستقطاب بين الغرب والشرق إلى فشل كل الجهود المبذولة من أجل التوصل إلى تسوية للنزاع . فشلت مهمة يارنج ، كما فشلت المباحثات الثنائية الأمريكية السوفيتية ، والمباحثات الرباعية التى انضمت إليها بريطانيا وفرنسا . ثم فشلت المساعى الأمريكية ، فقد رفضت إسرائيل مشروع روجرز ، كما رفضت مبادرة الرئيس السادات فى فبراير ١٩٧١ بشأن تسوية انتقالية على أساس انسحاب مرحلى لإسرائيل من سيناء ، وفتح قناة السويس للملاحة . وفشلت كذلك مباحثات حافظ إسماعيل مع هنرى كيسنجر الذى انبرى خلالها للدفاع عن إسرائيل .

كانت حكومة جولدا مايير على قناعة بأنه إزاء تفوق إسرائيل الساحق فى المجال العسكرى ، ومساندة الولايات المتحدة التامة لها، فسوف تضطر مصر والدول العربية إلى قبول شروطها . وسادت حالة اللاسلم واللاحرب إلى أن أنهتها حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

القضية الفلسطينية على المسرح الدولى :

حاولت إسرائيل طمس القضية الفلسطينية ، وتصورت أنها قد تمكنت من تحويلها

إلى قضية لاجئين تقبع ضمن كثير من القضايا الدولية المزمنة ، فقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ يقضى بإيجاد حل عادل لمشكلة اللاجئين ، وقد ظلت كلمة « فلسطين » مختفية لسنوات طويلة من القاموس السياسى الدولى ، وكامنة فى السجلات المغلقة للأمم المتحدة . وبلغ التطرف بجولدا مايير حدّ إنكار وجود شعب اسمه الشعب الفلسطينى .

ومع هذا ، فقد أعادت حرب ١٩٦٧ القضية الفلسطينية إلى واجهة الساحة الدولية .

كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد شُكلت عام ١٩٦٤ ، وخاضت أولى معاركها ضد القوات الإسرائيلية ـ معركة الكرامة ـ فى مارس ١٩٦٨ ، وأصدرت فى نفس العام ميثاقها الوطنى الذى يعتبر الكفاح المسلح الطريق الوحيد لتحرير فلسطين . وواصلت عمليات المقاومة ضد إسرائيل ، وإحياء القضية الفلسطينية فى المجالات الدولية .

وبعد أن ظلت القضية مطروحة أمام الأمم المتحدة على أنها قضية لاجئين ، إذا بها تتحول إلى قضية شعب يطالب بحقوقه المشروعة فى العودة وتقرير المصير . وتوالت قرارات المنظمة الدولية تعترف بهذه الحقوق ، وتبنت المنظمات والمؤتمرات الدولية القضية ، واعترفت القمة العربية بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا للشعب الفلسطينى ، كما اعترف بها عدد كبير من الدول . ودعى ياسر عرفات لإلقاء خطاب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٧٤ .

الزلـزال :

كانت الانتخابات الإسرائيلية تقترب من موعدها المقرر فى نهاية شهر أكتوبر ١٩٧٣ ، وكانت لافتات حزب العمل تملأ الشوارع تطمئن الشعب على مستقبل إسرائيل فى ظل الحكومات العمالية ، مبرزة أن « السلام قائم على ضفتى قناة السويس وفى صحراء سيناء والضفة الغربية فى يهودا والسامرة وفى الجولان . والجسور مفتوحة والقدس موحدة . وقد بنيت مستوطنات جديدة وسياستنا ثابتة فكلها نتائج سياسة جريئة ومتوازنة وبعيدة النظر » .

والحق أن حكومة جولدا مايير كانت تشعر باطمئنان بالغ ، وكان ديان يؤكد أن أمام الدول العربية عشر سنوات على الأقل قبل أن تقف على أقدامها ثانية . فخط بارليف

الحصين كفيل بصد أى هجوم يتراءى لمصر القيام به ، وعبور قناة السويس فيه هلاك الجنود المصريين حرقا بالنيران التى ستسلط عليهم من فوهات الأنابيب الممتدة فيها ، ثم إن هناك سداً ترابيا يستحيل عليهم تسلقه لو عبروا .

ومع ذلك ، فقد وقع الزلزال الذى هزّ المجتمع الإسرائيلى من جذوره ، وحطم أسطورة الجيش الذى لا يقهر . ولم تكن التحركات العسكرية يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ إحدى المناورات المظهرية التى دأبت مصر على أدائها ، بل كانت هجوما شاملا ومخططا كأحسن ما يكون التخطيط العسكرى . وخلال ساعات وجيزة عبرت القوات المصرية القناة ، وهدمت السد الترابى ، ودكت حصن بارليف ، وقتلت وأسرت أعدادا كبيرة من جنود إسرائيل . كما اجتاحت القوات السورية مرتفعات الجولان .

واستغاثت جولدا مايير بالولايات المتحدة ، وتوقع موشى ديان النهاية مطالبا بسحب قواته من سيناء . وتقدمت أمريكا لإنقاذ حليفتها فى ميدان المعركة ، ولعب هنرى كسينجر دوره المعروف لاحتواء النصر المصرى ، وإتاحة الوقت لإحداث الثغرة الإسرائيلية غرب القناة ، ووضع البلدين على بداية الطريق نحو مفاوضات السلام .

وتم عقد اتفاقيتى الفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية ، الأولى فى يناير ١٩٧٤ والثانية فى سبتمبر ١٩٧٥ ، واتفاقية ثالثة بين سوريا وإسرائيل فى مايو ١٩٧٤ .

وكان على حزب العمل وحكومته أن يدفعا ثمن الهزيمة . وقدمت جولدامايير استقالتها ، وتولى اسحق رابين رئاسة الوزارة . وبدأ الرأى العام الإسرائيلى يتحول إلى اليمين فقد فشلت الحكومات العمالية بالرغم من اتجاهاتها المتشددة وسادت الانقسامات صفوف حزب العمل ، وفاحت منه روائح الفضائح ، ولم يعد وصول اليمين إلى السلطة إلا مسألة وقت .

الدور الأمريكى فى عملية السلام :

منذ أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ استأثرت الولايت المتحدة بالدور الرئيسى فى مساعى السلام فى الشرق الأوسط ، وعملت على إبعاد أى تدخل من جانب الأمم المتحدة أو غيرها فيها ، وأصبحت المحصلة أنها ـ وهى الحليف الأكبر لإسرائيل ـ ظلت غير قادرة أو غير راغبة فى ممارسة الضغوط الضرورية عليها وإفساح المجال أمام الدولة العبرية لمفاوضة الأطراف العربية من موقع القوة .



الفصل السابع
اليمين الإسرائيلي في السلطة

التحول إلى اليمين :

كانت انتخابات الكنيست عام ١٩٧٧ ، نقطة تحول فى الحياة السياسية الإسرائيلية . فقد ظلت الصهيونية العمالية مسيطرة على الحكم منذ إنشاء دولة إسرائيل . وكان التكتل العمالى قد شكل منذ عام ١٩٦٨ من أحزاب الماباى وأحدوت ها عفودا ورافى فى ائتلاف مع حزب الماباى اليسارى ، فى حين كانت كتلة ليكود اليمينية تجمع أحزاب حيروت والليبراليين وقائمة الدولة ولا عام . أما الأحزاب الدينية ، فقد كان أهمها الحزب القومى الدينى الذى استمر يشارك فى حكومات الائتلاف العمالية ، وحزب أجودات إسرائيل الأصولى .

وقد تطور الموقف الداخلى فى إسرائيل منذ زلزال أكتوبر ١٩٧٣ ، فشكلت حركة تمثل اتجاها وسطا تحت اسم « الحركة الديموقراطية للتغيير » ، كان لها أثرها الكبير فى تغيير اتجاهات الرأى العام حيث شنت حملتها على حكومة العمل محملة إياها مسئولية الأوضاع السيئة للبلاد ، ومطالبة بتغيير جذرى للنظام السياسى . وقد ضمت الحركة شخصيات معتدلة تحظى باحترام الرأى العام ويرأسها إيجال يادين . ونجحت الحركة فى جذب عدد كبير من أصوات الذين كانوا يصوتون للتكتل العمالى .

وارتفعت أسهم تكتل الليكود بزعامة ميناحيم بيجين على حساب التكتل العمالى الذى حمله كثير من الناخبين مسئولية التقصير الخطير فى حرب أكتوبر ، كما أضعفت مركزه الانقسامات والفضائح . وقاد عيزر ڤايتسمان حملة انتخابية ناجحة لصالح الليكود ، مركزًا على فضائح حزب العمل « ونفاق العماليين والاشتراكيين من أمثال آبا

إيبان وديان اللذين يعيشان حياة المليونيرات » . ونجح فى تقديم الليكود للناخبين من اليهود الشرقيين - وخاصة القادمين من الدول العربية - باعتباره الحزب الذى يرعى مصالحهم ، ويدافع عنها ضد تسلط الاشكنازيين الأوربيين .

وفى حين ظلت سياسة حزب العمل غير واضحة بالنسبة لمستقبل الأراضى العربية المحتلة ، كانت سياسة الليكود واضحة وقاطعة بعدم التنازل عن « أرض إسرائيل » والجولان وأجزاء من سيناء .

وجاءت نتائج الانتخابات قاطعة الدلالة على تحول الناخبين إلى أحزاب اليمين . ارتفع عدد مقاعد الليكود من ٣٩ إلى ٤٣ ، ومقاعد الحزب القومى الدينى من ١٠ إلى ١٢ ، واحتفظ أجودات إسرائيل بمقاعده الخمسة . أما التحالف العمالى ، فقد انخفض عدد مقاعده من ٥١ إلى ٣٢ ، وفقد بذلك ١/٢ عدد مقاعده فى الكنيست السابق . وأما الحركة الديموقراطية للتغيير ، فقد حصلت على ١٥ مقعدا ، وخسر اليسار خمسة (٢ من حركة حقوق المواطنين بزعامة شلوموت آلونى و ٣ من حزب شيلى) .

وهكذا تحول نصف عدد الناخبين عن توجهاتهم الحزبية السابقة ، وفاز اليمين بأغلب مقاعد الكنيست . وشكل ميناحيم بيجين حكومته الائتلافية الأولى التى تضم وزراء من الليكود ، والحزب القومى الدينى وحزب أجودات إسرائيل ، وكذا موشى ديان (وزيرا للخارجية) بصفته مستقلا .

ميناحيم بيجين :

نشأ ميناحيم بيجين فى مدينة بريست ليتڤوسك حيث كانت تعيش جالية يهودية كبيرة تتعرض للاضطهاد الحكومى ، والغارات العدائية للجماهير التى كانت تسودها مشاعر العداء للسامية ، واعتنق مع عائلته الأفكار الصهيونية منذ صباه .

ودرس القانون فى جامعة وارسو . وانضم إلى حركة بيطار لتأهيل الشباب اليهودى عسكريا وهو فى السادسة عشرة ، وأصبح عضوا فى لجنتها التنفيذية فى بولندا عام ١٩٣٢ . وتجلت مواهبه الخطابية ، كما ظهر ميله إلى العنف والانتقام من المعادين لليهود .

ومنذ تعرفه بڤلاديمير جابوتنسكى عام ١٩٣٥ ، أصبح من تلاميذه المتأثرين

بأفكاره القائلة بأن كل يهودى له حق الحياة فى فلسطين ، وأن ردع العرب عسكريا هو الوسيلة لإخضاعهم ، وأن القوة العسكرية اليهودية هى وحدها ـ وليس التعاون مع بريطانيا ـ الكفيلة بإقامة الدولة اليهودية ، كما كان مقتنعا مثل أستاذه بأن السياسة التى تتبعها الصهيونية العمالية لن تؤدى إلى تحقيق هذا الهدف ، وبأنه لا يجوز التنازل عن أى شبر من « أرض إسرائيل » ، ومن ثم فإنه يجب التمسك باسترداد شرق الأردن .

والواقع أن طبائع بيجين كانت تشبه طبائع أستاذه جابوتنسكى . ففضلا عن اتجاهاتهما اليمينية المتطرفة ، كان الاثنان يميلان إلى الاستبداد والنظام والتنشئة والتنظيم العسكريين للشباب . وكانت هذه الاتجاهات سائدة فى أوربا فى ذلك الوقت ، وكما تأثر جابوتنسكى أثناء حياته فى إيطاليا بكفاءة موسولينى الخطابية فإن بيجين بدا متأثرا بنفس الاتجاهات .

ومع ذلك ، فقد كان بيجين أكثر ثورية وتطرفا من جابوتنسكى . ففى مؤتمر بيطار عام ١٩٣٨ خالف أستاذه ، وانبرى معارضا اقتراحه بألا يكون استخدام السلاح إلا للدفاع ، واقترح على المؤتمر الموافقة على عبارة « إننى لن أرفع سلاحى إلا للدفاع عن شعبى وغزو بلادى » . مطالبا بانتهاج سياسة متشددة وغزو فلسطين بالقوة . وقد سخر منه جابوتنسكى ، ولكن المؤتمر أيد بيجين .

كانت الصهيونية التصحيحية فى ذلك الوقت تدرس الخطط لغزو يهودى لفلسطين. واقترحت على بولندا مطالبة بريطانيا بالتخلى لها عن الانتداب على فلسطين ، وفى ربيع ١٩٣٩ أنشأ البولنديون مدرسة لتدريب اليهود على حرب العصابات حيث درب رجال إيتسل على أعمال التخريب ، وتم تدبير الأسلحة اللازمة لعشرة آلاف مقاتل من أجل غزو فلسطين ، ولكن استبعدت الخطة بسبب استحالة عبور هؤلاء المقاتلين بأسلحتهم للأراضى التركية والإيطالية . بل إن جابوتنسكى اقترح أن يقود قاربا إلى شاطىء تل أبيب فتقوم السلطات البريطانية بالقبض عليه فى الوقت الذى يقوم فيه رجال ايتسل بالاستيلاء على مقر السلطة البريطانية لمدة ٢٤ ساعة ويعلنون إقامة حكومة مؤقتة ، كما تعلن الحركة التصحيحة قيام حكومة فى المنفى. وكانت كلها خططا خيالية تعكس مدى التطرف الذى كان سائدا فى تلك الحركة ، وقد ظلت فكرة غزو فلسطين متسلطة على فكر ميناحيم بيجين إلى أن قضى غزو قوات هتلر لبولندا عليها ، ففر إلى فيلنا ، وقبضت عليه السلطات السوفيتية بتهمة التجسس ، وأفرج عنه عقب الغزو الألمانى لروسيا .

وفى عام ١٩٤٢ ، شكل جيش بولندى فى المنفى ـ طبقا لاتفاق تم بين الحكومة البولندية فى المنفى والحلفاء والسوفييت ـ وانضم بيجين إلى ذلك الجيش الذى أرسل وحدة إلى فلسطين كان بيجين من بين أفرادها .

وهكذا وصل ميناحيم بيجين إلى فلسطين . وفى فبراير ١٩٤٤ ، أعلن قيام حركة التمرد على السلطات البريطانية ، وقاد العمليات الإرهابية التى شنتها إيتسل ضد الجنود والضباط والمنشآت العسكرية . وينفى بيجين فى كتابه الثورة The Revolt صفة الإرهاب عن تلك العمليات فتعبير الإرهاب لا يمكن إطلاقه على الثورة أو الحرب الثورية التى تستهدف إسقاط النظام وإقامة نظام آخر محله . أما ثورة بيجين ، فإنه يرجعها ـ فى كتابه ـ إلى أنه كانت هناك حقيقتان تتحكمان فى وضع الشعب اليهودى فى ذروة الحرب العالمية الثانية : كان هتلر يبيد اليهود فى أوربا ، وبريطانيا مستمرة فى إبقاء بوابات فلسطين محكمة الإغلاق فى وجوههم .

أما عن عرب فلسطين ، فإنه يذكر فى كتابه أن عصابته تمكنت من تحييدهم منذ بدء الثورة . ومع ذلك ، فإنه لاينكر مسئوليته عن مذبحة دير ياسين فى ٩ أبريل ١٩٤٨ ، ولا يتورع عن القول بأنه لولا ديرياسين ما قامت دولة إسرائيل .

ففى ذلك اليوم ، قامت قوة من منظمتى إيستل وليحى الإرهابيتين ـ وبموافقة القائد العام للهاجاناه ـ بشن هجوم على القرية ، وقتلت ٢٥٠ من رجالها ونسائها وأطفالها بالرغم من استسلامهم ، فى الوقت الذى كانت مكبرات الصوت تروع سكانها وتدعوهم إلى الهرب « فطريق أريحا مفتوح أمامهم » . وكان الهدف عندئذ هو تنفيذ الخطط المرسومة لإفراغ فلسطين من أصحابها العرب .

وقد صك بيجين شعاره الغريب « نحن نقاتل إذن فنحن موجودون ! » .

وقد قاتلت عصابته العرب والبريطانيين على السواء ، قامت بنسف فندق الملك داود ـ مقر سلطة الانتداب ـ مما أدى إلى مقتل ٩١ بين بريطانيين وعرب ويهود ، ونسفت الجسور وخطوط السكك الحديدية ، وشنقت وجلدت جنودا بريطانيين ، كما فجرت القنابل فى الأسواق والتجمعات العربية ، وقامت باحتلال يافا . وبالرغم من معارضة بيجين لسياسة الوكالة اليهودية بقيادة بن جوريون ، واحتفاظه بالاستقلال عن الهاجاناه ، فقد كان التنسيق بين الجانبين قائما فى كثير من الأحيان .

بن جوريون ومناحيم بيجين :

ظل مناحيم بيجين حريصا على استقلال تنظيمه الإرهابى وحريته فى العمل إلى ما بعد إعلان قيام دولة إسرائيل عندما وقع الصدام بينه وبين دافيد بن جوريون فى حادث السفينة التالينا (*) والذى عمق العداء بينهما .

وقد أسس بيجين حزبه « حيروت » بعد إنشاء إسرائيل ، واجتذب إليه بصفة خاصة الفئات الفقيرة من المهاجرين الشرقيين ، الذين كانوا يشعرون بتمييز المؤسسة الحاكمة لليهود الاشكيناز (الأوربيين) عليهم ، كما كانت مشاعرهم عدائية للعرب . وفى انتخابات الكنيست عام ١٩٤٩ ، شغل الحزب المركز الثالث .

واتخذ بيجين موقفا ديماجوجيا فى الكنيست ، عندما بدأت المباحثات التمهيدية التى أجرتها الحركة الصهيونية مع ألمانيا الغربية عام ١٩٥٢ ، للحصول منها على تعويضات عن مذابح النازية . فقد شن حملة شعواء على بن جوريون وحكومته محاولا إثارة الجماهير ومهددا «عندما أطلقوا مدفعهم علينا (فى حادث ألتالينا) أعطيت أوامرى بلا ، وأما اليوم فأوامرى هى نعم وسوف تكون حرب حياة أو موت» . وقد تحركت الجماهير الغاضبة إلى الكنيست تقذف نوافذه بالحجارة وتحرق السيارات فى طريقها . وعوقب بيجين على ذلك بحرمانه من عضوية الكنيست لمدة ١٥ شهرا .

وكان بن جوريون يعتبر بيجين مهرجا فاشيا ، ويرفض إشراك حزبه فى الحكم رافعا شعار لا حيروت ولا ماكى (الحزب الشيوعى) . أما بيجين فقد ظل يقود المعارضة لحكومات العمل بكل شدة ، ويحاول إحراجها فى كل مناسبة . (من ذلك اتهامها بالتستر على شخص يدعى كاسترنر فى قضية شهيرة عام ١٩٥٤ كان متهما فيها بعقد صفقة مع النازيين مضحيا بآلاف اليهود المجريين لإنقاذ حياته هو وعائلته) .

وشارك بيجين فى الحكم لأول مرة وزيراً بلا وزارة فى حكومة الوحدة الوطنية التى شكلت برئاسة ليفى اشكول قبيل حرب ١٩٦٧ ، ثم استقال منها عند قبول جولدا مايير

(*) يتلخص حادث السفينة ألتالينا فى أنه خلال حرب ١٩٤٨ ، قام بيجين بتهريب أسلحة على السفينة دون إبلاغ الحكومة ورفض تسليمها إليها ، فأمر بن جوريون بإطلاق النار على السفينة

مبادرة روجرز فى أغسطس ١٩٧٠ (التى تتضمن وقف إطلاق النار واستئناف المفاوضات من خلال جونار يارنج ، ممثل الأمم المتحدة ، لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢) ، وذلك احتجاجا على قبول قرار يقضى بالانسحاب الإسرائيلى من الأراضى المحتلة .

الأراضى المحررة :

تضمن برنامج ائتلاف الليكود فى مارس ١٩٧٧ :

« إن حق الشعب اليهودى فى أرض إسرائيل أبدى وغير منازع ، وهو مرتبط بحقه فى الأمن والسلام ، ولذا فإن يهودا والسامرة لن تسلّما إلى أية إدارة أجنبية ، وسوف لا تكون بين البحر (الأبيض) و (نهر) الأردن سوى السيادة الإسرائيلية .

وإن (أية) خطة للتخلى عن أجزاء من أرض إسرائيل الغربية تقوّض حقنا فى الدولة ، وتقود حتما إلى إنشاء دولة فلسطينية ، وتعرض للخطر أمن الشعب اليهودى ووجود دولة إسرائيل وتحبط أى احتمال للسلام .

كما تضمن البرنامج إعطاء حكومة الليكود الأولوية للسعى إلى السلام مع جارات إسرائيل ، والتفاوض المباشر لعقد معاهدات سلام معها دون شروط مسبقة أو تدخل خارجى . واعتبر منظمة التحرير الفلسطينية جماعة من القتلة يجب القضاء عليها .

وأكد البرنامج العزم على الاستيطان فى كل أجزاء أرض إسرائيل ـ فى الريف والحضر ـ باعتبار الاستيطان هو محور الجهود الصهيونية لخلاص البلاد ، وإقامة المناطق الأمنية الحيوية وحفز الروح الريادية .

وقد رفض ميناحيم بيجين اعتبار الأراضى العربية أراض محتلة ، كما رفض استخدام تعبير المناطق المدارة ، بل أطلق عليها اسم الأراضى المحررة . أما الضفة الغربية ، فقد تمسك ـ حتى فى النص العبرى لاتفاق كامب ديفيد ـ بإطلاق التسمية العبرية « يهودا والسامرة » عليها .

وعند تولى بيجين الحكم ، كان يرى ضم الجزء الشرقى من سيناء ، ويعتزم الحياة بعد تقاعده فى مستوطنةياميت . كما ضم القدس واستصدر فى ١٤ ديسمبر ١٩٨٠ قرارا من الكنيست بإخضاع هضبة الجولان السورية للقانون الإسرائيلى ، بما يعنى ضمها فى انتهاك صارخ للقانون الدولى وقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

وأما الضفة الغربية وقطاع غزة ، فقد كانتا موضوعا لا يقبل بيجين النقاش فيه ، فأراضى « يهودا والسامرة » وغزة تشكل أجزاء من أرض إسرائيل ، ولا يقبل أية سيادة أجنبية عليها . وأقصى ما قدمه من تنازل بشأنها هو أن يتمتع سكانها بقسط محدود من الإدارة الذاتية يمارسونه تحت سيادة إسرائيل ورقابتها .

والواقع أنه لم يمض سوى شهرين على حرب أكتوبر حتى أسست حركة « أرض إسرائيل الكاملة » . وأصدرت بيانا يتضمن « إن النصر الذى حققه جيش إسرائيل فى حرب الأيام الستة قد وضع الشعب والدولة فى حقبة جديدة ومصيرية .

إن أرض إسرائيل كلها الآن فى أيدى الشعب اليهودى . وكما أنه لا يجوز لنا أن نتنازل عن دولة إسرائيل ، فإننا ملزمون كذلك بصيانة ما حصلنا عليه من هذه الأرض . ولا يحق لأية حكومة إسرائيلية أن تتنازل عن أى جزء منها ؛ فهذا هو الحق الأساسى الثابت لشعبنا منذ بداية تاريخه » .

أما اليهود المتدينون ، فقد رأوا فى نصر ١٩٦٧ معجزة كبرى على نحو ما تقدم ، وفى اليوم السادس من الحرب عندما وصل جنود إسرائيل إلى حائط المبكى فى القدس ، وقف الحاخام كوك ليقول « إننا نعلن لإسرائيل كلها وللعالم بأسره أننا قد عدنا إلى بيتنا ومدينتنا المقدسة بأمر من الله » .

وأضاف الحاخام ليفنجر « إن حرب الأيام الستة من صنع العرب ، ولكنها ـ بالنسبة لى ـ أمارة من الله . إن السامرة ويهودا ملك للشعب الإسرائيلى حتى من قبل ١٩٦٧ . وقد كنا نعرف ذلك طوال التاريخ ، ونعرف أننا سوف نتسلم الضفة الشرقية للأردن يوما ما . . إنها إرادة الله» .

واليهود ـ فى رأى ليفنجر ـ لا يمكنهم تحقيق رسالتهم الروحية فى إطار حدود ما قبل ١٩٦٧ . «فهم لم يكونوا يؤدون الصلاة ثلاث مرات يوميا من أجل العودة إلى تل أبيب وحيفا ، بل إن اليهود صلوا طوال القرون الماضية للعودة إلى القدس والخليل ونابلس، فمقبرة إبراهيم واسحق ويعقوب موجودة فى الخليل التى كانت عاصمة داود، ويجب أن تشمل دولة إسرائيل كل أرضها انتظارا لمجىء المسيح » .

كما وجدت الأصولية الدينية نصوصا فى التوراة تحكى قصة غزو بنى إسرائيل لأرض كنعان ، وتقول : « حين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح ،

فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسلم لك بل عملت معك حربا فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهكَ إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها ، فتغنمها لنفسك . . وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريما الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسين كما أمرك الرب إلهك (تثنية - الإصحاح ٢٠) .

وقد أفتى الأصوليون اليهود بتطبيق هذه النصوص على العرب . فالحاخام تسفى يهودا يستشهد بموسى بن ميمون على أن الكنعانيين خيّروا بين أمور ثلاثة : الفرار أو القبول بالحكم اليهودى أو القتال ، ويقترح أن يكون موقف إسرائيل من العرب الفلسطينيين قائما على هذا الأساس . وحانات بورات يرى شن حرب لاهوادة فيها على العرب فى أرض إسرائيل إذا هم رفضوا السيادة الإسرائيلية .

ويشبه بعض الحاخامات عرب فلسطين بالعمالقة ، ويسوون بينهم وبين هؤلاء فى المعاملة الواردة فى التوراة . وكان العمالقة - بحسب الرواية التوراتية - يغيرون على اليهود خلال وجودهم فى التيه ، ولذا أمرت التوراة بقتلهم رجالا ونساء وأطفالا ومحوهم من وجه الأرض . ففى رأى حاييم تسوريا « إن هناك فى كل جيل عمالقة ، وأما عمالقتنا فهم العرب الذين يعارضون بعث وجودنا القومى فى أرض أسلافنا » .

أما الحاخام تسفى يهودا كوك فإنه يعلن فتواه الدينية للإسرائيليين : « أقول لكم بشكل واضح وجلى بأن التوراة تحرم علينا أن نسلّم ولو بوصة واحدة من أرضنا المحررة (يقصد الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧) ، ليس هناك احتلال ، فنحن لم نحتل أراض أجنبية . نحن نعود إلى وطننا ، إلى ميراث أسلافنا » . كما أنه لا يرى فى الفلسطينيين سوى أناس كانوا قد سلبوا أرض اليهود ، «لقد وجدنا أنفسنا هنا بموجب إرث أسلافنا وبناء على ركائز توراتية وتاريخية ولا يستطيع أحد أن يغير هذه الحقيقة . إن هذا الوضع يشبه إنسانا ترك بيته وجاء الآخرون ليسلبوه وهذا هو بالضبط ما حدث لنا والبعض يجادل بأن هناك أراض عربية هنا ولكن ذلك كله كذب وخداع فليست هناك أراض عربية على الإطلاق » .

ويفسّر الحاخام كاهانا بدوره التعاليم التوراتية قائلا « إن عرب إسرائيل ينتهكون قدسية اسم الرب . إن عدم قبولهم بالسيادة اليهودية على أرض إسرائيل هو رفض

لسيادة رب إسرائيل ومملكته ، لذلك فإن طردهم من الأرض هو أكثر من مسألة سياسية ، إنه مسألة دينية . إنه التزام دينى بحق منتهكى قداسة اسم الرب ، وبدلا من أن نقلق من ردود فعل غير اليهود فى حالة القيام بهذا الأمر فإن علينا أن نرتجف حين نفكر بسخط الرب إذا لم نقم به » (*).

والخلاصة هى أن رجال الدين المتطرفين ، قد عملوا على إيجاد التفسيرات والتأويلات من التوراة وغيرها من الكتب اليهودية الدينية لتحريم التنازل عن أى جزء مما يعتبرونه أرض إسرائيل (وبحسب تفسيراتهم الواسعة لحدود هذه الأرض) ، وإنكار أى حق للفلسطينيين فيها ، واعتبار هؤلاء من العمالقة الذين أمرت التوراة بمحوهم من وجه الأرض ، والدعوة إلى طردهم خارج فلسطين حيث إن بقاءهم يعد معصية كبرى ورفضا لسيادة الرب على أرض إسرائيل .

وقد وجد الحاخامات فى التراث الدينى اليهودى ما يستندون إليه فى فتاويهم ، فاليهودية دين وقومية وسياسة فى آن واحد ، والتوراة هى المرجع الأساسى لما يسمى «بالتاريخ المقدس » لإسرائيل .

وقد تلاقت دعوة الأصولية الدينية الصاعدة منذ حرب ١٩٦٧ ، مع عقيدة بيجين التى نشأ عليها منذ صباه ، والتى نمت مع تعاليم أستاذه جابوتنسكى بعدم التنازل عن أى شبر من أرض إسرائيل - غرب الأردن وشرقه - واستيطانها بالكامل وإخضاع عرب فلسطين بالجدار الحديدى ، مع إمكان منحهم نوعا من الحكم الذاتى .

وكان بيجين أمينا فى سياساته لتعاليم أستاذه والتمسك بأرض إسرائيل كاملة ، فقد ظل رافضا لأية سيادة أجنبية على « يهودا والسامرة » وغزة ، وظل شعار حيروت يحمل خريطة تمتد إلى شرق الأردن . كما اعتبر مرتفعات الجولان جزءاً من أرض إسرائيل . وحاول طوال حكمه - هو وخليفته من بعده - إخضاع عرب فلسطين بالقوة ، ومع ذلك ، فإن إخضاع الفلسطينيين ، سواء فى الأراضى المحتلة أو فى إسرائيل ذاتها ، لم يكن أمرا سهلا . ففى عام ١٩٧٦ ، عندما حاولت حكومة رابين الاستيلاء على ٥٠ هيكتار شمالى شرق كفر قاسم ، أعلن الفلاحون أنهم سوف يقاتلون من أجل

(*) إيان لوستيك : الأصولية اليهودية فى إسرائيل.

الأرض حتى الموت واضطرت الحكومة العمالية إلى وقف إجراءاتها ، وأصبح يوم ٣٠ مارس يحتفل به تحت اسم « يوم الأرض » . وتمرد طلاب الجامعات على المعاملة التى يلقونها . وازداد تأييد الفلسطينيين لمنظمة التحرير الفلسطينية ، واشتدت المواجهات بين الجنود والمستوطنين اليهود من جهة ، وبين الفلسطينيين من جهة أخرى .

وقد وضع آمنون لين مستشار بيجين للشئون العربية أسس الاستراتيجية التى تتبع تجاه العرب ، والتى تقوم على أساس إخضاعهم لليد القوية ، واتباع إجراءات شديدة ضد من لايثبت ولاؤه لإسرائيل . ومن هذه الإجراءات الضغوط الاقتصادية ، وحرمان الطلبة من الالتحاق بالجامعات الإسرائيلية ، وإبعاد من يثبت اتصاله بمنظمة التحرير الفلسطينية ، فضلا عن الاعتقال الإدارى وقمع المظاهرات بالقوة (*) .

أما آرييل شارون ، الذى تول منصب وزير الزراعة ورئيس اللجنة الوزارية للإسكان فى حكومة بيجين الأولى ، فقد تولى تنفيذ تلك الاستراتيجية بكل التطرف الذى يعكس مشاعره العدائية للفلسطينيين ، سواء فى مواجهة سكان الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ ، أو عرب إسرائيل ذاتها ، فقد كان جميع الفلسطينيين - فى رأيه - أجانب فى أرض إسرائيل ، ومن ثم فقد أعلن بدء الهجوم القوى من أجل رفع قبضة الأجانب عن أراضى الدولة .

الاستيطان بين الدين والسياسة :

بدأ شارون باستيطان منطقة الجليل - التى كانت شبه خالية من الوجود اليهودى - ببناء ثلاثين مستوطنة فوق الجبال التى تطل على القرى العربية ، وقام بهدم المنازل العربية بحجة عدم الحصول على تراخيص ببنائها ، وتصدى لمقاومة السكان العرب بنيران قواته ، وأوقع عددا من القتلى والجرحى .

وقد أدت سياسات حكومة بيجين إلى تصاعد المقاومة الفلسطينية ، وازدياد التأييد لمنظمة التحرير الفلسطينية . وفى يناير ١٩٧٩ ، عقد ٢٨ من رؤساء المجالس البلدية

(*) Howard Sachar . A History Of Israel.

وحوالى مائة من زعماء حزب ركاح اليسارى اجتماعا أعلنوا فيه مواصلة الشعب الفلسطينى للنضال بقيادة المنظمة من أجل إقامة دولة فلسطينية مستقلة . كما ساد التذمر والاحتجاج أوساط الطلبة فى الجامعات .

ولكن شارون كان مصمما على تنفيذ خططه الاستيطانية مستخدما القبضة الفولاذية لإخضاع أية مقاومة فلسطينية .

وكان الرئيسان أنور السادات وجيمى كارتر يتوقعان أن يجمّد بيجين الأنشطة الاستيطانية بعد عقد اتفاق كامب ديفيد ، فقد وعد رئيس الوزراء الإسرائيلى بذلك خلال المفاوضات ، ولكن نشب الخلاف بينه وبين الرئيس الأمريكى بشأن حقيقة هذا الوعد ومداه ، ففى حين أكد كارتر أن بيجين التزم بوقف الاستيطان خمس سنوات فإن بيجين أكد من جانبه أنه لم يعد بإيقافه لأكثر من ثلاثة أشهر يجرى خلالها التفاوض بين مصر وإسرائيل لعقد معاهدة السلام بينهما . وسلم كارتر فى نهاية الأمر .

وبدأ الاستيطان المكثف فى كافة الأراضى الفلسطينية فور توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية . وتحالفت حكومة بيجين مع الأصولية الدينية لتنفيذ أهدافهما المشتركة فى استيطان « أرض إسرائيل » بجميع أجزائها .

كانت « جوش إيمونيم » (أى كتلة المؤمنين) قد أسست منذ عام ١٩٧٤ ، بعد شهور من حرب أكتوبر ١٩٧٣ . ففى خضم المناقشات التى فجرها الزلزال الذى هز المجتمع الإسرائيلى من جراء تلك الحرب ، والتى كانت تدور حول مستقبل الأراضى العربية المحتلة ، قام الحاخامان كوك وليفنجر بتأسيس تلك الحركة .

أما الحاخام تسفى يهودا كوك ، فقد سبق أن أشرنا إلى أنه ابن الحاخام إبراهام اسحق كوك زعيم الأرثوذكسية اليهودية الذى وضع أسس الصهيونية الدينية الحديثة وأصدر الفتاوى المؤيدة للحركة الصهيونية وإقامة دولة إسرائيل . وقد سار ابنه على خطاه .

وأما الحاخام موشى ليفنجر ، فيعد رائد عمليات الاستيطان منذ حرب ١٩٦٧ . وقد ولد فى رحافيا قرب القدس عام ١٩٣٥ . وكان والده قد هاجر من ألمانيا إلى فلسطين عند تولى هتلر السلطة ، وكان من المتدينين الحديسيين وعرف عنه اعتلال صحته منذ صباه ، وإصابته بنوبات من الاكتئاب . وتطوع فى الجيش الإسرائيلى (رغم إمكان إعفائه باعتباره من دارسى التوراة) . وتتلمذ على يد تسفى يهودا كوك وأصبح

يؤمن مثله بأن الصهيونية تدخل ضمن الخطة الإلهية لإعادة اليهود إلى إسرائيل وبدء الحقبة المسيحانية . وتتسم شخصيته بالتطرف والميل إلى العنف ، وقد تعددت اعتداءاته على الفلسطينيين وقبض عليه أكثر من مرة ،وسجن بسبب هذه الاعتداءات .

وفى أبريل ١٩٦٨ ، كلفه الحاخام كوك بالاستيطان فى مدينة الخليل ، فقاد ٣٢ عائلة يهودية ،واستأجر أحد الفنادق فى المدينة وأقامهم فيها ، وانتهى الأمر بموافقة الحكومة العمالية ،رغم أن استيطان الأماكن ذات الكثافة السكانية العربية كان يخالف سياستها .

وفى مارس ١٩٧٩ ، قادت ميريام زوجة ليفنجر ٤٠ من النساء والأطفال وهبطت بهم من مستوطنة كريات عربة إلى حى القصبة فى المدينة واحتل المستوطنون بيت حداسا . ورضخت حكومة بيجين وأقيمت المستوطنة اليهودية فى وسط المدينة .

ومنذ ذلك الوقت ، أصبح الوضع فى مدينة الخليل غاية فى الخطورة بسبب الاحتكاكات والمصادمات المستمرة بين اليهود الذين لايزيد عددهم على ٤٠٠ مستوطن والسكان الفلسطينيين البالغ عددهم ١٢٠ ألف فلسطينى .

وقد تضمن برنامج « جوش إيمونيم » «أن أرض إسرائيل ملك خالص للشعب اليهودى ، ويجب أن تبسط السيادة اليهودية الكاملة فورا على كل أرض إسرائيل الموجودة حاليا فى أيدينا » .

وهى منظمة يهودية أصولية ، تؤمن بأن عهد الخلاص قد بدأ ، وسوف يعود اليهود من منفاهم إلى أرض إسرائيل حيث يبسطون عليها سيادتهم ويقيمون من جديد الهيكل .

ويعتقد أعضاء هذه المنظمة أن الاستيطان اليهودى « ليهودا والسامرة » شرط مسبق لتحقيق عملية الخلاص . كما يعتبرون الانسحاب منهما خطيئة كبرى ، فالتوراة تحرم تحريما قاطعا نقل أى جزء من الأراضى المقدسة إلى الحكم الأجنبى ، بل إن مجرد مناقشة التنازلات الإقليمية إلى العرب يعدّ إساءة لإسم الله .

وقد بدأت « جوش إيمونيم » نشاطها الاستيطانى خلال عامى ١٩٧٤ و ١٩٧٥ بمحاولة إنشاء مستوطنة فى منطقة نابلس ، ولكن الجيش أحبط ثمانى محاولات لها فى هذا الشأن ، ثم نجحت فى إقامة مستوطنة فى سباستيا فى ديسمبر ١٩٧٥ .

وكان هدفها هو تحدى سياسة حزب العمل وحمله على عدم التخلى عن أى جزء من الأراضى المحتلة - وخاصة فى الضفة الغربية - بعد أن حركت حرب أكتوبر ١٩٧٣ مساعى السلام . وقد أكسبت مشاركة أعضاء جوش إيمونيم من اليهود الأرثوذكس فى هذه الحرب ثقتهم بأنفسهم ، وضمت الحركة كثيرا من أعضاء حركة أرض إسرائيل الكاملة ، كما لقيت تأييد عدد من الشخصيات السياسية البارزة من ذوى الاتجاهات اليمينية وخاصة ميناحيم بيجين وأرييل شارون . وفى أول مايو ١٩٧٦ ، نظمت مسيرة ضخمة شارك فيها ٢٠ ألفا من أنصارها طافوا فى الضفة الغربية إظهارا لقوة حركتهم .

ومع فوز تكتل الليكود فى انتخابات عام ١٩٧٧ ، أصبح نشاط جوش إيمونيم محل تشجيع وتأييد الحكم .

وقد تحول الحزب القومى الدينى - الذى دأب على المشاركة فى ائتلافات الحكومات العمالية ، وكان ينتهج سياسة وسطا - وتخلى عن اتجاهاته السابقة وتحالف مع الليكود فى حكومة بيجين وأصبح لايختلف فى مواقفه عن بقية الأحزاب والحركات الأصولية مثل أجودات إسرائيل وكتلة جوش إيمونيم . وأصبح الائتلاف الحكومى الذى شكله ميناحيم بيجين يضم تحالفا يمينيا سياسيا ودينيا شديد التطرف والتمسك بأرض إسرائيل واستيطان كل أجزائها ، وجمعت بين أحزاب الحكومة أيديولوجية تربط بين المعتقدات الدينية والاستراتيجية الأمنية فيما يتعلق بسياسة الاستيطان ومستقبل الأراضى الفلسطينية .

وما إن شكل بيجين حكومته - المؤتلفة من الليكود والحزب القومى الدينى والجناح المتطرف من أجودات إسرائيل - حتى توجه لزيارة الحاخام تسفى كوك حيث قبّل يده وسأله البركة .

وقد تضمن برنامج الحكومة الاستيطانى - الذى قامت لجنة دروبلز بإعداده بالتنسيق مع منظمة الصهيونية العالمية - المصادرة العاجلة لأراضى الدولة وتنفيذ خطة خمسية لبناء ما بين ١٢ و ١٥ مستوطنة سنويا بحيث يصل عدد المستوطنين إلى ١٢٠ ألف مستوطن . وصرح دروبلز بأن الاستيطان فى أرض إسرائيل كلها هو من أجل الأمن كما أنه حق لها . ويجب ألا يكون قاصرا على بناء المستوطنات حول تجمعات الأقلية (ويعنى الفلسطينيين) بل وإقامتها فيما بينها طبقا لبرنامج استيطان الجليل وغيرها وبهدف تقليل احتمال أى تطور نحو إقامة دولة عربية أخرى فى تلك المناطق .

وعندما واجهت حكومة بيجين المشكلة القانونية التى ترتبت على حكم المحكمة العليا الإسرائيلية فى قضية مستوطنة إيلون موريه ، التى رفضت فيه الأخذ بحجة الاعتبارات الأمنية التى ادعتها الحكومة وأقرت مبدأ عدم شرعية بناء المستوطنات لأسباب سياسية على أراض مملوكة ملكية خاصة ، عندئذ لجأت الحكومة إلى اعتبار كافة الأراضى التى لايثبت أصحابها ملكيتهم لها بالمستندات والسجلات من أراضى الدولة . وخلال ثلاث سنوات ونصف ، أقامت حكومة بيجين أكثر من ٤٠ مستوطنة ، وارتفع عدد المستوطنين إلى ١٧٫٥٠٠ وبلغ مجموع ما تم الاستيلاء عليه ٣١٪ من أراضى الضفة الغربية فى الفترة من ١٩٧٧ حتى ١٩٨١ . وقد اتبعت سياسة الضم الفعلى للضفة الغربية ، فأصبح للمستوطنين مجالسهم التى تصدر القرارات المتعلقة بشئونهم فى ظل نظام من اللامركزية الإدارية ، ولا تطبق عليهم القوانين السارية فى شأن الفلسطينيين ، وإنما يظلون خاضعين للقانون الإسرائيلى والمحاكم الإسرائيلية . وقد أصبح المستوطنون محل تشجيع الحكومة التى أغدقت عليهم كل المزايا .

وقد وصف أحد الكتاب ما أسماه « بصهيونية بيجين الجديدة » بأنها « قسمت المناطق المأهولة فى الضفة الغربية إلى قطاعات أصغر ، وضاعفت من الوجود الإسرائيلى فيها عن طريق شراء الأراضى ، والاستيلاء على الدومين العام ، واستغلال الأراضى المتروكة وإعادة توزيع أراضى الدولة ، وأنفقت مائة مليون دولار سنويا فى برنامج واسع لإقامة البنية الأساسية ، وربطت بين شبكات الكهرباء ، وفرضت رقابة على توريد المياه ، ومدت نطاق تطبيق القانون الإسرائيلى (إلى المستوطنات والمستوطنين) . وعن طريق كل هذه الإجراءات ، انتهت الحكومة فى عام ١٩٨١ إلى تنفيذ ما التزمت به من إدماج يهودا والسامرة دون رجعة فى نطاق إسرائيل واسترداد أرض إسرائيل (*) .

الحكم الذاتى الفلسطينى :

نص اتفاق كامب ديفيد ـ الذى وقعه الرئيس أنور السادات ، ورئيس الوزراء الإسرائيلى مناحيم بيجين فى ١٨ سبتمبر ١٩٧٨ على أن يتمتع السكان الفلسطينيون

(*) انظر : Howard Sachar . Ibid

فى الضفة الغربية وقطاع غزة بالحكم الذاتى الكامل خلال فترة انتقالية مدتها خمس سنوات ، على أن تجرى خلال هذه الفترة المفاوضات للاتفاق على الوضع النهائى لهذه المناطق .

وقد قامت مصر وإسرائيل بالتفاوض خلال الأعوام من ١٩٨٠ حتى ١٩٨٢ لوضع الأحكام التفصيلية الخاصة بإقامة السلطة الفلسطينية وتشكيلها ووظائفها ، وذلك بعد أن رفض الفلسطينيون والأردنيون المشاركة فى هذه المفاوضات .

وسرعان ما ظهر اتساع الهوة بين مفهوم كل من مصر وإسرائيل لذلك النظام الذى اتفقا فى كامب ديفيد على إقامته . فقد كانت مصر ترى أن يكون الحكم الذاتى كاملا يخول للفلسطينيين سلطات حقيقية تشريعية وتنفيذية وقضائية ،وأن يكون خطوة مرحلية نحو تقرير مصيرهم وإقامة دولتهم المستقلة . أما حكومة بيجين ، فلم ترفيه أكثر من نظام من الإدارة الذاتية المحدودة تحت السيطرة والإشراف الكاملين لإسرائيل بحيث ينتخب مجلس إدارى من ١٢ ـ ١٤ عضوا يتولى كل منهم إدارة قطاع معين بشرط التنسيق والتعاون مع السلطة الإسرائيلية ،وفى الحدود التى تسمح بها إسرائيل والتى تبقى لها سلطة الأمن كاملة ،فضلا عن السلطات الأخرى التى تحتفظ لنفسها بها فى كافة المجالات ، والحكم الذاتى قاصر على السكان أما الأرض فهى أرض إسرائيل .

وقد تعثرت المباحثات ، وتوقفت أكثر من مرة ،إلى أن تلقت الضربة القاضية فى صيف عام ١٩٨٢ عندما قامت إسرائيل بغزو لبنان .

وقد رفض الفلسطينيون اتفاق كامب ديفيد ، ووقفت جميع الدول العربية إلى جانبهم ، وفرضت على مصر مقاطعة استمرت عشر سنوات .

وفى الأراضى الفلسطينية المحتلة ، تصاعدت المقاومة لذلك الاتفاق ، واستخدمت حكومة بيجين كافة وسائل القمع لضرب العناصر المؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ولجأ آرييل شارون إلى محاولة تجميع قوى سياسية فلسطينية لمواجهة منظمة التحرير وتمهيد الطريق لتطبيق الحكم الذاتى بالمفهوم الإسرائيلى . فقام بإنشاء ما يعرف بروابط القرى من عناصر عميلة تولى شراءها ومنحها كثيرا من المزايا والسلطات ، وزودها بالسلاح بهدف التصدى للعناصر القومية الفلسطينية . وكان

تفكير شارون ينطلق من فهم خاطئ لحقيقة المدّ القومى الفلسطينى ، إذ كان يتصور أن الفلسطينيين يؤيدون دعوة المنظمة إلى المقاومة والنضال بدافع الخوف من الأعمال الانتقامية ، وأن غالبية الفلسطينيين مسالمون، ويكفى تشجيعهم على الوقوف فى وجه منظمة التحرير وأنصارها وتزويدهم بالسلاح الذى يحمون به أنفسهم وتقريبهم إلى السلطة وتحقيق منافعهم الذاتية لكى يتسنى تطبيق نظام الحكم الذاتى والتغلب على معارضة الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة له . وقد فشل مخطط شارون فشلا ذريعا ، فراح يفكر فى توجيه ضربة قاصمة للمنظمة فى عقر دارها فى لبنان .

الغزو الإسرائيلى للبنان :

كانت خطة آرييل شارون ـ الذى أصبح وزيرا للدفاع ـ خطة طموحة . فقد تصور أن غزو إسرائيل للبنان سوف يمكنها من القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية، وإقامة نظام حكم عميل فى لبنان يقوم بعقد الصلح مع الدولة العبرية ، ويؤمن حدودها الشمالية، ويترتب على ذلك عزل سوريا ، وإرغامها هى الأخرى على إقامة السلام مع إسرائيل بشروط الأخيرة .

وقد تمكن شارون من إقناع بيجين بخطته ، كما حصل من وزير الخارجية الأمريكية ألكسندر هيج على الضوء الأخضر لتنفيذها .

وبدأ الغزو فى ٦ يونيو ١٩٨٢ ، ولأول مرة فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى ، تقوم إسرائيل بحصار عاصمة عربية (بيروت) وقصفها من الأرض والجو والبحر .

فعندما أعلن ياسر عرفات عن عزمه على تحويل بيروت الغربية إلى ستالبنجراد أخرى ، فرض شارون عليها حصار ٤٠٠ دبابة وألف مدفع صبت عليها خلال شهرين وابلا من القذائف وألقت عليها الطائرات آلاف القنابل والصواريخ ، وهدمت مئات من المنازل .

وبعد وساطة أمريكية تولاها فيليب حبيب ، غادرت قوات منظمة التحرير الفلسطينية ورجالاتها الأراضى اللبنانية ،وانتقلت قيادتها إلى تونس .

ولم يتحقق هدف شارون الخاص بالقضاء على المنظمة رغم مغادرتها لبنان ، كما لم تتحقق بقية أهدافه .

لم تنجح إسرائيل فى فرض حكومة لبنانية عميلة ، فقد قُتل بشير الجميل الذى كانت تعوّل عليه . ولم تصدق لبنان على الاتفاقية التى عقدتها معه إسرائيل تحت ضغط الحرب الشرسة ، والتى كانت تأمل أن تحقق لها السلام وتخول لها حق التدخل فى الأراضى اللبنانية لحماية أمنها . واضطرت إسرائيل إلى سحب قواتها إلا من منطقة أمنية لاتزال تحتلها فى جنوب لبنان .

وإذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد غادرت الأراضى اللبنانية ، فإن المقاومة فى الجنوب اللبنانى لا تزال حتى اليوم تمارس نشاطها ـ على أيدى عناصر حزب الله وغيره ـ وتطلق نيرانها على القوات الإسرائيلية فى الشريط المحتل ، وصواريخها على المستوطنات فى شمال إسرائيل .

وقد كان للغزو الإسرائيلى للبنان آثاره السلبية الخطيرة على إسرائيل فى الداخل والخارج . فقد ظهر طابعها العدوانى للعالم الذى جمع على إدانتها ، وتوترت علاقاتها مع مصر التى سحبت سفيرها من تل أبيب ، وقطعت مباحثات الحكم الذاتى الفلسطينى ، وقامت بتوفير الحراسة للسفن التى نقلت قوات منظمة التحرير . وأدان العالم بأسره مذبحة صابرة وشاتيلا التى قامت بها عناصر من الفلاجا الموارنة بالتواطؤ مع القوات الإسرائيلية ، وراح ضحيتها المئات من الفلسطينيين العزل فى مخيماتهم ، وحمل إسرائيل المسئولية .

وأدت الحرب إلى انقسام خطير بداخل إسرائيل ، وسارت المظاهرات الضخمة تطلق الصيحات العدائية ضد بيجين وشارون ، وتطالب بإنهاء الحرب والانسحاب من لبنان . وشكلت لجنة تحقيق إسرائيلية أدانت شارون وطلبت عزله من منصبه .

ولاشك فى أن فشل مخطط الغزو الإسرائيلى كان من بين العوامل التى أصابت ميناحيم بيجين بالاكتئاب ، وحملته على الاستقالة والانسحاب من الحياة السياسية ، وخلفه اسحق شامير فى رئاسة الوزارة فى ١٥ سبتمبر ١٩٨٣ .

اسحق شامير فى الحكم :

ولد اسحق شامير فى بولندا عام ١٩١٥ ، وانضم إلى منظمة بيطار للشباب الصهيونى ، وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٥ حيث التحق بعد عامين بمنظمة ايتسل ثم بمنظمة ليحى الارهابيتين ، وتولى قيادة الأخيرة بعد مقتل رئيسها إبراهام شيترن . وقد

قبضت عليه السلطات البريطانية مرتين ، وتمكن من الهرب في كل منهما . وبعد قيام دولة إسرائيل ، تولى منصبا كبيراً في المخابرات الإسرائيلية (الموساد) ، كما عمل بالتجارة . وفي عام ١٩٧٠ ، انتخب عضوا في اللجنة المركزية لحزب حيروت ، وأصبح رئيسا للجنة عام ١٩٧٥ . وانتخب رئيسا للكنيست عام ١٩٧٧ ، ثم عين وزيراً للخارجية في حكومة بيجين عام ١٩٨٠ . وبعد اعتزال الأخير ، تولى رئاسة الوزراء ، وتبادل هذا المنصب مع شيمون بيريس في الوزارة الائتلافية من عام ١٩٨٤ ، كما تولى رئاسة الوزراء من عام ١٩٨٨ حتى عام ١٩٩٢ .

وقد غلب على شخصية شامير ومواقفه العنف والتطرف ، فقد كان من العناصر القيادية في المنظمتين الإرهابيتين اللتين قامتا باغتيال اللورد موين المندوب السامي البريطاني في مصر ، والكونت برنادوت وسيط الأمم المتحدة ، وارتكاب مذبحة ديرياسين ، وأجرت إحداهما (إيتسل) الاتصالات بممثلي ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية للتعاون معها ضد بريطانيا ، مقابل موافقتها على إنشاء دولة يهودية في فلسطين أو مدغشقر .

كما أنه عارض بشدة اتفاق كامب ديفيد أثناء توليه منصب رئيس الكنيست خلافا لمايقتضيه انتماؤه الحزبي ، ثم أصبح منذ توليه مناصبه الوزارية من أشد المتمسكين بهذا الاتفاق . وقد أدانته لجنة كاهان عن مذبحتي صابرة وشاتيلا باعتباره وزيرا للخارجية .

وقد شهدت الفترات التي تولى فيها شامير الحكم أحداثا هامة . فقد أدت عمليات الاستيطان المكثف من جهة ، وأعمال القمع تجاه الفلسطينيين إلى نشوب الانتفاضة الفلسطينية . كما أدى انهيار النظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي إلى فتح الباب أمام هجرة الآلاف من اليهود إلى فلسطين . ووقع الغزو العراقي للكويت وتعرضت إسرائيل لصواريخ صدام حسين . وأخيرا ، فقد عقد مؤتمر مدريد للسلام حيث بدأت المفاوضات المباشرة بين إسرائيل والأطراف العربية لأول مرة .

واتسمت مواقف شامير تجاه تلك الأحداث بالتطرف (وإن اتخذ موقفا معتدلا خلال حرب الخليج مستجيبا لطلب الولايات المتحدة عدم الرد أو التدخل في الحرب). ففيما يتعلق بالاستيطان الإسرائيلي ، كانت مواقف شامير أشد تطرفا من موقف بيجين . فلم يخضع سياسة الاستيطان لأية قيود أو ضوابط ، وإنما أطلق

العمليات الاستيطانية فى كل أجزاء الضفة الغربية (بما فيها القدس) وقطاع غزة ، وقام بزرع عشرات المستوطنات حول المدن والقرى الفلسطينية وفيما بينها ، بقصد خلق حقائق جغرافية وسكانية تحول دون إقامة كيان فلسطينى منفصل عن إسرائيل . وقد أدى تطبيق هذه السياسة ، وخاصة العمل على توطين آلاف المهاجرين القادمين من الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا ، إلى إنهاك الاقتصاد الإسرائيلى الذى كان يعانى من أزمة خانقة . وعندما توجه إلى الولايات المتحدة لطلب ضمانها لقرض بمبلغ عشرة آلاف بليون دولار ، تمسكت إدارة الرئيس بوش بعدم الاستيطان فى الأراضى المحتلة . وأدى توتر العلاقات بين البلدين وسوء الأوضاع الاقتصادية فى إسرائيل إلى سقوط حكم الليكود فى انتخابات عام ١٩٩٢ .

أما عن الانتفاضة الفلسطينية ، فقد تفجرت نتيجة أعمال القمع والاضطهاد الذى لقيه الفلسطينيون على أيدى السلطات الإسرائيلية ، وعمليات مصادرة الأراضى والاستيطان المكثف فى كل مكان ، واستهدفت إنهاء الاحتلال الإسرائيلى ، وقد اتبعت حكومة شامير سياسة خرقاء تجاه الانتفاضة ، محاولة قمعها بالقوة وكسر العظام (على حدّ تعبير اسحق رابين وزير دفاع شامير) ، ولما تيقنت من فشل هذه السياسة اضطر شامير إلى تقديم مبادرته للسلام .

التخطيط لنسف المسجد الأقصى :

فى أغسطس ١٩٦٩ ، قام أحد اليهود الاستراليين بإشعال النار داخل المسجد الأقصى .

وفى أوائل عام ١٩٧٩ اجتمع عدد من أتباع الحاخام ليفنجر حيث ناقشوا وسائل عرقلة تنفيذ اتفاق كامب ديفد وإعاقة الانسحاب الإسرائيلى من سيناء .

وفى هذا الاجتماع بحثت فكرة نسف المسجد الأقصى ، ودرست عدة خطط لتنفيذها . وكان ميناحيم ليفنى قائد إحدى كتائب الاحتياطى قد قام بتصوير جوى للمسجد . وقد استبعدت فكرة نسف المسجد من الجو ، واتجه المجتمعون إلى شن هجوم أرضى يقوم به فريق بنسف المسجد بالقنابل والمتفجرات مع أخذ الاحتياطات اللازمة لعدم إصابة اليهود من سكان الحى اليهودى وعدم الإضرار بحائط المبكى .

وكان تقدير المتآمرين أن نسف المسجد سوف يؤدى إلى سلسلة من ردود الفعل ، إذ المتوقع أن ترتكب المذابح ضد اليهود فى أنحاء العالم ، ويؤدى ذلك بالتالى إلى دفع إسرائيل إلى مهاجمة الدول العربية مما يتيح الفرصة لطرد الفلسطينيين من « أرض إسرائيل » . وقد أجل تنفيذ الخطة مؤقتا للقيام بعمليات أخرى .

وشكل تنظيم إرهابى سرى « ماختيريت » وقام بتفجير سيارة بسام الشكعة عمدة نابلس وأدى التفجير إلى فقدانه رجليه ، وتفجير سيارة كريم خلف مما أفقده قدمه ، كما وضع التنظيم قنابل فى مسجد وأماكن أخرى أدت إلى إصابة عدد من الفلسطينيين ، ودبر خطة لتدمير الحرم الشريف .

وبالرغم من تمكن جهاز « شين بيت » الإسرائيلى من التعرف على شخصيات المخربين ، إلا أن ميناحيم بيجين لم يشأ تقديمهم للمحاكمة بسبب صلاته بقيادات جوش إيمونيم . غير أن عدداً من الليبراليين الإسرائيليين ـ الذين روعتهم هذه الموجة من العنف ـ تقدموا فى أوائل عام ١٩٨٠ بطلب إلى المدعى العام لإجراء التحقيق ، وشكلت لجنة برئاسة يهوديت كارب للتحقيق ، ووجهت فى تقريرها الاتهام إلى رجال البوليس والجيش الإسرائيلين بالتراخى فى منع هذه الاعتداءات على العرب ، ثم استقال كارب بسبب عدم نشر تقريره .

وكانت الشرطة الإسرائيلية قد اكتشفت فى مايو ١٩٨٠ مؤامرة لنسف المسجد الأقصى بعد عثورها على مخبا كبير للمتفجرات على سطح أحد المبانى فى القدس القديمة ، وتبين أن اثنين من الجنود على صلة بحركتى جوش إيمونيم وكاخ كانا يتآمران لنسف المسجد .

وفى مارس ١٩٨٣ ، قبضت الشرطة على عشرات من اليهود المتطرفين ـ معظمهم من جوش إيمونيم ـ بعدما استغاث أحد الحراس المسلمين بها لسماعه أصوات معاول تحفر تحت الأرض . وتبين أنهم قد خططوا للاستيلاء على الحرم الشريف .

وفى ٢٧ أبريل ١٩٨٤ ، اكتشفت مؤامرة لنسف المسجد الأقصى وقبة الصخرة بعد اعتقال ٢٥ من دعاة جوش إيمونيم اتهموا بوضع عبوات ناسفة تحت خمس حافلات عربية ، وقد أحبطت الشرطة المحاولة فى اللحظة الأخيرة . وأثبتت التحقيقات مسئولية المتهمين عن الاعتداءات على رؤساء البلديات الفلسطينيين وعلى الكلية الإسلامية ، وتدبير خطة لتدمير الحرم الشريف . وقد ثبت قيامهم باعداد خطة

لنسف المسجد الأقصى وقبة الصخرة وتطويرها بعناية خلال السنوات من ١٩٧٨ إلى ١٩٨٢ . أما المتهمون فقد كانوا شخصيات بارزة فى جوش إيمونيم التى بادرت بإظهار التعاطف والتأييد لهم والتماس العفو الشامل عنهم .

والواقع أن الاعتقاد اليهودى بأن الهضبة الصغيرة الواقعة خلف الحائط الغربى من مدينة القدس القديمة هى جبل موريا التوراتى الذى كاد سيدنا إبراهيم يضحى فيه بابنه (اسحق)كما بنى فيه هيكل سليمان ، هذا الاعتقاد قد حمل عدداً من الجماعات اليهودية على المطالبة بإعادة بناء الهيكل فى موقع المقدسات الإسلامية (المسجد الأقصى ومسجد الصخرة) .

وقد تكررت محاولات التحرش بالمصلين فى المسجد الأقصى والمترددين على الحرم الشريف ، واقتحام المسجد ؛ بل إن بعض المتطرفين اليهود طالبوا الحكومة الإسرائيلية بالسماح لهم بالصلاة بداخله .

(وقد أصدرت المحكمة العليا الإسرائيلية حكما يستجيب لمطلبهم ، وأصبح الموضوع على جدول أعمال حكومة نيتانياهو الذى يشغل هدف التهويد الكامل والعاجل للقدس وتكثيف الاستيطان الأولوية الأولى بين بنوده) .

حصاد حكم الليكود :

لاشك فى أن عقد معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل يعدّ من أهم انجازات ميناحيم بيجين . فقد كان إبرام الصلح بين الدولة العبرية وكبرى الدول العربية حدثا بالغ الأهمية فى تاريخ النزاع العربى الإسرائيلى الذى امتد لما يقرب من مائة عام .

وإذا كانت مصر قد حققت السلام ، ووضعت حداً لحروبها مع إسرائيل ، متطلعة إلى أن يعم السلام كل دول المنطقة ، وأن ينال الفلسطينيون حقوقهم المشروعة فى العودة وتقرير المصير وإقامة دولتهم المستقلة ، فإن إسرائيل قد استهدفت من إبرام المعاهدة مع مصر إقامة سلام منفرد معها يخرجها من دائرة المواجهة ، ولا يضع حدّاً للمطامع الإسرائيلية فى بقية الأراضى العربية المحتلة ، فإعادة سيناء إلى مصر كانت ـ بالنسبة لليكود ـ آخر ما تقدمه من تنازلات إقليمية .

وقد ظل بيجين طوال مفاوضاته مع مصر متمسكا بأيدلوجيته بشأن « أرض

إسرائيل» ، التى لا تقتصر على الضفة الغربية وقطاع غزة ، بل تشمل مرتفعات الجولان أيضا ، وظل متمسكا حتى اللحظة الأخيرة باحتفاظ إسرائيل بمستوطناتها فى سيناء إلى أن وافق الكنيست على إزالتها من أجل السلام مع مصر .

والواقع أن عهد الليكود قد تميز بالتحالف بين الحكم والأصولية الدينية اليهودية ، فقويت شوكة جوش إيمونيم ، وإزداد نفوذ المستوطنين وأصبحوا منذ ذلك الوقت جماعة ضغط قوية النفوذ والتأثير على الحكومات الإسرائيلية .

ولم تعد حكومات الليكود تسمح لأية عقبات قانونية أو سياسية أن تقف فى طريق تنفيذ خططها الاستيطانية . فقد كانت ـ على حد تعبير ميرون بنيفستى فى تقريره Data Base Project ـ تستخدم فى سعيها للاستيلاء على الأراضى كل الوسائل القانونية وشبه القانونية ، وتبتكر الوسائل الجديدة لتحقيق أهدافها .

وتمثل حصاد حكم الليكود فى تكثيف الاستيطان حتى بلغ عدد المستوطنات ١٦٥ (عدا القدس) مستوطنة ، وعدد المستوطنين مايزيد على ١٤٥ ألف مستوطن ، وفى استعمال أشد أساليب القمع ضد الفلسطينيين ، وضم القدس والجولان ، وفى غزو لبنان بما صاحبه من مذابح ودمار ، وتدمير المفاعل النووى العراقى .

ولعل من أخطر هذا الحصاد بروز الأصولية اليهودية ونموها لتصبح عاملا مؤثرا فى الحياة السياسية الإسرائيلية ، ولتجعل من أعمال العنف ، والعنف المضاد ظاهرة مستمرة فى الصراع العربى الإسرائيلى ، كما تعرض البلاد للحروب الدينية بين السكان .

ويذكر إيان لوستيك ـ فى دراسته القيمة بشأن الأصولية اليهودية فى إسرائيل ـ إن «جوش إيمونيم» قد تطورت بين عامى ١٩٧٧ و ١٩٨٤ إلى حركة شاملة تضم منظمات تتخصص كل منها بمظهر من مظاهر الصراع الأصولى الأشمل والتوجه إلى القواعد الانتخابية ، وانضم إليها أعضاء من حركة الصهيونية العمالية النضالية وحزب حيروت . وقد أنشأت هيئة تمثيلية عامة هى «ييشع» تضم ممثلين للمجالس الإقليمية التى أسستها مجموعات من مستوطنات الضفة الغربية وقطاع غزة ، والتى تتولى الدفاع عن مصالح المستوطنين لدى وزارات الحكومة وإدارات الحكم العسكرى . وفى ديسمبر ١٩٧٩ ، أصدرت مجلة «نيكوداه» التى تعالج الموضوعات التى تهمها . ولكنها ، بالرغم من المقاومة المستميتة لإزالة مستوطنة ياميت من سيناء وإجلاء

مستوطنيها ، لم تنجح فى إثناء حكومة بيجين عن تنفيذ التزاماتها فى هذا الشأن ، وإنما قام بعض أعضائها بتأسيس منظمة « العودة إلى سيناء » بهدف إعادة الحكم اليهودى فيها . وفى عام ١٩٨٥ ، شكلت « جوش إيمونيم » أمانة سر من ٥٠ عضوا ولجنة عمل من ١٠ أعضاء ، كما أعلنت خطة لإنشاء مجلس تربوى يضم عدداً من الحاخامات والعلماء .

واعتمدت الحركة استراتيجية تستهدف إفشال مفاوضات السلام بين إسرائيل والعرب ، وشنت العديد من الاعتداءات على الفلسطينيين وممتلكاتهم من سيارات ومنازل ومتاجر . وشاركتها أهدافها حركات أصولية أخرى مثل كاهانا وعصابات جبل الهيكل التى تطالب بنسف المسجد الأقصى ،وإقامة هيكل سليمان مكانه .

وقد تفاقم خطر التطرف الدينى من جانب جوش إيمونيم ،وتلك الحركات الأصولية إلى حد أن أصبح يهدد بقيام حرب دينية بين اليهود والمسلمين والمسيحيين بسبب إدعاءاتها بشأن الأماكن المقدسة .

الفصل الثامن

السلام بين الليكود والعمل

الصراع العربى الإسرائيلى فى عالم متغير :

عقد مؤتمر الأمن والتعاون الأوربى فى هلسنكى عام ١٩٧٥ ، ليجتمع فيه ممثلو ٣٢ دولة أوربية مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وكندا ، ويضعوا أسس الأمن الأوربى والتعاون فى مجالات كثيرة . وقد كانت لهذا المؤتمر والاجتماعات المنبثقة عنه آثار بعيدة فى تطور العلاقات الدولية ، وخاصة فى التأثير على الأوضاع داخل الاتحاد السوفيتى . ومع تولى ميخائيل جورباتشوف قيادة الاتحاد السوفيتى ، بدأت التغييرات الجذرية فى النظام الشيوعى ، ثم تفكك الاتحاد السوفيتى وكتلته الاشتراكية ، وتبدلت سياسة روسيا المساندة للأنظمة والحركات التحررية فى العالم الثالث إلى سياسة وفاق وتعاون مع الولايات المتحدة والدول الغربية .

وهكذا فقدت الدول العربية الدعم الذى كانت تتلقاه من الدولة العظمى الثانية ، ووجدت نفسها فى عالم متغير يسعى إلى إنهاء النزاعات الإقليمية أو احتوائها ، وتسوده اتجاهات الانفتاح والسوق الحرة والنزعات الاستهلاكية ، لتحل محل الاتجاهات الاشتراكية وتضعف فيه الأيديولوجيات السابقة ويتجه نحو التكتلات الاقتصادية الإقليمية ، ثم وقع الغزو العراقى للكويت ، وتردى الموقف العربى إلى أسوأ حالاته .

وكانت لكل هذه العوامل آثارها على الصراع العربى الإسرائيلى ، والمساعى المبذولة لحلّه . كانت المساعى تبذل منذ حرب ١٩٧٣ لإيجاد حل لهذا الصراع . وعقدت مصر أول معاهدة سلام مع إسرائيل . وبالرغم من القطيعة العربية لمصر ، فإن

الجهود لم تتوقف طويلا . فقد حاولت الولايات المتحدة أكثر من مرة دفع عملية السلام، وقدم الرئيس ريجان مبادرته فى أول سبتمبر ١٩٨٢ .

وبدأ الملك حسين يحاول من جانبه تحريك عملية السلام بالاتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية ، فعقد معها اتفاقا على تشكيل وفد أردنى فلسطينى مشترك للتفاوض مع أجل السلام.

وتطور موقف منظمة التحرير ، حيث حصلت على قسط كبير من الاعتراف الدولى بعد أن اعترفت القمة العربية فى الرباط عام ١٩٧٤ ، بالمنظمة ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطينى ، ودعى ياسر عرفات لإلقاء خطابه الشهير أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة . كما تطور موقف الدول العربية نحو قبول إسرائيل، والاعتراف بوجودها كدولة من دول المنطقة ،وتضمنت المبادرة العربية فى فاس فى عام ١٩٨٢ اعترافا ضمنيا بهذا الوجود.

ولكن الحدث الذى كان له أثره الحاسم فى دفع عملية السلام، كان بلا شك تفجر الانتفاضة الفلسطينية فى ديسمبر ١٩٨٧ ، فقد أظهرت لإسرائيل وللعالم بأسره أن الشعب الفلسطينى قد هبّ لمحاربة الاحتلال ـ ولو بالحجارة ـ وأنه لن يكف عن المقاومة إلا إذا تخلص من الأوضاع التى ظل يرزح تحتها منذ عام ١٩٦٧ .

وبدأ التحرك بخطى سريعة من أجل إيجاد تسوية سياسية للصراع .

أما منظمة التحرير الفلسطينية ، فقد أصدر مجلسها الوطنى فى اجتماعه بالجزائر فى نوفمبر ١٩٨٨ قرارات تاريخية ،تضمنت إلى جانب إعلان قيام الدولة الفلسطينية ، الدعوة إلى عقد مؤتمر دولى تحت رعاية الأمم المتحدة، وبمشاركة كل أطراف النزاع بما فيها المنظمة على أساس قرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ . وكان قبول المنظمة لهذين القرارين نقطة تحول فتحت الطريق أمام مساعى السلام ، فبدأ الحوار بين الولايات المتحدة والمنظمة ، وقدم جورج شولتز مبادرته فى مارس ١٩٨٩ ، على أساس الدعوة لعقد مؤتمر دولى . ثم تقدم اسحق شامير بمبادرة فى مايو ١٩٨٩ . وواصل جيمس بيكر وزير الخارجية المساعى الأمريكية ، كما اقترحت مصر عدة نقاط تعديلا لمبادرة شامير . ولكن حرب الخليج علقت هذه المساعى إلى أن استؤنفت فى أعقابها ، وأدت التطورات المشار إليها ،والتى غيّرت طبيعة العلاقات الدولية والأوضاع العربية إلى عقد مؤتمر مدريد فى ٣٠ أكتوبر ١٩٩١ ، وفقا للشروط التى وضعها اسحق شامير لانعقاده.

اشترط شامير أن يكون مؤتمر مدريد مجرد إطار للمفاوضات المباشرة التى تجرى بين إسرائيل وكل من الأطراف العربية منفردة ، وأن يكون المؤتمر عديم السلطات والصلاحيات لايملك تقديم المقترحات أو يتدخل فى المفاوضات ، وأن يكون التمثيل الفلسطينى فيه من خلال وفد أردنى فلسطينى مشترك ، وألا يكون من بين الفلسطينيين أعضاء من خارج الأراضى المحتلة أو من القدس ، وألا يمثل الوفد منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد قبل جيمس بيكر الشروط الإسرائيلية ، ولم تكن أحوال العرب تسمح برفضها . وعقدت فى واشنجتون خمس جولات تفاوضية فى ظل حكومة الليكود ، وخمس أخريات فى عهد حكومة العمل .

سلام الليكود :

تمسك اسحق شامير بأن يرأس وفد بلاده فى مؤتمر على مستوى وزراء الخارجية . وألقى كلمة عكست مفاهيم الليكود ، فأكد السيادة اليهودية على أرض إسرائيل ، وتحدث عن تاريخ الشعب اليهودى إلى أن أقام دولته فى فلسطين ، وحمل العرب مسئولية النزاع العربى الإسرائيلى ، فهم الذين رفضوا الدولة اليهودية وحاربوها ، وهم الذين رفضوا قرار التقسيم (وتجاهل أن أستاذه جابوتنسكى رفض أية تنازلات عن أرض إسرائيل بما فيها شرق الأردن) وأن قرار التقسيم يعتبر لاغيا ، كما استغل العرب الحرب الباردة لكى يحولوا المنطقة إلى ساحة قتال ، وتمكنوا ـ بالأغلبية العددية للدول الإسلامية والاشتراكية فى الأمم المتحدة ـ من استصدار قرارات شوهت التاريخ .

أما السلام الذى اقترحه فهو السلام مقابل السلام ، فعلى الدول العربية الاعتراف بإسرائيل ، وعقد معاهدات معها تقر بتوسع الدولة اليهودية فى الأراضى التى احتلتها عام ١٩٦٧ ، وحل القضية الفلسطينية على أساس اتفاق كامب ديفيد بمنح الفلسطينيين حكما ذاتيا (إداريا) .

وكان طبيعيا ألا تحرز المفاوضات العربية الإسرائيلية أى تقدم فى عهد شامير .

ففى المسار الأردنى ، الفلسطينى ، ظل هم المفاوض الإسرائيلى هو طمس الهويّة الفلسطينية ، وإفراغ الحكم الذاتى المقترح من أى مضمون حقيقى . فهو يطلق على الضفة الغربية التسمية اليهودية « يهودا والسامرة » ، وغاية ما يسمح به هو إسناد

وظائف إدارية محدودة العدد ، لأشخاص محدودى العدد كذلك (١٢ وظيفة و ١٢ عضوا) ، يتولونها بشرط التعاون والتنسيق مع السلطات الإسرائيلية . وتظل إسرائيل هى المسيطرة على الأرض والمياه والأمن ، بل على أعمال السلطة الفلسطينية للحكم الذاتى بأكملها أما الأرض فهى أرض إسرائيل ولا حقوق للفلسطينين فيها .

ولم يكن الأمر يختلف كثيرا فى بقية المسارات ، وإنما كانت مناورات ومماطلات لا شأن لها بالانسحاب الإسرائيلى من الأراضى العربية المحتلة .

وكان شامير صريحا عندما أعلن عقب سقوط حكمه أنه كان يعمل من أجل إطالة أمد المفاوضات لعشر سنوات .

وبدأت فى أعقاب مؤتمر مدريد مفاوضات متعددة الأطراف ، بمشاركة دول غربية وشرقية لوضع أسس نظام إقليمى جديد فى الشرق الأوسط ، يقوم على التعاون فى المجالات المختلفة بين دول المنطقة .

والواقع أن سياسة الليكود كانت ـ ولا تزال ـ قائمة على أسس الاستيلاء على الجولان السورية ـ وربط لبنان بقيود أمنية ثقيلة مع تقاسم المياه معه من مصادرها الواقعة فى الأراضى اللبنانية ـ والاستيلاء على الضفة الغربية (بما فيها القدس) وقطاع غزة ، ورفض إقامة دولة فلسطينية فيهما (واعتبار الأردن هى الدولة الفلسطينية) وأن يكون الحكم الذاتى الإدارى للسكان (دون الأرض) هو الوضع النهائى والحل الوحيد للقضية الفلسطينية . أما اللاجئون الفلسطينيون فلا مجال لعودة أى عدد منهم إلى « أرض إسرائيل » ، وإنما تحّل مشكلتهم بجهد دولى على أساس توطينهم خارج إسرائيل . وأما القدس ، فتظل موحدة وعاصمة أبدية للدولة اليهودية .

سلام العمل :

دخل تجمع العمل انتخابات عام ١٩٩٢ ببرنامج مختلف عن برنامج الليكود . فقد طرح رؤية لشرق أوسط جديد يقوم على أسس التعاون فى مختلف المجالات ، وخاصة فى المجال الاقتصادي ، ووضع حد للحروب وسباق التسلح . وخلافا لمبادئ الليكود ، يتضمن برنامجه للسلام تطبيق القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ على كل الجبهات ، الأمر الذى يعنى استعداده للانسحاب من أجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة ، وعدم استبعاد الانسحاب من الجولان ، ولكنه فى الوقت ذاته يتضمن أن السلام

المستقر يتطلب حدودا يمكن الدفاع عنها (نظرية الحدود الآمنة) ويعتبر الأمن عاملا حاسما . ويعرض البرنامج حلولا وسطا إقليمية ومقايضة الأرض بالسلام وأمن إسرائيل .

وفيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، يرفض البرنامج سيطرة إسرائيل على السكان الفلسطينيين ويعرض حكما ذاتيا كاملا معترفا لهم بحقوقهم الوطنية ، ومبديا الاستعداد للتفاوض مع وفد فلسطينى (وعدم التمسك بأن يكون مشتركا مع وفد أردنى) ، كما يلتزم بعدم إقامة مستوطنات جديدة أو توسيع المستوطنات القائمة باستثناء القدس وغور الأردن ، أما مشكلة اللاجئين ، فلا يختلف موقفه منها عن موقف الليكود .

وقد واصلت حكومة اسحق رابين مفاوضات واشنجتون ، وبعد عدة جولات تفاوضية لم تحرز تقدما كبيرا ، اتجه رابين إلى التفاوض مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية ذاتها (بدلا من التفاوض مع وفد غير قادر على تقديم التنازلات اللازمة) ودخلت الحكومة الإسرائيلية معها فى مفاوضات سرية فى أوسلو ، انتهت إلى عقد إعلان المبادئ الذى اعتبره العالم اختراقا حقيقا فى عملية السلام .

وتتمثل أهمية إعلان المبادئ فى أنه يسجل اعتراف إسرائيل ومنظمة التحرير كل منهما بالآخر ، واعتراف إسرائيل بالحقوق الوطنية والسياسية للشعب الفلسطينى ، ويضع الخطوط الأساسية لتنفيذ الحكم الذاتى الفلسطينى الكامل بدءا بقطاع غزة ومنطقة أريحا . ويتضمن الاتفاق بوجه خاص انسحاب القوات الإسرائيلية منهما ، ثم تسليم السلطة للفلسطينيين فى بقية الضفة ، وإعادة انتشار القوات الإسرائيلية فيها تدريجيا ، وتشكيل قوة شرطة فلسطينية تتولى الأمن الداخلى للفلسطينيين ، كما يتضمن جدولا زمنيا لتنفيذ ما نص عليه من خطوات ومراحل تنتهى ببدء مفاوضات للاتفاق على الوضع النهائى للضفة والقطاع .

غير أن رابين لم يحترم تلك التوقيتات ، بل أعلن منذ البداية أنه لا توجد مواعيد مقدسة ، وسيطرت عليه الهواجس الأمنية ، ووقع هو الآخر تحت ضغوط المستوطنين الإسرائيليين .

ووصل ياسر عرفات إلى غزة ليواجه كمّا هائلا من المشاكل والأزمات ، فلم يتلق الأموال التى وعدت بها الدول المانحة ، والتى كانت حاجته إليها ملحّة ، ليس من

أجل إصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والصحية المتردية فى القطاع فحسب بل حتى لدفع رواتب الجنود ورجال الإدارة كذلك . ولم تتوقف معارضة الفلسطينيين والإسرائيليين على السواء لإعلان المبادئ وتصاعدت أعمال المقاومة المسلحة الفلسطينية ، كما تزايدت الأعمال العدائية من جانب المستوطنين الإسرائيليين ضد الفلسطينيين .

واتبعت حكومة رابين سياسة المماطلة والمراوغة فى تنفيذ التزاماتها ، وظلت مسائل كثيرة معلقة دون حل حتى نهاية حكمها (ومنها الاتفاق على حدود منطقة أريحا ، والممر الآمن بينها وبين غزة ، ووضع المعابر بين غزة ومصر وبين الضفة والأردن) ، كما تقاعست عن تنفيذ التزاماتها بإعادة انتشار قواتها فى مدينة الخليل . ومع ذلك فإنه لا شك فى أن مفهوم العمل للحكم الذاتى الفلسطينى كان أكثر اعتدالا وجديّة من مفهوم الليكود . ففى حين يظل الليكود متشبثا بأن يكون هذا الحكم عبارة عن وظائف إدارية محدودة ، يتولاها عدد من أعضاء السلطة الفلسطينية محدود بعددها (ولم يزد عن ١٢ ـ ١٤) ، وأن يكون منقطع الصلة عن الأرض ـ التى تظل السيادة عليها لإسرائيل ـ فإن الاتفاق الذى عقدته حكومة رابين مع منظمة التحرير الفلسطينية نقل إلى سلطة الحكم الذاتى غالبية السلطات (٣٧ سلطة) وزاد من عدد أعضائها المنتخبين إلى ٨٨ عضوا يتولون سلطتى التشريع (المقيدة) وتنبثق منهم ـ ومن عدد إضافى ـ سلطة التنفيذ . وأجريت انتخابات حرة ومباشرة (حتى فى مدينة القدس رغم بعض القيود) يوم ٢٠ يناير ١٩٩٦ ، كما انتخب ياسر عرفات مباشرة رئيسا للسلطة .

أما عن إعادة انتشار القوات الإسرائيلية ، فقد نص الاتفاق على تقسيم الضفة الغربية ، إلى ثلاث مناطق تنسحب فى أولاها القوات عن الست مدن الفلسطينية الرئيسية وما حولها ، أما المدينة السابعة ـ مدينة الخليل ـ فقد وضع لها نظام للانسحاب على مراحل مع بقاء عدد من القوات الإسرائيلية فيها حتى المرحلة الأخيرة (مرحلة مفاوضات الوضع النهائى) .

وكان واضحا منذ مفاوضات أوسلو أن الجانبين ـ الفلسطينى والإسرائيلى ـ لن يستطيعا التوصل إلى اتفاق دون إرجاء التفاوض على المشاكل الرئيسية ، فأرجئت إلى مفاوضات الوضع النهائى مشاكل القدس والمستوطنات واللاجئين والحدود

والترتيبات الأمنية والعلاقات مع الدول المجاورة (وأضافت إليها الاتفاقية الانتقالية الأرض والمياه والانسحاب من المنطقة الثالثة) .

وإذا كانت حكومة رابين (وبيريس من بعده) قد أبدت قدرا من المرونة فيما يتعلق بالحكم الذاتى الفلسطينى ، فإن مواقفها المعلنة من تلك المشاكل الرئيسية التى يتعين حلّها لتسوية القضية الفلسطينية ظلت مترددة بين الرغبة فى تسويتها نهائيا حتى تتمكن من إقامة السلام مع الدول العربية وبين التمسك بالأيديولوجية الصهيونية الموروثة . فظلت على موقفها المعارض لإقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة (حتى أزال حزب العمل من برنامجه الاعتراض على إقامة تلك الدولة فى أواخر حكم شيمون بيريس) .

أما عن تصور حكومة العمل للمستقبل ، فقد كان رابين يعبر عنه بإقامة كيان فلسطينى ـ لا يصل إلى حد الدولة وإن كان يزيد على الحكم الذاتى ـ ويكون مرتبطا بكل من إسرائيل والأردن .

وأما عن القدس ، فقد ظلت متمسكة بأن تبقى مدينة موحدة ، وعاصمة أبدية لإسرائيل (وإن كانت مفاوضات سرية قد عقدت مع الفلسطينيين لإيجاد صيغة تسمح بنوع من الوجود للسلطة الفلسطينية فيها) .

وأما اللاجئون ، فلا يختلف بشأنهم موقفا العمل والليكود ، وإنما يتفقان على رفض مبدأ عودتهم إلى إسرائيل ، بل ظلت حكومة العمل تماطل وتقيم العراقيل فى سبيل عدم تنفيذ ما نصت عليه اتفاقاتها مع الفلسطينيين ، من السماح بعودة النازحين فى حرب ١٩٦٧ إلى الضفة الغربية وقطاع غزة . وفيما يتعلق بالمستوطنات الإسرائيلية ، رفضت حكومة العمل إزالة أى منها خلال الفترة الانتقالية ـ حتى القائمة منها فى مواقع متطرفة فى قطاع غزة ـ بل إنها واصلت عمليات الاستيطان وأقامت المبانى فى المستوطنات القائمة وظلت تمالئ المستوطنين اتقاء لمقاومتهم، وتتردد فى الإفصاح عن نواياها بشأنهم قبل مفاوضات الوضع النهائى ، وعندما تزايدت المصادمات بين المستوطنين والفلسطينيين ، اتجه تفكير رابين إلى الفصل بين المستوطنات وبين المدن والقرى الفلسطينية عن طريق إقامة شبكة من الطرق الالتفافية يستخدمها المستوطنون للتنقل بين المستوطنات المختلفة وبينها وبين إسرائيل .

وبالنسبة للحدود ، فربما كان موقف العمل منها هو أهم ما يتميز به عن موقف الليكود . ففى حين أن الأخير يرفض أى تقسيم لأراضى « يهودا والسامرة » مع

الفلسطينيين ، ويرفض أية سيادة أجنبية (غير إسرائيلية) عليها بل يعتبر الحكم الذاتى للسكان الفلسطينيين (دون الأرض) هو أقصى ما يمكنه الموافقة عليه كوضع نهائى لهم ؛ فإن حزب العمل ظل منذ أعقاب حرب ١٩٦٧ يدعو إلى حل وسط إقليمى يسمح بتقسيم أراضى الضفة الغربية وقطاع غزة . أما عن موقع الحدود التى تفصل بين إسرائيل وبين الكيان الفلسطينى ، فقد احتفظ العمل بموقفه فى هذا الشأن ليعرضه فى مفاوضات الوضع النهائى . وتشير الدلائل إلى أن الكثافة السكانية واعتبارات الأمن الإسرائيلى هما العاملان الرئيسيان اللذان يحددان موقفه .

وأخيرا ، فإنه بالنسبة لعلاقات الضفة الغربية وقطاع غزة بجاراتها ، وخاصة إسرائيل والأردن ، فإن إعلان المبادئ وما أعقبه من اتفاقات تدل على أن حكومة العمل كانت تتصور أن تقام روابط وثيقة بين الكيان الفلسطينى وكل من جارتيها ، فى مجالات كثيرة ، وبما يمكن أن يشكّل « مثلثا ذهبيا » يصلح نواة لسوق مشتركة شرق أوسطية شبيهة بالجماعة الأوربية ، ويسمح لإسرائيل ، فى الوقت ذاته ، بالسيطرة على الضفة الغربية .

وكانت الآمال معقودة على اسحق رابين فى تحقيق السلام الدائم المنشود بين إسرائيل والدول العربية بالرغم من هواجسه الأمنية وتردده ، فإن المكاسب التى حققتها إسرائيل من الخطوات الأولى على طريق السلام كانت تتجاوز أحلامها وتغرى حكومة العمل على المضى فى طريق السلام . إذ اعترفت بها معظم الدول وأقامت معها علاقات دبلوماسية ، ورفعت الدول العربية المقاطعة الاقتصادية غير المباشرة عنها ، وفتحت أبواب العواصم العربية لوفودها فى المفاوضات المتعددة الأطراف بل وأقام عدد من الدول العربية تمثيلا دبلوماسيا معها (على مستويات مختلفة) وطبعت علاقاتها معها قبل تسوية النزاع بينها وبين الأطراف العربية المباشرة . ولكن رصاصات إيجال عامير التى أودت بحياة رابين ك يوم ٤ نوفمبر ١٩٩٥ كانت نذيراً قويا من جانب قوى التطرف الإسرائيلية بأنها لن تقبل السلام الذى بدأه مع الفلسطينيين ، فهو ـ فى نظرها ـ قد فرط فى « أرض إسرائيل » .

كما تصاعدت المقاومة المسلحة من قبل منظمة حماس ، وقامت بعدة عمليات انتحارية غيّرت مسار عملية السلام .

وكانت نتيجة كل ذلك أن تخبط شيمون بيريس فى مواقفه محاولا أن يرتدى لباس

رابين - رجل الأمن - وشن غاراته على لبنان لخمسة عشر يوما متواصلة ، وارتكبت قواته مجزرة قانا ، وأوقف المفاوضات مع الفلسطينيين والسوريين وفرض حصارا كاملا على الشعب الفلسطيني لا يزال يعاني منه حتى كتابة هذه السطور .

ويبدو أن الرأى العام الإسرائيلى قد أصيب هو الآخر بنوع من البلبلة . بعد أن ارتد بيريس إلى ما يشبه موقف الليكود . فكلاهما يرفع شعار أمن إسرائيل أولا ، وبنيامين نيتانياهو يحمّل زعيم العمل مسئولية التقصير فى الحفاظ على الأمن ويتهمه بأن السلام الذى يعقده مع الفلسطينيين يعرض الدولة اليهودية للخطر . وانقسم الناخبون الذين سبق أن أسقطوا الليكود منذ أربع سنوات وفوضوا حكومة العمل فى تنفيذ برنامجها للسلام بين يمين العمل ويمين الليكود . وكانت النتيجة تصويت ما يقرب من نصف عدد الناخبين لكل من العمل والليكود بفارق يقل عن ١٪ من مجموع الأصوات لصالح نيتانياهو ، فانتخب رئيسا للوزراء . وكانت المرة الأولى الذى ينتخب رئيس وزراء إسرائيل فيها عن طريق الاقتراع المباشر (بعد تعديل نظام الانتخاب) ، الأمر الذى كان له تأثيره على الطريقة التى يدير بها شئون الحكم .

ولاشك فى أن بنيامين نيتانياهو قد أحسن استغلال الأوضاع الأمنية المضطربة التى سادت فترة حكومة العمل بطرح شعاره عن « أمن إسرائيل » ، وتحميله تلك الحكومة مسئولية التدهور .

فقد شهدت تلك الفترة تصاعد العمليات المسلحة والاشتباكات الدامية التى وقع ضحيتها عدد كبير من الإسرائيليين والفلسطينيين ، وأخذت الاعتداءات أبعادا خطيرة غير مسبوقة ، وتصاعدت المقاومة الفلسطينية المسلحة ، وتزايدت تحرشات المستوطنين الإسرائيليين بالفلسطينيين واعتداءاتهم عليهم . ولم تمض سوى شهور قليلة على توقيع إعلان المبادئ الفلسطينية الإسرائيلية ، حتى ارتكب باروخ جولد شتاين مجزرة الخليل التى راح ضحيتها ٢٩ فلسطينيا أثناء صلاتهم فى الحرم الإبراهيمى فى فبراير ١٩٩٤ ، وقامت أجهزة المخابرات الإسرائيلية بتدبير اغتيال فتحى الشقاقى زعيم الجهاد ويحى أبو عياش من رجالات حماس ، وانتقمت حماس بعملياتها الانتحارية فى القدس وتل آبيب وعسقلان ، التى روّعت الإسرائيليين وأثارت مخاوفهم وأفقدت شيمون بيريس التفوق الكبير الذى أظهرته استطلاعات الرأى على نيتانياهو فى أعقاب مصرع اسحق رابين .

ومع ذلك ، فإن من المشكوك فيه أن يتمكن نيتانياهو من تحقيق الأمن إذا ما ظل متمسكا بسياسته المعلنة ، والتى نستعرضها فيما يلى .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل التاسع

نيتانياهو وإسرائيل الكبرى

انتخابات مايو ١٩٩٦ :

أجريت انتخابات ٢٩ مايو ١٩٩٦ فى ظل نظام جديد يجرى انتخاب رئيس الوزراء الإسرائيلى بمقتضاه بالاقتراع المباشر للناخبين .

وحصل نيتانياهو على ٤ر٥٠٪ من مجموع الأصوات ، فى حين حصل شيمون بيريس على ٥ر٤٩٪ .

أما حزب العمل ، فقد حصل على ٣٤ مقعدا فى الكنيست بخسارة عشرة مقاعد عن الانتخابات السابقة عام ١٩٩٢ .

وأما الليكود ، فقد حصل على ٣٢ مقعدا وكان يشغل نفس العدد فى الكنيست السابق .

وشكل نيتانياهو حكومته الائتلافية من أحزاب الليكود ، وشاس ، والمفدال ، ويسرائيل بعلياه ، ، وتسوميت ، وغيشر ، والطريق الثالث .

وقد أظهرت نتائج الانتخابات تفوق أحزاب اليمين والأحزاب الدينية ، وخسارة العمل والأحزاب اليسارية . ويرجع المحللون هزيمة بيريس إلى انحسار التأييد لاتفاقات أوسلو فى أعقاب العمليات الانتحارية التى قامت بها « حماس » فى شهرى فبراير ومارس السابقين ، والأخطاء التى ارتكبها بيريس فى الحملة الانتخابية(على عكس نيتانياهو الذى رفع شعار أمن إسرائيل ، وأخاف الناخبين من السياسة السلامية لحزب العمل) ، وتحالفه مع ياسر عرفات وتنازلاته الخطيرة إلى الفلسطينيين وخاصة بالنسبة لمستقبل القدس . كما يرجعونها إلى اتجاهات

المجموعات الإثنية والدينية التى تغيرت وخاصة بسبب تصويت ثلثى المهاجرين الروس لصالح الليكود .

أما تفوق الأحزاب الدينية والأحزاب الصغيرة ، فيرجع إلى حد ما إلى انتخاب رئيس الوزراء بالاقتراع المباشر بما يسمح للناخب بالتصويت للمرشح الذى يفضله دون أن يضع فى اعتباره أثر تصويته على اختيار رئيس الوزراء . كما تفسره التحولات الاجتماعية والسياسية التى أدت إلى تعدد الاتجاهات وتباينها .

وقد تميزت الانتخابات بظاهرة استعانة الحزبين الكبيرين ـ العمل والليكود ـ بالعناصر الصاعدة فى المؤسسة العسكرية ، فوضعا فى مقدمة قائمتيهما أسماء جنرالات سابقين (مثل اسحق موردخاى من الليكود ويهودا باراك من العمل) وتدل هذه الظاهرة على حرص كل من الحزبين على إظهار قدرته على الدفاع عن أمن إسرائيل .

نيتانياهو وحكومته :

ولد بنيامين نيتانياهو عام ١٩٤٩ ، وانضم إلى وحدة قتالية متميزة خلال الأعوام من ١٩٦٧ حتى ١٩٧٢ وبلغ رتبة نقيب (كابتن) ، ثم درس إدارة الأعمال فى الولايات المتحدة . وعمل بعد ذلك مديرا لإحدى شركات الأثاث فى القدس . وفى عام ١٩٨٠ ، قام بتأسيس معهد جوناثان لمكافحة الإرهاب ، واختار له اسم شقيقه الذى قتل فى الغارة الإسرائيلية على عنتيبى عام ١٩٧٦ ، ثم عين قنصلا عاما فى واشنجتون بين عامى ١٩٨٢ و ١٩٨٤ ثم سفيرا لدى الأمم المتحدة حتى عام ١٩٨٨ . وفى عام ١٩٨٨ ، انتخب عضوا فى الكنيست ، وعين نائبا لوزير الخارجية ، ومتحدثا رسميا للوفد الإسرائيلى فى مؤتمر مدريد ومفاوضات واشنجتون . وتولى رئاسة الليكود بعد اعتزال اسحق شامير على أثر سقوط حكومته .

وكان نيتانياهو من كبار الدعاة إلى تعديل النظام الانتخابى بما يسمح بانتخاب رئيس الوزراء الإسرائيلى بالاقتراع المباشر . وقد كان الغرض من هذا التعديل هو تحرير رئيس الوزراء من ضغوط الأحزاب الصغيرة وإبتزازاتها مقابل المشاركة فى الإئتلافات الوزارية . ولكن نيتانياهو بدا منذ انتخابه متأثرا بالنظام الرئاسى الأمريكى (بالرغم من الإختلافات الأساسية بين النظامين حيث لا يزال الحصول على موافقة الكنيست على

الحكومة ضروريا ، كما أنه يجوز للكنيست أن يحجب عنها الثقة ويدعو لانتخابات جديدة) . وقد ظهر اتجاه نيتانياهو واضحا من قيامه بإنشاء مجلس للأمن القومى وآخر للتخطيط الاقتصادى من غير الوزراء ، وتركيز عدد من الصلاحيات فى يده شخصيا .

كما أنه اعتبر انتخاب الشعب مباشرة له من شأنه أن يعطيه صلاحيات واسعة سواء فى تعيين الوزراء أو فى رسم سياسته الخاصة ، بل إنه هدد بعزل الوزير الذى يعترض على هذه السياسة .

وكان واضحا من علاقاته بأعضاء حزبه ، والأحزاب الأخرى المشاركة فى حكومته أنه لا يسمح بمنافسين له فى الحكم . فقد ظل رافضا إسناد وزارة هامة لإرييل شارون ثم اضطر تحت تهديد دافيد ليفى بالاستقالة إلى إنشاء وزارة جديدة ـ تشمل اختصاصاتها عددا من اختصاصات الوزارات الأخرى ـ وإسنادها إليه . كما كاد ليفى يستقيل بسبب انفراد نيتانياهو بأنشطة دبلوماسية يفترض إشراكه فيها .

واتخذ لنفسه مجموعة من المستشارين من أمثال دورى جولد ، وأفيغدور ليبرمان ودافيد بار إيلان ، أصبح يستعين بهم ـ أكثر من وزرائه ـ فى تنفيذ سياسته .

وقد ضمت حكومة نيتانياهو شخصيات معروفة بكراهيتها الشديدة للعرب من أمثال أرييل شارون ، وروفائيل إيتان ، وبنى بيجين .

فإرييل شارون ، هو الذى رأيناه يتزعم حركة الاستيطان المكثف فى عهد الليكود السابق . وهو الذى خطط لغزو لبنان عام ١٩٨٢ وأدانته لجنة التحقيق لمسئوليته عن مذبحة صابرة وشاتيلا ، وقضت بإقالته من منصب وزير الدفاع . وهو صاحب خطة ضم الضفة الغربية لإسرائيل ، وهى الخطة التى عارض بها مشروع إيجال آلون . وشارون من مواليد موشاف كفار مالال بإسرائيل عام ١٩٢٨ ، وقد انضم إلى الهاجاناه عام ١٩٤٥ وأصيب فى معركة اللطرون فى حرب ١٩٤٨ ، وقاد وحدة كوماندوز لمقاتلة الفدائيين وشارك فى الاعتداء على غزة عام ١٩٥٥ ، وفى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، وفى حرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣ حيث قاد الوحدة التى أحدثت الثغرة ، وانضم إلى الليكود عام ١٩٧٢ ، وأسس حزب شلومزيون ولكنه فشل ولم يفز فى كنيست عام ١٩٧٧ ، إلا بمقعدين . وقد احتضن شارون جماعة جوش إيمونيم الأصولية المتطرفة . وظل غير واثق من استمرار السلام بين مصر وإسرائيل حتى فى ظل معاهدة السلام بين البلدين .

أما روفائيل إيتان ، فيبدى الاحتقار للعرب ويراهم مثل الصراصير التى إذا وضعت فى زجاجة أكلت بعضها البعض ، وهو المسئول الأول عن مذبحة صابرة وشاتيلا . وتتسم شخصيته بالصلف والغطرسه . وقد اشترك فى جميع حروب إسرائيل ، ويتفاخر بعدد قتلاه من المصريين ، وقام بزيارة لمصر ولكنه وجدها بلدا ينقصها النظام والنظافة . وهو من مواليد موشاف تل أداشيم بإسرائيل عام ١٩٢٩ ودرس فى جامعة تل أبيب وكلية الدفاع . وأسس حزب تسوميت اليمينى المتطرف وتحالف مع حزب تحيا ولكنه فض التحالف وحصل فى انتخابات الكنيست الثانى عشر على مقعدين وعين وزيرا للزراعة عام ١٩٩٠ ولكنه استقال فى العام التالى ، وفى الكنيست الثالث عشر حصل على ٨ مقاعد ، ودخل الانتخابات الأخيرة على قائمة الليكود .

وأما عن الأحزاب الدينية التى أشركها نيتانياهو فى حكومته ، فإن أهمها هو الحزب القومى الدينى الذى دأب على الائتلاف مع حكومات العمل ثم انحرف إلى اليمين وأصبح متحالفا مع الليكود ، وحزب شاس الذى اتسمت مواقفه السابقة ببعض الاعتدال ، وسبق أن أيد برنامج حزب العمل ومبدأ الأرض مقابل السلام . ومن الأحزاب المتطرفة تسوميت الذى يمثل أقصى اليمين المتطرف ، وحزب الطريق الثالث الذى يطالب بعدم الانسحاب من الجولان والاستيطان الشامل للضفة الغربية وفرض سيادة إسرائيل على المناطق الحيوية . وتتفق جميع الأحزاب على بقاء القدس موحدة تحت السيادة الإسرائيلية .

والخلاصة هى أن التركيبة الوزارية لحكومة بنيامين نيتانياهو تمثل اتجاها يمينيا متشددا تتفاعل فيه المواقف السياسية والدينية من القضايا الداخلية الإسرائيلية ومن قضية السلام مع العرب ، وتتفق فيما يتعلق بالقضية الأخيرة على رفض إقامة الدولة الفلسطينية واعتبار الحكم الذاتى هو نهاية المطاف مع الفلسطينيين وعدم التنازل عن أى جزء مما تعتبره أرض إسرائيل ، ومن المتوقع أن تمارس الأحزاب الدينية فيها الضغوط من أجل تحقيق عدد من المكاسب الدينية (مثل الاحترام الكامل لحرمة السبت - وصلاة اليهود فى المسجد الأقصى . . إلخ) أما نيتانياهو ، فإن أهم ما سوف يركز عليه هو قضية أمن إسرائيل ، وسوف يسعى لتعديل اتفاقات أوسلو مستخدما ذريعة الأمن .

برنامج الليكود الانتخابى :

تقدم الليكود فى النتخابات الأخيرة ، ببرنامج يتضمن الأسس التالية (*) :

ـ إن حق الشعب اليهودى فى أرض إسرائيل حق أبدى غير قابل للنزاع ، ويتضمن الحق فى الأمن والسلام .

ـ سوف تحترم حكومة إسرائيل الاتفاقات الدولية ، وستواصل العمل الدبلوماسى لتحقيق السلام العادل والدائم فى الشرق الأوسط .

ـ ستعترف بالحقائق المترتبة على الاتفاقات ، وستعمل على تقليل المخاطر الناجمة عنها على مستقبل وأمن إسرائيل .

ـ ستجرى مفاوضات مع السلطة الفلسطينية لتحقيق ترتيبات دائمة بشرط أن يحترم الفلسطينيون بشكل كامل كل التزاماتهم .

ـ ستقوم بتمكين الفلسطينيين من إدارة حياتهم بحرية فى إطار الحكم الذاتى ، على أن تبقى شئون الخارجية والدفاع والشئون التى تتطلب التنسيق من مسئوليات إسرائيل . وستعارض إقامة أية دولة فلسطينية مستقلة .

ـ ستعمل على إيجاد موارد للفلسطينيين فى مناطق الحكم الذاتى ، لخفض عدد العمال الفلسطينيين فى السوق الإسرائيلية ، وتشجع سياسة اقتصادية تقلل من اعتماد هذه السوق على العمال الأجانب .

ـ سوف تكون لجيش الدفاع وقوات الأمن الإسرائيلية حرية الحركة كاملة فى كل مكان كلما تطلب الأمر لمقاومة الإرهاب . وستبقى المناطق الأمنية الحيوية للدفاع عن إسرائيل والمستوطنات تحت السيادة الإسرائيلية الكاملة .

ـ ستحتفظ إسرائيل بمصادر مياهها الحيوية فى يهودا والسامرة .

ـ إن القدس الموحدة ، وغير المقسمة هى عاصمة إسرائيل ، وسوف يتم حظر النشاطات التى تقوض وضعها ، ولذا فإنه سيتم إغلاق مؤسسات منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية وبيت الشرق .

(*) مختارات إسرائيلية ـ عدد ١٩ يوليو ١٩٩٦ (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ـ مؤسسة الأهرام) .

ـ سيمثل نهر الأردن وبحيرة طبرية الحدود الشرقية لدولة إسرائيل ، وسوف تكون هى الحدود الدائمة بينها وبين الأردن التى تصبح شريكا فى الترتيبات النهائية مع الفلسطينيين فى المناطق التى يتفق عليها فى المفاوضات .

ـ إن الكنيست سبق أن أصدر قانونا لتطبيق القوانين والأحكام القضائية والإدارية الإسرائيلية على مرتفعات الجولان ، بناء على اقتراح الليكود ، وبذلك فرضت السيادة الإسرائيلية عليها .

ويتفق هذا البرنامج إلى حد كبير مع الأفكار التى سبق أن سردها نيتانياهو تفصيلا فى كتابين سبق أن أصدرهما ، أحدهما بعنوان « إسرائيل ـ مكان بين الأمم » والثانى عن الإرهاب .

السير فى طريق مسدود :

منذ تولى بنيامين نيتانياهو الحكم ، تميزت تصريحاته بالغموض والتناقض . ففى حين أعلن تمسكه ببرنامجه ولاءاته للدولة الفلسطينية وتقسيم القدس والانسحاب من الجولان ، أكد التزامه بالاتفاقات المعقودة مع الفلسطينين وعزمه على مواصلة التفاوض معهم ومع السوريين .

وكانت زيارة نيتانياهو الأولى للويات المتحدة يوم ١٠ يوليو ١٩٩٦ ، ووسط تصفيق حاد من رجال الكونجرس ، وقف رئيس وزراء إسرائيل الجديد ، يلقى خطابه الذى يحدد فيه مفاهيمه للسلام مع العرب ، والذى يرى أن يقوم على أسس ثلاثة : الأمن ـ والمبادلة ـ والديموقراطية وحقوق الإنسان .

فأما الأمن ، فإنه يتطلب وقف العمليات الإرهابية ، إذ لا يمكن للأطراف ـ فى رأيه ـ الجمع بينها وبين الدبلوماسية .

وأما المبادلة ، فهى ـ فى تعريفه ـ الالتزام بحل المنازعات بالوسائل السلمية .

وأكد نيتانياهو أن سياسة حكومته ترتكز على مبدأ احترام الاتفاقات التى عقدتها إسرائيل وهى مستعدة للبدء فى مفاوضات الوضع النهائى مع الفلسطينين وإنما بشرط أن يقوموا بتنفيذ التزاماتهم ، كما أنها على استعداد للدخول فى مفاوضات مع سوريا ولبنان وإنما بدون شروط مسبقة ، بل وتوسيع حلقة السلام لتشمل كل دول العالم العربى والشرق الأوسط .

وقد ازداد تصفيق أعضاء الكونجرس عندما أكد نيتانياهو أن القدس ستظل موحدة تحت سيادة إسرائيل التى لن تسمح بإقامة حائط برلين آخر بداخلها . فقد لاقت عبارته عن القدس ترحيب الكونجرس الأمريكى الذى سبق أن طالب بنقل السفارة الأمريكية إليها ـ اعترافا بأنها عاصمة إسرائيل ـ وأصبح الجمهوريون والديموقراطيون يتسابقون على كسب ودّ الزعيم الإسرائيلى ولم يتبق على موعد الانتخابات الأمريكية سوى أشهر قليلة .

وفى مؤتمره الصحفى ، حرص نيتانياهو على دمغ الأنظمة العربية بالديكتاتورية ، على عكس إسرائيل الديموقراطية ، والدعوة للتعاون لمحاربة الإرهاب ، وحاول إظهار نواياها السلمية وتقدمها إلى حدّ استغنائها فى وقت قريب عن المساعدات الأمريكية ولاشك فى أنه ـ وهو الذى أقام فترة طويلة من حياته فى الولايات المتحدة ـ قد أجاد الحديث إلى الأمريكيين باللغة التى تروق لهم وتحسّن صورة إسرائيل لديهم .

وعندما واجه رجال الإعلام فى مصر ، خلال زيارته إليها ، تبدلت لهجة نيتانياهو ، فأعلن احترامه للدول العربية ، وكرر التزامه بالاتفاقات المعقودة ، وأكد العزم على مواصلة عملية السلام ؛ ولكنه راوغ ولم يقيد نفسه بالتزام محدد .

وقد كان على نيتانياهو مواجهة حقائق الموقف التى صنعتها حكومة العمل . فقد حلّ موعد البدء فى مفاوضات الوضع النهائى ، كما أحال إليه شيمون بيريس مشكلة إعادة انتشار القوات الإسرائيلية فى الخليل التى فات موعدها ، ثم كان عليه أن يتخذ قرارا بشأن استئناف المفاوضات مع سوريا التى كان بيريس قد أوقفها ـ والمفترض أن ذلك كان بصفة مؤقتة ـ عقب عمليات حماس الانتحارية .

أما عن المفاوضات مع الفلسطينين ، فقد تعلل نيتانياهو بأن على الفلسطينين أن يوفوا أولا بالتزاماتهم . وادعى أن القرار الفلسطينى بتعديل الميثاق الوطنى لا يتفق ـ فى الحقيقة ـ مع التزامهم فى اتفاقية أوسلو ، ثم ادعى أنهم يمارسون نشاطا فى مدينة القدس ـ وهى عاصمة إسرائيل ـ يخالف تلك الاتفاقية ، وطالبهم بإغلاق عدد من المؤسسات والامتناع عن أية ممارسات للسلطة الفلسطينية أو لمنظمة التحرير فيها ، وتمسك بعدم إجراء اتصالات دبلوماسية فى بيت الشرق وطالب الوزراء الأوربيين وغيرهم بمراعاة ذلك مهددا بإغلاقه (رغم أن شيمون بيريس كان قد تعهد فى كتاب

وجهه إلى وزير خارجية النرويج بالمحافظة على الوضع الراهن والمؤسسات الفلسطينية فى القدس). ولم تبدأ المفاوضات المشار إليها حتى كتابة هذه السطور ، ولو بدأت فسوف تكون مفاوضات شاقة ومتعثرة .

ومن ناحية أخرى ، قام نيتانياهو بإلغاء قرار الحكومة السابقة بتجميد عملية الاستيطان ، وقرر البدء ببناء ألفى وحدة سكينة مدعيا أن من حق إسرائيل توسيع المستوطنات القائمة لمواجهة الزيادة السكانية الطبيعية فيها وأن الولايات المتحدة أبدت تفهما لهذا الاعتبار كما أن الحكومة العمالية لم تتوقف عن الاستيطان وليس من المعقول ألا تواصل حكومة الليكود هذا النشاط .

وأما عن القدس ، فقد بدأ فى تنفيذ خطة استكمال تهويدها بصفة نهائية بهدم المبانى الفلسطينية وإقامة المبانى اليهودية ، ومحاولة تفريغ المدينة من سكانها الفلسطينيين بكافة الحيل القانونية وغير القانونية .

وبالرغم من تأكيدات نيتانياهو عن التزامه بالاتفاقات المعقودة مع الفلسطينين ، فقد طالب الفلسطينين بالدخول فى مفاوضات للاتفاق على ترتيبات جديدة بشأن مدينة الخليل ، وصرح بأن الترتيبات التى تضمنتها اتفاقية أوسلو غير مقبولة ويهدد تطبيقها باضطراب الأمن وإشاعة الفوضى وتعريض المستوطنين اليهود فيها للخطر .

واتبع رئيس الوزراء الإسرائيلى طريق المناورة تجاه سوريا ، فلم يكف عن دعوتها إلى مفاوضات بغير شروط مسبقة (فى الوقت الذى يكرر فيه رفضه للانسحاب من الجولان)، ثم اقترح الاتفاق على انسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان مقابل إنهاء عمليات المقاومة ، وكان واضحا من اقتراحه أنه يسعى لفصل المسار اللبنانى عن المسار السورى بهدف إحداث الوقيعة بين البلدين وتعريض لبنان لخطر حرب أهلية جديدة ، فضلا عن عزل سوريا . ولذا كان طبيعيا أن يرفض كلا البلدين هذا الاقتراح .

والواقع أن نيتاياهو قد اختار لنفسه طريقا مسدودا ، فهو يعتقد خطأ أن العرب سوف يخضعون فى نهاية الأمر ويقبلون ما يعرضه عليهم من السلام مقابل السلام . فلا دولة للفلسطينين وإنما حكم ذاتى تحت سيطرة إسرائيل الأمنية ، وضم نهائى للقدس والضفة الغربية والجولان، ومواصلة الاستيطان فى كل مكان .

وتبدو الولايات المتحدة عاجزة عن ممارسة أية ضغوط على إسرائيل فى هذه الأشهر القليلة السابقة على الانتخابات الأمريكية ، بل إنها أثبتت عجزها عن الرد على

تحديات نيتانياهو الذى أعلن أنه سيواصل تنفيذ سياسته حتى لو أدى ذلك إلى توتر العلاقات معها .

أما العرب ، فقد اجتمع رؤساؤهم فى أول مؤتمر للقمة يعقد منذ حرب الخليج ، وأبدوا رغبتهم فى السلام وتمسكهم بأسس مؤتمر مدريد ، ملمحين بأن نكوص إسرائيل عن التزاماتها سوف يؤدى إلى تغيير مواقفهم تجاهها . ويبقى السؤال عما إذا كان نيتانياهو سوف يعيد النظر فى مواقفه ويعمل على صيانة المكاسب الضخمة التى حققتها العملية السلمية لإسرائيل ، ويدرك ما تحمله سياسته من أخطار على سلام المنطقة بأسرها ، ويضع فى حسبانه أن نصف الشعب الإسرائيلى لايزال يؤيد السير فى طريق السلام ، أم أنه سيطرح جانبا كل هذه الاعتبارات ، تمسكا بأيديولوجية عتيقة لم تعد تتفق مع معطيات العصر ، وجريا وراء وهم إقامة إسرائيل الكبرى .

أيديولوجية نيتانياهو :

يعرض نيتانياهو فى كتابه « مكان بين الأمم » (*) نظرية غريبة فى تناوله للقضية الفلسطينية ، تتفق مع أيديولوجية الليكود والصهيونية التصحيحية .

فهو يرجع الطفرة فى زيادة عدد السكان العرب لفلسطين إلى موجات الهجرة اليهودية بدءا من الموجة الأولى عام ١٨٨٠ ، حيث بدأ اليهود فى إقامة المدن وإنشاء الطرق والمزارع والمستشفيات والمدارس والمصانع ، ووفد العرب إلى المناطق اليهودية سعيا وراء الرزق والأجور المرتفعة إلى حد أن زاد معدل الهجرة العربية إليها عن الهجرة اليهودية (كما لاحظه الرئيس الأمريكى روزفلت عام ١٩٣٩) ، وارتفع بنسبة ٢٩٠٪ فى الفترة من بدء الانتداب البريطانى حتى قرار التقسيم عام ١٩٤٧ .

وهو يرد على الإدعاء القائل بأن اليهود استولوا على فلسطين من الشعب العربى الذى كان يعيش فيها منذ مئات السنين ، والذى يعدّ مالكها الشرعى ، مستشهداً بكتابات عدد من الرحالة والكتاب والدبلوماسيين الذين زاروا فلسطين فى القرون السابقة ووصفوا قلة سكانها وتأخرها . كما أنه يرد على القائلين بأن شعب فلسطين اكتسب هوية وطنية مستقلة وله الحق فى تقريره مصيره ، فيذكر أنه منذ نهاية الدولة

(*) Benjamin Netanyahu : A Place Among The Nations.

اليهودية القديمة وحتى بداية الحكم البريطانى لم تكن المنطقة التى أطلق عليها اسم فلسطين بلدا له حدود وإنما كانت ـ على حد قول برتراندرسل ـ تقسيما إداريا ، وأن العرب ـ على حد كاتب آخر ـ لا يمكن اعتبارهم سكانا بل كانوا رحّلا يتنقلون من مكان لآخر . ولذا ، قول فإن قادة العالم فى فرساى (عقب الحرب العالمية الأولى) عندما وازنوا بين المطالب العربية واليهودية فى فلسطين ، فإنهم ـ وعن حق ـ لم يبدوا اهتماما بالمطالب العربية فى فلسطين . فقد حصل العرب أكثر من أية شعوب أخرى على المكاسب المتمثلة فى استقلال العراق والعربية (السعودية) وسوريا وشرق الأردن ، رغم أن معظمهم ـ كما ذكر لويد جورج ـ قد حارب من أجل الحكم التركى .

ويمضى نيتانياهو فى رواية تاريخ فلسطين تحت الانتداب ـ من وجهة نظره ـ ليثبت خيانة بريطانيا لليهود وممالأتها للعرب ، واقتطاعها شرق الأردن من الوطن القومى اليهودى والقيود التى وضعتها على الهجرة اليهودية فى الوقت الذى كانت النازية ماضية فى تنفيذ خططها للقضاء على اليهود ؛ وذلك على نحو ما يتردد فى جميع الأدبيات الصهيونية . ثم يستعرض ـ بطريقته ـ التاريخ المعاصر إلى أن يصل إلى حرب الخليج . وفى محاولة للرد على أن القضية الفلسطينية هى لب الصراع فى الشرق الأوسط ، يتحدث نيتانياهو عن المنازعات المتعددة وأعمال العنف فيما بين العرب لكى ينتهى إلى إرجاع هذه الفكرة السائدة إلى ثلاثة عوامل هى : أزمة الشرعية (بالنسبة لنظم الحكم) ـ والتطلع إلى تحقيق الوحدة العربية (الإسلامية) ـ والمرارة ضد الغرب (الذى يعتبره العرب مسئولا عن إنشاء إسرائيل ويرى فى الصهيونية تعبيرا عن الحضارة الغربية) .

ويفرد نيتانياهو فصلا فى كتابه لكى يثبت فيه عدم صحة الدعايات العربية القائلة بأن القضية الفلسطينية كانت سبب جميع الحروب بين العرب وإسرائيل ، لا أنها كانت نتاج هذه الحروب ، ذاكرا أن النزاع العربى الإسرائيلى لا يرجع إلى انتقال الأراضى (المحتلة) إلى أيدى إسرائيل عام ١٩٦٧ ، ولا إلى مشكلة اللاجئين التى نتجت عن الهجوم العربى على إسرائيل عام ١٩٤٨ ، وإنما يرجع ـ فى الحقيقة ـ إلى إصرار العرب على رفض الاعتراف بإسرائيل داخل أية حدود . ويمضى نيتانياهو مناقشا المطالبة للشعب الفلسطينى بحق تقرير المصير ، رافضا هذا المطلب فليست كل أقلية ـ فى رأيه ـ يمكنها ممارسة هذا الحق ، ويكفى أن هناك دولة فلسطينية فى الأردن ، بل إن دولة فلسطينية (فى الضفة الغربية وقطاع غزة) سوف تكون قنبلة زمنية تنسف

السلام فى بلاد كثيرة . ومن جهة أخرى ، فإنه يحاول إسباغ الشرعية على الاستيطان اليهودى فى الضفة الغربية وقطاع غزة على أساس ما يعتبره حقا يهوديا معترفا به من الجماعة الدولية منذ معاهدة فرساى .

وربما كان ما تقدم كافيا لإلقاء الضوء على الأفكار الرئيسية لنيتانياهو ، والتى تعد امتداداً لأيديولوجية الصهيونية التصحيحية وعلينا أن نتعرف على مفاهيم رئيس الوزراء الإسرائيلى ـ التى عبر عنها فى كتابه ـ بشأن السلام فى الشرق الأوسط .

يرى نيتانياهو أن هناك نوعين من السلام : الأول هو المعروف فى الغرب والذى يقوم على الحدود المفتوحة والتجارة والسياحة والتبادل والتعاون فى المجالات المختلفة ، وهو ما يمكن أن يسمى سلام الديموقراطيات ـ والثانى هو سلام الردع الذى يجب أن يسود الشرق الأوسط حيث لا توجد دولة ديموقراطية سوى إسرائيل فالسلام فى الشرق الأوسط لايتحقق إلا من خلال القوة ، وسلام إسرائيل مرتبط بأمنها وإذا ما تحقق العرب من أن إسرائيل موجودة لتبقى ، فعندئذ قد تتغير مواقفهم من حق إسرائيل فى الوجود ، ولن يشنوا هجوما عليها إذا لم يكن لديهم الأمل فى النجاح .

وحتى يمكن لإسرائيل أن تحافظ على السلام على جبهتها الشرقية ، فإن قدرتها على الردع تتوقف على ثلاثة عوامل : قدرتها العسكرية ـ وفترة إنذار كافية لتعبئة قواتها ـ وحد أدنى للمجال الذى تنشر فيه هذه القوات .

وبناء على ذلك ، فإن من الضرورى أن تحتفظ إسرائيل بالضفة الغربية كاملة . ويحاول نيتانياهو جاهدا إظهار ما فى إقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية من أخطار محققة لإسرائيل ، وتفنيد المقترحات القائلة بنزع سلاح هذه الدولة ، أو السيطرة العسكرية وليست السيادة عليها ، وينتهى إلى رفض إقامة الدولة الفلسطينية فى الضفة سواء لاعتبارات الدفاع أو لضرورة سيطرة إسرائيل على مصادر المياه فيها حيث تحصل منها على ٤٠٪ من احتياجاتها من المياه العذبة .

وبالنسبة لمرتفعات الجولان التى تسيطر على مصادر مياه نهر الأردن وبحر الجليل ، التى تزود هى الأخرى إسرائيل بنسبة ٤٠٪ من إيراداتها المائية ، فإن وضعها هذا بالإضافة لموقعها الاستراتيجى يحتم على إسرائيل ـ فى رأيه ـ الاحتفاظ بها (والواقع أن الليكود يعتبرها جزءا من أرض إسرائيل التاريخية) .

وردا على ما يثار بشأن مشكلة تزايد السكان الفلسطينيين ـ فى الضفة الغربية وقطاع غزة ـ فإن نيتانياهو يخصص فصلا كاملا لتبديد المخاوف من احتمال أن يصبح الفلسطينيون هم الغالبية ، وذلك بمحاولته إثبات أن توقعات علماء السكان لم تتحقق وأن ثمة إمكانية لمزيد من الهجرة من دول كثيرة بحيث تستوعب إسرائيل ثمانية ملايين آخرين من اليهود .

وأخيرا ـ فإن نيتانياهو ينتهى فى كتابه الضخم (٤٦٧ صفحة) ـ والذى أجهد فيه نفسه لإقناع القارئ الغربى (وخاصة الأمريكى) بأفكاره ـ إلى أن السلام الدائم فى الشرق الأوسط لا يتحقق إلا على النحو التالى :

أولا ـ تخلى الدول العربية نهائيا عن الرغبة فى تدمير إسرائيل وقيامها بعقد معاهدات سلام معها ، وإنهاء مقاطعتها اقتصاديا ، والتوقف عن التسلح المدمر ، والتعاون بين العرب والإسرائيلين سواء فى مجالات تنمية الموارد المائية أو التجارة والسياحة وغيرها من مجالات التعاون الإقليمى .

ثانيا ـ ممارسة الغرب الضغوط على العالم العربى من أجل تحقيق الديموقراطية .

ثالثا ـ أن تكون لإسرائيل حدود آمنة ، بحيث تمتد حدودها إلى نهر الأردن .

رابعا ـ تظل القدس موحدة تحت السيادة الإسرائيلية ، وتبقى عاصمة لإسرائيل (وفى هذا الصدد يذكر نيتانياهو بأنه حان الوقت لكى يقدم العرب التنازلات الإقليمية بعد أن قدمت إسرائيل وحدها التنازلات : عن مصادر المياه فى لبنان ـ ثم عن شرق الأردن ـ وأخيرا بانسحابها من سيناء التى تشكل ٩٠٪ من الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧).

خامسا ـ نظراً لأن قطاع غزة لا يمثل مخاطرة كبيرة لإسرائيل ، فإنه يمكن منح سكانه أكبر قسط ممكن من الحكم الذاتى مع احتفاظ إسرائيل بسلطات الأمن والسياسة الخارجية ، وإنما بعد إجراء تعديل طفيف لحدوده من أجل المستوطنات الإسرائيلية ، وعلى أن يبقى القطاع تحت السيادة الإسرائيلية ، وأن يسمح للإسرائيليين بالعيش فيه بحرية وأمان .

سادسا ـ بالنسبة ليهودا والسامرة (الضفة الغربية) ، تحتفظ إسرائيل بالسلطات السيادية بما فى ذلك الدفاع والشئون الخارجية ورقابة العملة والتجارة الخارجية ،

ويتولى السكان العرب إدارة شئون حياتهم اليومية على طريقة تقسيم المسئوليات بين حكومة وطنية وسلطة محلية دون تدخل كبير من جانب الحكومة الإسرائيلية المركزية. كما تكون للإسرائيليين حرية العيش فى هذه المناطق ، ولإسرائيل أقصى درجات الأمن ضد الهجمات الإرهابية بحيث تكون للقوات الإسرائيلية الحرية الكاملة للحركة فيها.

وفى هذا الشأن ، فإنه يتصور إقامة أربع مقاطعات سكانية counties فى نابلس وجنين ورام الله والخليل تتمتع بالإدارة الذاتية ، فهى تضم معظم السكان العرب وتمثل $\frac{١}{٥}$ أراضى الضفة . ولكن يجب أن تظل الأمور الحيوية مثل الأمن والمياه فى يد الحكومة المركزية.

سابعا ـ أن المطالبة بأن يكون لعرب الضفة والقطاع حق تملك الأرض يتعارض مع حرية الحركة التى يجب أن تتمتع بها القوات الإسرائيلية للحفاظ على الأمن.

ثامنا ـ يطبق نظام الإدارة الذاتية خلال المرحلة الانتقالية ويصبح جزءا من اتفاق الوضع النهائى الذى ينظم مسألة منح سكان المراكز السكانية المشار إليها الجنسية الإسرائيلية بحيث يجوز لهم طلب هذه الجنسية بعد عشرين عاما.

تاسعا ـ تحل مشكلة اللاجئين دوليا وعلى أساس توطينهم فى الدول العربية والدول الأخرى خلاف إسرائيل .

عاشرا ـ تحتفظ إسرائيل بمرتفعات الجولان لاعتبارات العمق الاستراتيجى والجغرافيا والمياه التى سبقت الإشارة إليها.

نيتانياهو ومحاربة الإرهاب :

يعتبر نيتانياهو نفسه خبيرا فى مجال محاربة الإرهاب ، فقد أسس ـ كما أشرنا من قبل ـ معهد جوناثان المتخصص فى هذا المجال ، كما أصدر كتابا ضمّنه أفكاره للقضاء على الإرهاب الدولى.

ويرى نيتانياهو لكل من الولايات المتحدة وإسرائيل دورا رئيسيا فى محاربة الإرهاب ، ويعطى كلتا الدولتين حق التدخل فى الدول المختلفة لتحقيق هذا الهدف. وينادى بقتل رؤوس الجماعات الإرهابية فى العالم وتصفيتهم جسديا بدلا من

وضعهم فى السجون ، ولا مجال ـ فى رأيه ـ للكلام عن الحريات الشخصية لهؤلاء الإرهابيين. فالإرهاب نوع مختلف عن الحرب العادية له تأثير الحرب الصغيرة.

ويتهم سوريا وليبيا والعراق وإيران بتبنى الإرهاب الدولى الذي أصبح جزءا أساسيا من السياسة فى الشرق الأوسط ، ويعتبر استخدام العرب لسلاح البترول فى حرب أكتوبر نوعا من الإرهاب ، ويشير إلى استخدام مصر للفدائيين ضد إسرائيل ، ومساعدتها حرب التحرير الجزائرية ، وتقديمها العون للمنظمات الفلسطينية ، باعتبارها جميعا من أشكال الإرهاب ، كما يتحدث عن إقامة منظمة التحرير شبه دولة لها فى لبنان . ويسخر من مصطلحات العروبة والقومية العربية ، كما يشن حربا ضد الفكر الإسلامى والقومية الإسلامية ، ويرى أن عداءها للغرب لايرجع إلى تأييده لإسرائيل وإنما إلى طبيعة هذا الفكر . ويسرد نيتانياهو ما يعتبره خطة المراحل الفلسطينية للقضاء على إسرائيل ، والتى كانت تستهدف إعادتها إلى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ ثم إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ، ويذكر أن حكومة العمل وقعت فى أخطاء جسيمة وخاصة بسماحها للإرهاب باللعب بالمتفجرات ، أما إقامة دولة فلسطينية فمن شأنه إقامة إيران أخرى.

وأخيرا ، فإنه يحذر الولايات المتحدة والدول الغربية من المشاريع النووية العربية والإسلامية وخاصة المشروع الإيرانى الذى يمكن إيران من تهديد العالم بأسره ، كما يؤدى حصول الدول العربية على السلاح النووى إلى صعود التطرف الإسلامى إلى الحكم . وأما الحلول التى يقدمها ، فهى فرض العقوبات الشديدة ضد الدول التى تقدم التقنية النووية والكيماوية والبيولوجية إلى العرب ، وضد الدول المؤيدة للإرهاب وتجميد أرصدتها والتعاون فى مجال المخابرات ، وتعديل القوانين الدولية ، والتعاون الدولى لمحاربة الإرهاب وإعداد قوات خاصة لهذا الغرض (*).

(*) مجلة روز اليوسف ـ العدد ٣٥٦١

الفصل العاشر

حصاد التطرف الإسرائيلى

كاد القرن العشرون أن ينقضى ، وانتهى عصر الحرب الباردة وانهار الاتحاد السوفيتى ، وبدأت إرهاصات نظام دولى جديد تسعى الدول لأن يسوده الوفاق وتختفى فيه الحروب وتتعاون من أجل إيجاد تسويات للمنازعات الإقليمية ، نظام تتضاءل فيه أهمية الأيديولوجيات وتذوب الخلافات فى محيط المصالح المتبادلة .

ومع ذلك ، فلا يزال قادة إسرائيل الحاليون يكبلون أنفسهم بأيديولوجية بلغت من العمر مائة عام ، ويحرصون على إعلان وفائهم لها .

كان أمل تيودور هيرتزل أن يجد لليهود قطعة من الأرض ، فى أى مكان من العالم، يقيم عليها دولة لهم . ولم يكن يمانع فى أن تبنى هذه الدولة فى الأرجنتين أو أوغندا أو قبرص أو العريش .

وتحقق لليهود مالم تكن تصل إليه أحلامهم . أقاموا دولتهم فى فلسطين وهجّروا إليها ما يزيد على ثلاثة ملايين من كافة أنحاء الأرض ، وزودوها بكل أسباب التقدم .

وقد فتحت إسرائيل أبوابها لكل من أراد الحياة فيها من يهود المهجر ، كما رفعت من كل دول العالم ، وآخرها الاتحاد السوفيتى السابق ، كل القيود التى كانت تحول دون هجرة من يشاء من يهودها إلى إسرائيل . وكانت الأفواج القادمة من دول الاتحاد السوفيتى والكتلة الإشتراكية السابقة آخر موجات الهجرة اليهودية إلى الدولة العبرية ، ولم يعد من المتوقع أن تعقبها موجات أخرى بعد أن أصبح اندماج اليهود فى مجتمعات جميع الدول من حقائق العالم المعاصر .

غير أن الأيديولوجية الصهيونية لاتزال هى المتحكمة فى سياسات قادة إسرائيل أيا

كانت انتماءاتهم الحزبية ، حرص اسحق رابين لدى التقدم إلى الكنيست بإعلان المبادىء الذى أبرمه مع ياسر عرفات على أن يؤكد انتصار الصهيونية ، كما يحرص بنيامين نتيانياهو على أن يؤكد ـ فى كتاباته ـ أن للصهيونية دورا هاما يجب عليها القيام به من أجل توطين ثمانية ملايين يهودى يتوقع قدومهم من كل دول العالم ، فعداء السامية ـ فى ظنه ـ لن يختفى من العالم .

أما شيمون بيريس ، فقد ذهب إلى أن « الجيل الأخير كان جيل التطلعات ، أما الجيل الحالى فإن عليه أن يتولى التخطيط . كان للجيل السابق أحلامه ورؤاه ، وعلى الجيل الحالى أن يقوم بمهام محددة ، فالمطلوب هو الأفعال أما الأيديولوجيات فإنها تأتى بعد ذلك . وحدد بيريس ما تتطلبه إسرائيل بأنها العلم والتكنولوجيا والكفاءة ـ على الخطر اليابانى ـ باعتبارها الحاجات الملحة للدولة العبرية . أما بالنسبة لمستقبل الشرق الأوسط ومكان إسرائيل فيه ، فقد سرد أفكاره عنها فى كتابه « الشرق الأوسط الجديد » ، وهى أفكار تتلخص فى إقامة نظام جديد فى المنطقة يقوم على أساس التعاون الإقليمى فى كافة المجالات ويسمح باندماج إسرائيل فيه . وقد قامت عملية السلام التى بدأت فى مؤتمر مدريد على أساس هذا المفهوم ، وقطعت المفاوضات المتعددة الأطراف شوطا لا بأس به وإن كان باديا من مواقف إسرائيل أنها تستهدف من النظام الشرق أوسطى الجديد أن يكون إطارا لبسط سيادتها وسيطرتها على المنطقة . وحققت المفاوضات الثنائية بين إسرائيل والأطراف العربية نتائج إيجابية على المسارين الفلسطينى والأردنى . وكان مأمولا أن تتوصل حكومة العمل إلى تسوية مع كل من سوريا ولبنان فيما لو فازت فى انتخابات مايو ١٩٩٦ .

والواقع أن إسرائيل قد دخلت منذ عام ١٩٦٧ فى مرحلة حاسمة من تاريخها ، فقد أحدثت انتصاراتها العسكرية غير المتوقعة تيارات متضاربة فى محيطها السياسى على المستويين الشعبى والحكومى ، وتضاربت الاتجاهات بين التنازل عن الأراضى العربية المحتلة ـ أوعلى الأقل أجزاء منها ـ مقابل السلام الدائم مع العرب ، وبين الاستيلاء على هذه الأراضى . وفى حين تبنت حكومة العمل الاتجاه الأول ، لم تستطع حكومات الليكود أن تعدل عن مواقف الصهيونية التصحيحية إلا بصفة جزئية عندما أعادت سيناء إلى مصر ، وظلت متمسكة بمبادئها عن عدم التنازل عن أرض إسرائيل التوراتية التى تشمل الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة ومرتفعات الجولان ،

وقد استمر موقف الليكود ثابتا لا يتغير طوال مفاوضات واشنجتون إلى أن هزمها ائتلاف العمل بعد أن ثبت فشل سياساتها التى أدت إلى تدهور الاقتصاد الإسرائيلى وتوتر العلاقات مع الولايات المتحدة .

ولم تمض سوى أربع سنوات حتى غير الرأى العام الإسرائيلى من اتجاهاته وتسبب فى إسقاط حكومة العمل . وقد يبدو هذا التغير السريع غريبا وخاصة مع المكاسب الهائلة التى حققتها عملية السلام لإسرائيل منذ أن بدأت حكومة رابين وبيريس السير فى طريقها . فقد خرجت إسرائيل من عزلتها الدولية والإقليمية ، إذ اعترفت بها كل الدول تقريبا وأقامت معها علاقات دبلوماسية وفتحت لها أسواقها ، وفتحت الدول العربية أبوابها أمام مكاتبها ووفودها ورفعت عنها المقاطعة الاقتصادية غير المباشرة وأبدت استعدادها للتعاون معها على المستوى الإقليمى فى المجالات المختلفة .

ويحق لنا أن نتساءل عما إذا كان بنيامين نتيانياهو ـ والقطاع المؤيد لسياسته من الشعب الإسرائيلى ـ يتصور أنه من الممكن المحافظة على هذه المكاسب مع ضم الأراضى الفلسطينية والسورية وربما اللبنانية أيضا ، أم أن رئيس الوزراء الإسرائيلى الجديد سوف يضحى بما حققته عملية السلام من أجل أيديولوجية وضع أسسها فلاديمير جابوتنسكى ، أم أنه سيجد نفسه فى نهاية الأمر مضطراً لقبول الحقائق القائمة على أرض الواقع فى الأراضى الفلسطينية ، وعلى الساحة السياسية الإقليمية والدولية .

الواقع أن الأوضاع التى تسود المجتمع الإسرائيلى أصبحت بالغة التعقيد .

فقد تمكنت حكومات الليكود السابقة من إعطاء دفعة قوية لليمين المتطرف ، وتحالفت مع القوى الأصولية الدينية والسياسية ، وقامت بزرع المستوطنات اليهودية فى كافة أنحاء الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة وهضبة الجولان ، وأصبحت الحركات المتطرفة من أمثال جوش إيمونيم وكاخ وتسوميت وأمناء الهيكل قوى مؤثرة تقاوم التنازل عن أى جزء من الأراضى العربية المحتلة .

ولاتزال قطاعات من الشعب الإسرائيلى متعلقة بالهدف المطلق للصهيونية سواء لأسباب سياسية أو لبواعث دينية ، فالهدف هو إقامة إسرائيل على أرضها التاريخية أو التوراتية وامتدادها لتشمل أرض فلسطين والجولان وأجزاء أخرى من سوريا ولبنان ، والوسيلة هى القوة المسلحة لفرض السلام الإسرائيلى على العرب .

ومن ناحية أخرى ، لا شك فى أن قطاعا كبيرا من الشعب الإسرائيلى متعلق بعملية السلام ومستعد لتقديم التنازلات اللازمة .

ولايزال قادة إسرائيل عاجزين عن تطوير الصهيونية بما يتفق مع حقائق العصر . فلم يسع اسحق رابين حين خطا أولى خطواته على طريق السلام أن يسلم بحق الفلسطينيين فى إقامة دولتهم المستقلة فى الضفة والقطاع بل ظل متمسكا ببقاء المستوطنات اليهودية فيها ووضعها تحت حماية القوات الإسرائيلية ، ورغم تيقنه من أنها تمثل قنبلة زمنية فقد تراءى له أنه يمكن الفصل بينها وبين الأراضى الفلسطينية بشبكة من الطرق الالتفافية وترتيبات أمنية معقدة .

وقد كان الظلم الفادح الذى أوقعته الصهيونية بالعرب ثقيلا على ضمائر كثير من المفكرين من اليهود وغير اليهود على السواء .

ذكر ألبرت اينشتاين « إننى أفضل أن أرى اتفاقا معقولا مع العرب على أساس العيش معا فى سلام عن أن تقام دولة يهودية » .

وكتب ماكسيم رودونسون « يجب أن يقال إن الصهيونية أعادت تفسير الأمانى الدينية بطريقة غير مقبولة فى شكل قومية حديثة . وقد ارتكزت على رؤية مسيحانية فى آخر الزمان عندما يحل الزمان الذهبى النهائى فى فلسطين فالصهيونية يمكن اعتبارها تحويلا إلى العلمانية للاتجاه الدينى مع جانب من القومية . . ولا يمكن للعرب أن يروا (فى اضطهاد الأوربيين لليهود) سببا كافيا لإقامة الدولة اليهودية على حسابهم » .

بل إن ناحوم جولدمان رئيس منظمة الصهيونية العالمية بدأ يراجع نفسه متسائلا ومتشككا « بأنه بعد خمسين عاما من النشاط الصهيونى أصبحت تساورنى الشكوك حول ما إذا كانت إقامة دولة إسرائيل كما هى اليوم هى الإنجاز الكامل للفكرة الصهيونية فقد فشلت إسرائيل - بوجه خاص - فى الاعتراف بخطورة وأهمية المشكلة العربية . . ولم تؤد الانتصارات الإسرائيلية حتى الآن إلى تقريب حل النزاع العربى الإسرائيلى ، فالانتصارات فى حد ذاتها لا يكون لها معنى إذا هى لم تؤد إلى الاستقرار والسلام » .

أما البروفسور تالمون ، فقد رأى عن حق « إن الاعتراف أو عدم الاعتراف بالعرب الفلسطينين كجماعة لها حق تقرير المصير هو ، فى نظرى ونظر العالم ، المسألة

الرئيسية . فهو المحك الذى يحدد ما إذا كنا نريد التصالح أو التوسع ، ونريد احترام حقوق الآخرين أو إنكارها . هذا هو المعيار الذى يحدد الطابع الديموقراطى والصفات الأخلاقية لدولتنا » .

وقد كان عيزر وايزمان على حق عندما قال « أصبح من الواضح أنه يجب علينا أن نخضع لنوع من التحول النفسى قبل أن نستطيع الإيمان بالسلام والتحرك إلى الأمام . إننا نحن العسكريين قد أنشأنا جيلا كاملا من المقاتلين ، وعلى الأجيال القادمة أن تعلم شعب إسرائيل بطريقة ذكية وعقلانية أن يؤمن بضرورة اتفاقات السلام مع العرب» .

وفى الفصل الختامى لكتابه « إلى الأرض الموعودة » (*)، والذى جعل له عنوانا «الصهيونية ـ نهاية أيديولوجية » ، توقع الحاخام دافيد جولدبرج أن تشهد نهاية القرن العشرين أجواء من الواقعية والقبول والاعتراف المتبادلين بين العرب واليهود بعد أن سلمت الدول العربية المجاورة لإسرائيل بحقيقة وجودها . وبصدد تقويمه للصهيونية ، ذكر أنها أشاعت عدة أساطير هى أنها أدعت إعطاء كل شىء لجميع اليهود على اختلاف نزعاتهم ، العلمانيين منهم والاشتراكيين والدينيين والمحافظين . وأنها بسبب مصطلحاتها شبه الدينية جمعت بين أنصار البروليتاريا الثورية ومن يريدون تمهيد الطريق لقدوم المسيح ، كما أنها خلقت أسطورة العودة إلى وطن قومى قاحل وقليل السكان وحاولت تبرير هدفها بحق تاريخى يمكن اعتباره قد سقط بانقضاء ألفى عام وتسببت فى خلق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، ثم إنها أشاعت أسطورة عن تاريخ يهودى يعد سلسلة طويلة من الاضطهادات والغارات العدوانية ضد اليهود متجاهلة الفترات التى عاشوا خلالها فى انتعاش ورفاهية فى أسبانيا الإسلامية وغيرها . كما أنها فشلت فى اجتذاب أعداد كبيرة من يهود العالم الغربى ، وإن كانت قد نجحت فى أن توجد ملجأ لليهود الذين أنقذوا من أيدى النازية .

والواقع أن انتقادات كثيرة قد وجهت إلى الحركة الصهيونية وأيديولوجيتها المتطرفة ، وخاصة تجاهلها للشعب الفلسطينى وحقوقه الوطنية ، وانتهاج إسرائيل سياسة القوة والإرهاب لردع العرب وإخلاء فلسطين من غالبية سكانها ، وتحالفها مع الاستعمار البريطانى والإمبيرالية الأمريكية وخدمة مصالحهما فى الشرق الأوسط .

(*) David Goldberg : To The Promised Land.

ولاتزال الأيديولوجية الصهيونية تتحكم فى سياسات قادة إسرائيل ، وتدفعهم إلى التطرف فى مواقفهم . وإذا كانت حكومة العمل قد استجابت ـ إلى حد ما ـ للمتغيرات الدولية والإقليمية وخطت أولى خطواتها على طريق السلام ، فإنها ظلت تكبل نفسها بقيود تلك الأيديولوجية ، وبدت مترددة فى الوصول إلى نهاية الطريق .

أما الليكود ، فإنه لايزال متمسكا بأيديولوجيته المتطرفة التى ورثها عن فلاديمير جابوتنسكى ، ورافضا للتنازل عن أى جزء مما يعتبره أرض إسرائيل التوراتية . وقد أدى تحالفه خلال حكم بيجين وشامير مع قوى الأصولية الدينية إلى أن أصبحت هذه القوى خطرا لا يهدد السلام مع العرب فحسب ، بل يهدد أمن الفلسطينيين والإسرائيليين كذلك .

وأصبح واضحا أن بنيامين نيتانياهو يدين بنفس الأيديولوجية ، ويرى فى نفسه القدرة على فرض سلام الصهيونية التصحيحية على العرب وبسط سيادة إسرائيل على القدس والضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان وربما الجنوب اللبنانى أيضا . ومن أجل ذلك ، استأنف من جديد عمليات الاستيطان المكثف وسارع باتخاذ كافة الإجراءات لاستكمال تهويد القدس ، وبدأ يستخدم وسائل المناورة والمراوغة بإظهار التزامه بالاتفاقات التى عقدتها حكومة العمل مع السلطة الفلسطينية فى الوقت الذى يطالب بإعادة التفاوض بشأنها ، وبإبداء رغبته فى استئناف المفاوضات مع سوريا فى حين يعلن تمسكه بإبقاء الجولان تحت السيادة الإسرائيلية .

وجدد نيتانياهو تحالف الليكود مع القوى الدينية والأصولية المتطرفة ، فاستأنف علاقات التعاون مع جماعات المستوطنين والمتطرفين اليمينيين ، مستجيبا لطلباتهم ، ومغرقا عليهم الامتيازات التى كانت حكومة العمل قد قامت بإلغائها . وعاد شارون بخططه الاستيطانية الطموحة ، كما عادت الأصولية الدينية بادعاءاتها على الحرم الشريف والمسجد الأقصى وقبة الصخرة آملة أن تتمكن من تحقيقها فى عهد نيتانياهو .

والمتوقع أن يواجه نيتانياهو مقاومة مستميتة من جانب الفلسطينيين والدول العربية ، وأن يجد نفسه واقعا كذلك تحت ضغوط القوى الإسرائيلية سواء تلك التى تدافع عن عملية السلام ، أو تلك التى تقف إلى أقصى اليمين تطالبه بمزيد من التطرف ويخشى أن تعود المنطقة إلى دوامة التوتر والعنف والحروب .

مراجـع الكتاب

- الكتاب المقدس (العهد القديم) .
- أحمد عثمان : تاريخ اليهود (ثلاثة أجزاء - دار الشروق) .
- إسرائيل شاحاك : من الأرشيف الصهيونى (منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ، ١٩٧٥) .
- إيان لوستيك : الأصولية اليهودية فى إسرائيل (مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٩١) .
- شبتاى تيبيت : بن جوريون والعرب (ترجمة غازى السعدى - دار الجليل للنشر ، ١٩٨٧) .
- صبرى جريس : اليمين الصهيونى (منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ، ١٩٧٨) .
- طاهر شاش : المواجهة والسلام فى الشرق الأوسط (الطبعة الأولى ١٩٩٥ - الطبعة الثانية ١٩٩٦ - دار الشروق) .
- الدكتور عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٥) .
- الدكتور عبد الوهاب المسيرى : اليهودية والصهيونية وإسرائيل (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ، ١٩٧٥) .
- غريس هالسك : النبؤة والسياسة (ترجمة من السمالك - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ١٩٩٠) .
- لينى برينر : حركة التصحيح الصهيونية (ترجمة دار الجيل ، ١٩٩٠) .

- موشى بيلع : آباء الحركة الصهيونية (دار الجليل ، ١٩٨٧) .
- نور الدين مصالحة : طرد الفلسطينيين (مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٩٢) .
- يهو شفاط هركابى : قرارات إسرائيل المصيرية (ترجمة منية سمارة ومحمد الظاهر - دار الكرمل صامد عمان ، ١٩٩٠).
- Abel Wahab El messiri : The Land Of Promise - (North American , 1977).
- Alan Taylor : The Zıonist Mind (The Institute for Palestinian Studies , 1974).
- Amos Elon : The Israelis : Founders and Sons (Penguin Books , 1981).
- Andre' Chouraqui : La Pensée Juıve (Que Sais Je ?).
- Benjamin Netanyahu - A Place Among The Nations (Bentham Books, 1993).
- Benni Morris : The Birth of the Palestinian Refugee Problem (Cambridge Unıversity Press, 1978).
- David J. Goldberg : To The Promised Land - A History of Zionist Thought (Penguin Books, 1996).
- Howard Sachar : A History of Israel Vol II (Oxford Universıty Press , 1987).
- Isodore Epstein : Judaism (Penguin Books).
- Josy Eiseberg : Une Histoire Des Juifs (Lıvre Du Poche).
- Lavinia And Dan Cohn - Sherbok : A Short History Of Judaism (One World - Oxford , 1995).
- Lenni Brennet : The lron Wall (Zed Press , 1984).
- Menachem Bcgin : The Revolt (A Bell Book , 1977).
- Micheal Jansen : Dissonance in Zion (Zed Press , 1987).
- Michael Palumbo : Imperial Israel (Bloomsbury , 1990).
- Norman Cantor : The Sacred Chain - A History of the Jews (Fontana Press , 1995).

- Norman Finkelstein : Image And Reality of the Israel - Palestine Conflict (Verso , 1995).
- Norman Rose : Chaim Weismann (Penguin Books , 1986).
- Paul Johnson : A History of the Jews, (Harper Perennial , 1988).
- Regina Sharif : Non Jewish Zionism (Zed Press, 1983).
- Richard Eliot Friedman : Who Wrote the Bible (Harper Aud Row , 1989).
- Robert Friedman : Zealots For Zion (Rutgers University Press, 1992).
- Sami Hadawi : Bitter Harvest (The New World Press , 1967).
- Susan Hattis Rolef : Political Dictionary of the State of Israel (The Jerusalem Publishing House , 1993).
- Walter La queut : A History Of Zionism (Schoken Books, 1976).
- Yehoshua Porath : In Search of Arab Unity - 1930 - 1945 (Frank Cass , 1986).



رقم الايداع : ١٥٨٢/١٩٩٧
I.S.B.N. 977 - 09 - 0368 - x

"

مطابع الشروق

القاهرة ٨٠ شارع سيبويه المصرى - ت:٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)



التطرّف الإسرائيلى

جـــذوره وحصـــاده

عـاد اليـمين الإسـرائيلى إلى الحكم مـتـحـالفـا مع أحـزاب دينيـة يجـمع بينهمـا هـدف أسـاسـى ، هو بسـط سيـادة إسـرائيل على مـا يعـتبـرانه أرضـهـا التـاريخـيـة والـدينيـة، حسب مفـاهيم تمتـد بجذورها إلى معتقدات الحاخامات فى وجدان اليهود فى شتاتهم.

ويستعـرض الكتاب جذور التطرف الإسرائيلى ، ملقيا الأضواء على التـراثين الدينى والتـاريخى لليهود وأحـوالهم فى الشـتـات ، والظروف التى نشـأت فيـهـا الحـركـة الصـهيـونيـة ، واتجـاهات تياراتها المختلفة ، ومواقف زعمائها من العرب، والسياسات التى انتهجها قادة إسرائيل منذ إنشاء الدولة ، والتى تتسم بالتطرف، الذى قد تعلو لهجته حيناً وقد يغلّف بستائر دبلوماسية حيناً آخر ، ابتداء بدافيد بن جوريون وانتهاء ببنيامين نيتانياهو ، الذى يسـعى جـاهدا لنسف عـمليـة السـلام من أجل تحـقيق أحـلامـه فى اقامة دولة إسرائيل الكبرى .